وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية — قسم التاريخ

[illegible]

مذكرة لنيل شهادة الماجستار في التاريخ الإسلامي

من إعداد الطالب:

أوكيل مصطفي باديس

تحت أشراف:

الدكتور صالح بن قربة

السنة الجامعية 2006/2005

[illegible]

"وقل رب زدني علما"

إلي الوالدين العزيزين، إلي عائلتي الكبيرة، إلي جميع أصدقائي.

إلي زوجتي الفاضلة، أهدي هده الرسالة.

[illegible]

أتوجه بكلمة الشكر هذه إلي :

أستاذي الدكتور صالح بن قربة لإشرافه علي هذه المذكرة من بدايتها إلي نهايتها وعلي صبره و نصحه وفضله في إخراجها.

جزاه الله كل خير

ورد في هدا العمل بعض الرموز المختصرة و هي كالتالي:

الجزء : ج

الصفحة : ص

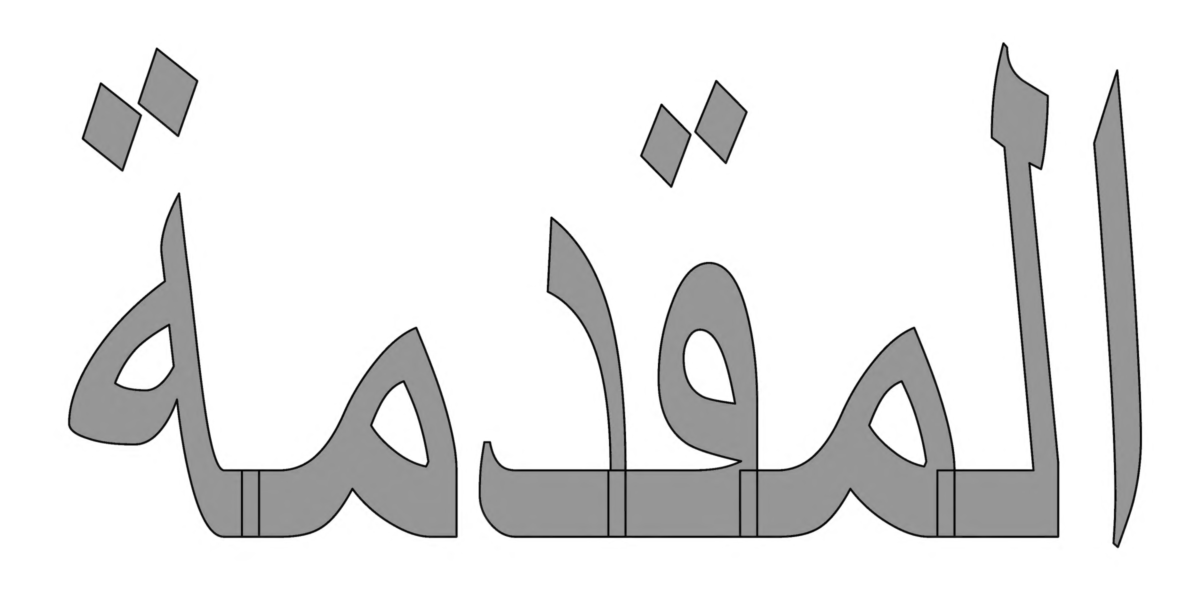
تحقيق : تح

ترجمة : تر

الطبعة : ط

دون نشر: د. ن

دون تاريخ: د. ت



يعتبر البحث حول تاريخ المغرب الإسلامي في نشأته من أهم وأصعب مواضيع البحث في التاريخ الإسـ لا العام،لما عرفه من اضطرابات وثورات،وحملات عسكرية،صبغته فـ الأول للهجرة.

وهذا أمر طبيعي، في تاريخ البـ الذي يولد مع أي احتكاك أو اتصال بين ديانتين أو حضارتين أو قوميتين.

وهو ما حدث بين المغرب والحياة العربية عن طريق الفتوح الإسلامية، هذه الفتوح التي كانت حركة عظيمة الأثر في تاريخ شمال إفريقية والأندلس.

من هنا وجد المؤرخون والباحثون في تاريخ المغرب الإسلامي في قرنه الأول مادة خصبة في دراساتهم وبحوثهم وفي استنتاجاتهم المختلفة باختلاف مشاربهم ومناهلهم ومذاهبهم.

وقد انحصرت هذه الدراسات في مدرستين كبيرتين، هما المدرسة الإسلامية والمدرسة المسيحية (الاستشراقية)، واللتان تعرفان بعضهما البعض. لما عاشاه بالمشرق من صدام، قبل التقائهما بالمغرب.

ـ والملاحظة الهامة والأولى التي يستقيها الباحث في تاريخ المغرب الإسلامي، أن جل الباحثين والمؤرخين اهتموا بالتاريخ السياسي والعسكري لهذا الإقليم،لهذا يجد أي باحث مبتدئ في تاريخ المغرب الاجتماعي أو الثقافي في القرن الأول للهجرة شحًا في المعلومات في أغلب المصادر التاريخية (المغربية منها أو المشرقية).

ولما كانت حركة انتشار الإسلام بالمغرب، تدخل في هذين البابين، ونقص الدراسات المتخصصة في هذا المجال ارتأيت أن أخوضه ووقع اختياري عليه مع علمي المسبق بصعوباته، ونقص معلوماته، والدراسات المستقلة به.

وقد دفعني فضولي لقراءة هذا الموضوع والبحث فيه ودراسته دراسة معمقة والتصدي لعمله،مهما بلغت المصاعب التي كنت انتظرها.

خاصة أن هذا الموضوع لأهميته يستحق دراسة خاصة به، لافتقاد المكتبة المغربية له من جهة ومن جهة أخرى لأنه موضوعٌ حيٌّ، ونجد إلى يومنا هذا نقاشات حادة عنه أغلبها من أعداء هذا الدين الإسلامي،ومن أعداء الأمة الإسلامية التي تحاول كلما سمحت لها الظروف أن تفرق بين العرب وإخوانهم المسلمين وتحاول التشكيك في إسلام أهل المغرب الأصليين (البربر).

كما حاولت من خلال اختياري لهذا الموضوع أن أساهم ولو(بعنوان مذكرتي فقط) في الرّد على من يشكّك في إسلامية المغرب،وكذلك لتوضيح أن إسلام البربر كان عن اقتناع وتقبل، ولم يكن بحدّ السيف أو بالإكراه، كما يريد أن يروج لذلك بعض المستشرقين.

وما فتح الأندلس في نهاية القرن الهجري الأول بسواعد البربر لا خير دليل على ما نقول:

ولقد تناولت في بحثي هذا البربر والمغرب حتى قبل الإسلام، لنعطي للموضوع أرضية، ونوضح للقارئ أحوال البربر وبلادهم قبل أن يعرفوا الإسلام والمسلمين، ونعطي تعمقًا وتحليلاً وربطًا للأحداث في تلك الفترة، ومن ثمة محاولة مقارنة المعلومات والأحداث في المغرب بما كانت عليه من قبل.

ومنه الانتقال إلى صلب الموضوع، ودراسة أهم مراحل الفتح الإسلامي بالمغرب دون التفصيل في المعارك الحربية، لأنها حسب رأينا تهم العسكريين أكثر من المؤرخين، كما أن موضوعنا هو دراسة حركة نشر الإسلام، وليس حركة الفتوح في حدّ ذاتها .

وعلى هذا الأساس كان لحركة نشر الإسلام أساليب عدة، ونتائج باهرة سنأتي إليها في حينها.

صعوبات البحث :

إن أهم مشكل واجهني في بحثي هذا هو شحّ المعلومات الخاصة بالموضوع في أمهات المصادر المغربية أو المشرقية منها والتي تعتمد غالبًا على سرد الأحداث السياسية أو العسكرية، ولم تعط المجال الاجتماعي الثقافي بالمغرب أبوابًا خاصة به، لهذا كان لزامًا علينا، قراءة أكبر قدر ممكن من المصادر واستخراج معلومات الموضوع من ثناياها، لأن البحث العلمي يتطلب استيفاء المعلومات من المصادر ثم اللجوء إلى المراجع فيما بعد.

إضافة إلى ضيق الوقت، مع الارتباطات المهنية الأخرى، خاصة أن موضوع كهذا يتطلب تفرغًا كليًا وقراءة متمحصة ومعمقة لحساسيته.

إلى جانب صعوبات أخرى يواجهها أي باحث في الجزائر من نقص الخدمات المكتبية، ورداءتها وبطئها إن وجدت .

لكن رغم هذا وبحمد الله وفقت من الانتهاء منه وتقديمه على شكل مذكرة وبهذه الحلة،ولم يكن يتم ذلك إلا بدفع وتشجيع من الأستاذ المشرف الدكتور صالح بن قربة الذي أزال كل العراقيل، بارك الله فيه وفي علمه وفي صبره معي ورعايته لخطوات البحث من أوله لأخره، فما جاء في هذا البحث من فضل فإليه يعود وما فيه من تقصير فإلي ينسب.

كما أجد نفسي حريصًا على تقديم جزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ عيسى بن الذيب أطال الله في عمره.

كما لا يفوتني شكر أستاذي وصهري محمد ظريف على صبره في تصحيح مذكرتي لما احتوته من أخطاء لغوية وإملائية، جزاه الله كل الخير.

منهج البحث :

اتبعت في دراسي منهجًا تاريخيًا تحليليًا نقديًا، قائمًا على التوثيق والمقارنة والاستنتاج، وفق منهجية الدراسات التاريخية على جمع المادة التوثيقية، وتحليلها بمقارنة نصوصها بعضها ببعض،ونقدها ثم التنسيق فيما بينها، للخروج بعملية استنتاجية تركيبية .

كما رجعت إلى بعض الدراسات الحديثة، وقراءة استنتاجاتها في هذا الموضوع وهذا كله إثراء لبحثي.

وقد قسمت موضوعي إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، أما المقدمة فقد قدمت من خلالها الموضوع وأسباب اختياره وإشكاليته والمنهج الذي اعتمدته في البحث وخطته وتلخيصًا وجيزًا لأهم مصادر ومراجع البحث .

ثم تحدثت في الفصل الأول عن البربر قبل الفتح الإسلامي، وتطرقت فيه لأحوال البلاد الجغرافية وأراء الرحالة حول بلاد المغرب ثم سكانه الأصليين وهم (البربر) ، ثم انتقلت إلى دراسة أحوالهم الاجتماعية، وتطابقها مع نظرائهم العرب، ودرست أهم العناصر المكونة للمغرب من أفارقة وسودان وروم وإفرنج ثم تحدثت بعدها عن الدين أو الديانات التي كانت سائدة بالمغرب قبل الفتح الإسلامي.

وقد ركزت فيها على الديانة المسيحية، لأنها كانت أكثر الديانات تأثيرًا بالمغرب، وموقف البربر منها ومن النزاعات التي عرفتها المسيحية، ولخصت هذا بدراسة الحالة السياسية العامة للمغرب قبيل الفتح الإسلامي وبينت في آخر الفصل تقلص النفوذ البيزنطي على سواحل المغرب، وعدم تجذر المسيحية إطلاقا به، عكس ما يريد أن يرّوج له البعض... ثم انتقلت إلى الفصل الثاني الذي عنونته بالفتوح الإسلامية لبلاد المغرب، وتطرقت لأهم معارك الفتح دون التفصيل فيها لأنها لا تهم الموضوع كثيرًا من جهة ومن جهة أخرى لأن التفصيل فيها يأخذ مجالا أوسع .مع العلم أنها مفصلة في أغلب المصادر والمراجع، بعدها تحدثت عن موقف البربر من ذلك الفتح العظيم وتقبلهم له، مبينًا تشابه أنماط الحياة بين العنصريين (العربي والبربري) لأعرّج على الاتصال الثقافي بين الجنسيين، والذي ساعد في تمتين العلاقة بينها وصولاً إلى توضيح أثر الإسلام في البربر، وملامحه في ذلك،لأنتهي إلى تبيين المساواة في الحياة بين العرب والبربر، والتي لمسها البربر أحسن التماس.

بعد ذلك انتقلت إلى الفصل الثالث، ومن خلاله حاولت تبسيط عوامل انتشار الإسلام بالمغرب من خلال مقارنة بين الدين المسيحي والإسلامي في بلاد المغرب إلى جانب أهم العوامل التي ساعدته في الانتشار ومنها الهجرات العربية إلى بلاد المغرب ودور الدعوة السلمية في تقدم الإسلام إلى جانب دور الحواضر الثقافية العربية بالمغرب، وبالموازات بينت أثر اللغة العربية في التعريف بقواعد الإسلام، كما تطرقت لعنصر هام ألا وهو المرأة ودورها في نشر الإسلام من خلال التربية الاجتماعية إلى جانب فتح الأندلس وعلاقتها المباشرة بالمغرب وبالبربر الفاتحين، لأختم هذا الفصل بتبيين مدى مساهمة بلاد المغرب في الحضارة الإسلامية . ثم أنهيت بحثي بخاتمة وهي عبارة عن خلاصة عامة لأهم النتائج التي توصلت إليها من بحثي هذا وقد أرفقت كل ذلك بملاحق وضبط بمصادر ومراجع وفهارس الأعلام والأماكن والموضوعات .

دراسة في المصادر والمراجع :

إن دراسة انتشار الإسلام في أي عصر من العصور وفي أي منطقة من المناطق يتطلب من الباحث الرجوع إلى مصادر متنوعة سواء كانت تلك مصادر تاريخية أم جغرافية أم فقهية على اختلاف مذاهبها لأن المعلومات التي تناولت هذه الموضوع مبعثرة بين ثنايا تلك المصادر، وليس هناك مصنف واحد يجمع مثل هذه المعلومات لذا يجد الباحث صعوبة كبيرة خاصة إذا كانت مصادر الفترة مفقودة، ولذا يضطر الباحث إلى الرجوع إلى المصادر المتأخرة أو البعيدة عن مكان البحث علّه يجد فيها شيئًا يذكر فضلاً عن المصادر الضائعة.

ورغم أن قيمة أي بحث تاريخي [illegible] باعتماده على وثائق أصلية بمعنى التي عايشت الأحداث والتي تكون قر[illegible]ن مكانها، لكن في بحثنا هذا الذي يدرس انتشار الإسلام بالمغرب خلال القرن الأول الهجري فإننا نستطيع أن نؤكد انعدام أي مصدر أو وثيقة عايشت الأحداث، لهذا لجأنا إلى بعض المخطوطات غير المحققة في المكتبة الوطنية عسى أن نجد فيها ما لم يذكر، لكن حرصًا منا على تتبع المنهجية التاريخية، نفضل تقييم مصادر البحث انطلاقًا من ترتيبها الزمني فكان أقدمها كتاب " فتوح مصر والمغرب " لابن عبد الحكم، المتوفي سنة 257 هـ الذي يظهر أنه ذكر تاريخ فتح إفريقية والمغرب والأندلس استكمالا لتاريخ فتح مصر، وهذا ما يفسر قلة ما كتبه عن المغرب والأندلس بالقياس إلى ما كتبه عن مصر، ويبدو أن معظم أخباره كان يستقيها من مصادر مشرقية . وقد يورد للخبر روايات مختلفة، مما يدل على تحريه الدقة والأمانة، وقد اعتمدت على النسخة التي حققها عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني - لبنان 1964 .

- كما يعتبر كتاب فتوح البلدان للبلاذري المتوفي سنة 279 هـ .من أقدم ما وصلنا عن تاريخ إفريقية. وقد روى البلاذري معظم أخباره عن كتاب الواقدي الذي لا يزال مفقودُا، وتتسم أخباره بالإيجاز الشديد، وهو الأمر الذي جعلها خالية من تلك الأساطير، التي تتسم بها أغلب المصادر، لكن ما يؤخذ على كتاب البلاذري أنه يقع في كثير من الاضطراب والتناقض في بعض الأحداث .

كما اعتمدت على كتب بعض الأندلسيين نذكر منهم كتاب " العقد الفريد " لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفي سنة 328 هـ ، تحقيق علي شيري ، دار إحيار التراث العربي، ط3، لبنان، 1999، وهي أحدث طبعة، حيث تكمن أهمية هذا الكتاب على أنه ليس كتابًا عاديًا، أو موضوعًا واحدًا بل هو خزانة كتب، وموسوعة مواضيع، وقد أفادني في الإطلاع على خطبة عبد الله بن الزبير بعد فتح إفريقية (معركة سبيطلة).

ـ أما كتاب التميمي المتوفي سنة 333 هـ المعنوّن بطبقات علماء إفريقية، فهو كتاب وضعه صاحبه في طبقات رجال القيروان، وصدّره بمقدمة يسيرة عن أخبار الفتح وفضل إفريقية، رغم أنه يقع في اختلاف مع كثير من المؤرخين في تواريخ بعض الأحداث، وقد اعتمدت على الطبعة التي حققها الدكتور علي الشابي، ونعيم حسن السيافي، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثانية 1958 .

كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن القوطية المتوفي سنة 367 هـ ، وقد اعتمدت على النسخة التي حققها إسماعيل العربي المؤسسة الوطنية للكتاب 1989، وقد أفادني كثيرًا الكتاب في ذكر أحوال فتح الأندلس وأخباره.

كما استفدنا إفادة كبيرة من التاريخ الذي كتبه الرقيق القيرواني الذي يُعَدُّ أوفى وأشمل ما كتب عن تاريخ إفريقية والمغرب، وما تعاقب فيها من أحداث منذ مطلع تاريخها الإسلامي إلى القرن الخامس الهجري، وقد كان أشهر كتاب قبله عن أخبار هذا البلد وأخبار الفتح بها خاصة، هو كتاب الواقدي المعنوّن بمغازي إفريقية، وربما يكون قد ألّف عدد كبير من القيروانيين عن تاريخ بلادهم قبل ظهور الرقيق، غير أن كتبهم قد تكون تكرر بعضها ، ولا تستوعب رواية الأحداث بصورة تفصيلية شاملة ودقيقة، وهذا، ما حصل بعد ظهور كتاب الرقيق عن تاريخ إفريقية والمغرب ، فلم يعد هناك ذكر للواقدي أو لإبن الوكيل، أو لإبن الورّاق ولغيرهم من قدامى المؤرخين والإخباريين المغاربة، حيث غطى كتاب الرقيق على كتبهم جميعًا، وهو ما جعله يُصبح عمدة المؤرخين في معظم ما يوردونه من أخبار الفتح والولايات والدول ، التي شهدتها بلاد إفريقية والمغرب بصفة عامة . ولهذا كان كتاب الرقيق المصدر المفضل عند ابن عذاري والنويري وابن خلدون ، وحسن الوزّان ، والتجاني وغيرهم، الذين نقلوا عنه بصورة غير مباشرة .

هناك ملاحظة يضعها بعض المؤرخين عن الرقيق أو الواقدي حيث يعتبرونهما من الرواة غير الثقاة، رغم أن أغلب مؤرخي العصور الوسطى الأولى كانوا يعمدون إلى النقل عن بعضهم بدون تنصيص، وبعض المؤرخين يجدون لزامًا عليهم عند اختلاف الروايات أن يسمّوا أصحابها أو المصادر التي نقلوا عنها.

هذا ما يؤخذ على ابن الرقيق في عدم عنايته بالسند في الأخبار،فقلما نصادف خبرًا يسوقه بإسنادٍ مُعَنْعَنٍ، ويمكن أن نحصي عدد رواته فلا نجدهم يتجاوزون العشرة، وبعضهم من المشرق.

نختم كلامنا عن ابن الرقيق بذكر ميزة كتابه في عنايته بتحديد الأماكن والدّقة في تأريخ الوقائع والأحداث، فهو الوحيد بين المؤرخين الذي حدّد الموضع الذي نزل به زهير بن قيس قبل أن يلتحم بكسيلة وعسكره، كذلك المكان الذي لحق فيه العرب الروم والبربر بعد هزيمة كسيلة، كما نجده الوحيد بين المؤرخين الذي يذكر أسماء بعض الأماكن باللسان البربري، وهو الوحيد أيضا الذي ذكر أسماء ولدي الكاهنة، وتفصيل أخبار رجوع موسى بن نصير إلى الشام، وغيرها من الأخبار التي نجدها مختصرة عند أغلب المؤرخين الذين اشتهروا بالتوسع والتفصيل كابن عذاري .

كما جاء كتاب رياض النفوس للمالكي المتوفي سنة 453 هـ تحقيق بشير البكوش ط 2 ، دار الغرب الإسلامي - لبنان 1994 . على قسم تاريخ فتح إفريقية، وعلى قصره بالنسبة لطول الكتاب ، أكثر تفصيلاً وشمولاً مما ورد في كثير من الكتب الأخرى حيث تكمن أهميته أنه لم يعتمد كثيرًا على كتب المشارقة، بل اعتمد على مؤلفات القيروانيين وأهل المغرب بصفة عامة كما يعتمد على كتاب رياض النفوس معظم مؤرخي المغرب ويعتبر عمدة المؤرخين في دراسة فتح إفريقية، وتراجم أعلامها، وخصائص حياتها من كل الجوانب.

ليأتي بعده من حيث التسلسل الزمني كتاب البكري المتوفي سنة 487 هـ ،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من الكتاب المسالك والممالك، نشر دي سلان، المطبعة الحكومية، الجزائر 1857، وجاء كتابه عن وصف جغرافية إفريقية وتاريخها، بمعنى أنه انصرف إلى جغرافية إفريقية لكنه كان يداخل وصفه بنبذ تاريخية، ومن هنا كان كتابه من أوثق المصادر، خاصة أنه اعتمد على كتاب الوراق الملقب بالتاريخي، وقد استفدت منه خاصة في تقسيم القبائل بالمغرب وأماكن تواجدها، وفصله للقبائل الإفريقية بمعزل عن العربية أو البربرية .

كما كان لزامًا علينا الاعتماد على مصادر المغاربة بالدرجة الأولى والتي كانت قريبة زمنيًا من عهد الفتح رغم قلتها، وبعدها الزمني في غالب الأحيان، والتي يرجع أسباب تخلفها عن انعدام المدارس والتأريخ في تلك الفترة المبكرة، ثم الانتقال إلى كتب المشارقة الذين كتبوا عن المغرب، لذا فإننا سنورد قائمة المصادر وتقييمها على درجة أهميتها في كتابة هذا البحث، حيث اعتمدنا على مصادر مغربية متأخرة عن زمن الفتح بالمقارنة مع مصادر أخرى قريبة لكنها أقل فائدة، ويمكن أن نبدأ بأهم مصدر في بحثنا هذا على الإطلاق والذي يجمع حوله الدارسون لتاريخ إفريقية والمغرب على أنه ليس بين الكتب المعتمدة في هذا الموضوع.

أهم من كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " لإبن عذاري المراكشي توفي أواخر القرن السابع الهجري، حيث يعد هذا الكتاب من أهم المصادر لدراسة تاريخ المغرب خاصة وأنه أقدم كتاب في التاريخ المغربي بين أيدينا، صحيح أن كتاب المعجب للمراكشي أو كتاب تاريخ إفريقية للرقيق أو كتاب فتوح إفريقية للواقدي قد سبقت كتاب البيان إلا أن أهميته تكمن في اعتماده على مصادر بعضها معروف وبعضها غير معروف، ككتاب الأنوار الجلية، وبعضها لا توجد منها إلا أجزاء مثل كتاب " ابن صاحب الصلاة " وابن القطان و" المقتبس لإبن حيان" هذا إلى جانب اعتماد ابن عذاري على الروايات المعاصرة للأحداث، وقد استفدت من كتاب ابن عذاري على جزءه الأول الذي يسرد فيه أخبار المغرب حين الفتح، كما أفادني هذا الجزء في معرفة أوضاع المغرب السياسية، الاجتماعية والاقتصادية أثناء الفتح، كما يعتبر البيان من بين الكتب التي احتفظت لنا بأكبر قدر ممكن من أقوال الرقيق في كتابه عن إفريقية، المفقود بعضه، وقد اعتمدت على طبعة دار الثقافة ، لبنان 1983 التي قام بتحقيقها الأستاذ ليفي بروفنسال.

ـ نفس الشيء نستطيع قوله على كتاب ابن الأثير توفي 630 هـ"الكامل في التاريخ"،الذي اعتمد على كتب المغاربة لأنهم أخبر ببلدهم ويثبت ما ذكروه في كتبهم، لهذا جاء كتابه مستفيضًا بأخبار إفريقية أكثر من أي مؤرخ سابق.

كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي المتوفي سنة 647هـ رغم أنه متأخر نوعًا ما عن زمن الفتح، إلا أنني استفدت منه خاصة في حوادث فتح الأندلس وفي تبيين سياسة المساواة التي انتهجها موسى بن نصير في التآخي بين العرب والبربر وتثبيت دعائم الإسلام في نفوس البربر خاصة .

ـ أما كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للدباغ المتوفي 696 هـ فهو يعتمد بصفة كلية على كتاب المالكي رياض النفوس وانحصر كتابه على أهميته النقدية للكتب الأخرى، ولا يتعدى كونه اعتراضًا وردودًا ذا طابع شكلي في غالب الأحيان، كما أنه وقع في بعض الأخطاء في تواريخ بناء المساجد التي أرجع بعضها إلى ما قبل بناء مدينة القيروان في تواريخ انفرد بها عن باقي المؤرخين.

ـ وأما أهم الكتب التي لها علاقة مباشرة بموضوعي رغم أنها متأخرة زمنيًا عنه فهو كتاب نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، والمنتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، الذي نشره ليفي بروفنسال، المعهد العالي للدراسات المغربية، منشورات فليكس مونشو 1934، فإن أهميته نستنتجها فيما جاء في مقدمة كتابه حين قال " أنه لما كانت البربر

عند كثير من الناس أخسر الأمم وأجهلها وأعراها من الفضائل وأبعدها من المكارم، رأيت أن أذكر ملوكهم في الإسلام ورؤساءَهم وثوارهم وأنسابهم وبعض أعلامهم وتواريخ أزماتهم دون أخبارهم..."

ـ أما كتاب ابن الخطيب المتوفي 776 هـ تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط فقد اعتمدت على الطبعة التي حققها أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964،وقد أفادني كثيرًا في توضيح سياسة الخلافة تجاه المغرب وإفريقية (القيروان) خاصة أين قرر الأمراء أن يتخذوا من إفريقية مقرًا لسكناهم وأساسًا لمبناهم بعدما كانوا يلاقون من قبل الغدر، وأصبحت بذلك سياسة يتوارثها الخلف عن السلف .

كما ركزت في بحثي على تاريخ ابن خلدون المتوفي سنة808 هـ المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، واعتمدت طبعة حديثة لسلسلة العلوم الإنسانية، الجزائر 1996. ونقول عن هذا الكتاب أنه ركيزة أساسية لمن يريد دراسة المغرب، حيث لا نجد كتاب يفصل فيه في تسميه المغرب وحدوده ومفاوزه وجذوره ومدنه ومناخاته إلى جانب أحوال البربر وأصولهم وتفرعاتهم ومجاراتهم للدول من كتاب ابن خلدون، حيث أعطى هذا الأخير جزءًا كاملاً عن البربر بإفريقية والمغرب وهو الجزء الذي ذكر فيه أخبارهم، على الجملة، من قبل الفتح الإسلامي ومن بعده، وعلى إيجاز ما كتبه ابن خلدون في هذا الفصل نجد له ملاحظات كبيرة الأهمية وإشارات مفيدة تفرد بها مع ذلك، ويعزى ذلك بلا شك إلى صلة ابن خلدون القوية بتاريخ هذه البلاد واستقائه المباشر من مصادر محلية، ربما لم يحظ غيره بتصفحها أو الاستفادة منها مثله.

كما لجأت في بحثي إلى بعض المخطوطات في المكتبة الوطنية عسى أن أجد فيها ما لم يذكر ومنها مخطوط،انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك لصاحبه الغرناطي 839 هـ/1435م والذي بين فيه فضل سكان المغرب وفضل مذهبهم المالكي على سائر المذاهب الأخرى، وهذا استنادًا إلى أحد أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم .

كما ورد في إحدى المخطوطات أن هناك من قبائل البربر من دخل الإسلام قبيل الفتح وتحديدًا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وجاء هذا في مخطوط " كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان " لمؤلفه الشطيبي 1039 هـ/1630م .

كما أننا وجدنا مخطوطًا آخر تحت عنوان "المنتخب في تحذير من يبغض العرب " للسماني 1099م/ 1101م، ومن عنوانه نفهم ما جاء فيه حيث

أنه يوضح الأحاديث التي تفضل العربية، وهي لغة القرآن، وتبين دورها في حركة التعريب.

لنتخم مخطوطاتنا بمخطوط من مخطوطات أهل الأندلس الأصليين الذي جاء تحت عنوان " مفتاح الدين والمجادلة بين النصارى والمسلمين من قول الأنبياء والمرسلين والعلماء الراشدين الذي قرؤوا الأناجيل" لمجهول والذي يوضح انتصار الدين الإسلامي وتفوقه على الدين المسيحي بالأندلس، واعتناقه حتى من الإسبان أنفسهم .

بالإضافة إلى بعض الكتب الجغرافية التي اعتمدتها في بحثي والتي لا يمكن الاستغناء عنها وكانت أولها:

ـ مختصر كتاب البلدان لأبي بكر أحمد بن محمد ابن الفقيه المتوفي 290 هـ الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي ، لبنان 1988، حيث وصف لنا أهم المدن بالمغرب وصفًا دقيقًا وبأسلوب يشوق القارئ ، إلى جانب كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ت 367 هـ) حيث أمدنا بمعلومات قيمة عن المراكز التجارية بالمغرب خاصة عندما تحدث عن القيروان حيث قال أنها أعظم مدينة بالمغرب وأكثرها تجارة وأموال.

ـ و"كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" لأبي عبد الله محمد المقدسي المتوفي 378 هـ حيث أنه لا يمكن لأي باحث دراسة المغرب دون اللجوء إلى كتاب المقدسي لما فيه من تفصيل في أرضه وأقاليمه وشعابه ومناخاته .

ومن أهم الكتب الجغرافية التي اعتمدتها في هذا المجال كتاب "معجم البلدان " لياقوت الحموي (ت 626 هـ) الذي لم يترك مدينة أو إقليمًا لم يشر إليه في كتابه هذا بأسلوب بسيط سهل مفهوم .

كما رجعت إلى كتاب رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) المتوفي سنة 779 هـ الذي وصف المعلومات الدقيقة بين المدن بالمراحل. وذكر الأبعاد الزمنية كالأيام والأذرعة وفق سرعة النقل في ذلك الزمان إلى جانب الأبعاد بين المدينة والأخرى بالمقاييس كالفراسخ.

أما عن كتب الفقه فقد اعتمدت على كتاب " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب " لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي المتوفي سنة 914 هـ وقد اعتمدت على طبعة الشافعة، فاس

التي وردت دون تاريخ . وقد أفادتني نوازله في دراسته عادات النكاح بالأنساب مثلا وقضايا المهر. وزواج الأقارب في المغرب وتطابقها مع العادات العربية إضافة إلى كتب التراجم التي أوردتها حسب تسلسلها الزمني مع كتب التاريخ العام.

وإلى جانب تلك المصادر الرئيسية استعنت أيضًا ببعض المراجع الحديثة وبعض المقالات والدوريات والرسائل الجامعية التي وضحت لي مسائل كثيرة كانت معقدة في بداية البحث وسأذكر أهم تلك المراجع المعتمدة :

ـ تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال لسعد زغلول عبد الحميد.

ـ المغرب الكبير (العصر الإسلامي السيد سالم عبد العزيز).

ـ تاريخ الفتح العربي في ليبيا للزاوي أحمد الطاهر.

ـ الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية للريس محمد ضياء الدين.

ـ الأمويون والبيزنطيون للعدوي إبراهيم أحمد.

ـ المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية لعاشور سعيد.

ـ الدعوة إلى الإسلام لأرلوند توماس .

ـ الإسلام في المغرب والأندلس لليفي بروفنسال .

ـ تاريخ الغرب الإسلامي لبوتشيش إبراهيم القادري.

ـ القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية للحبيب الجنحاني .

ـ تاريخ إفريقيا الشمالية لشارل أندري جوليان .

ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي لحسن إبراهيم حسن.

ـ تاريخ المغرب الإسلامي للدكتور موسى لقبال .

ـ الإسلام والثقافة العربية في إفريقية لمحمود حسن أحمد.

ـ تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر لحسين مؤنس.

إضافة إلى دراسات باللغات الأجنبية وكانت أهمها :

- Cuoq Josèphe : Les Muslmans en Afrique.

- Gautier (E.F) le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscures.

- Marçais George : L'art muslman .

- Les bijoux Muslmans de l'Afrique du nord.

- Terrasse Henri : l'islam d'Espagne, une rencontre de l'orient et de l'occident.

- Weit gaston : grandeur de l'islam de Mohamet à François 1er

كما استفدت من مجموعة من الرسائل والمقالات سواء في المجلات وحتى في الجرائد ومن أقلام مؤرخين بارزين والتي أفادتني إفادة كبيرة في موضوعي هذا.

وأخيرًا أتوجه بالشكر الخالص لأستاذي المشرف الدكتور صالح بن قربة الذي أشرف على البحث من بدايته إلى نهايته، جزاه الله عني كل خير.

وأقول في الأخير أنني حاولت ما استعطت وبما توفر لدي من مصادر ومراجع على أن تكون هذه المذكرة بهذه النسخة ولا أزعم على كل حال أنني وصلت ولكني أبادر إلى القول صادقا أنني حاولت وصبرت وقدمت جهدًا أرضى عنه وأرتاح إليه وما الكمال إلاّ لله وحده وأنا أعتذر سلفا عن كل تقصير أو سهو وقعت فيه وقد تكون هفواتي كثيرة وأقول ما قاله أحمد بن إبراهيم الحقيل في كتابه " زهر الآداب "

وليس لي في تأليفه من الافتخار أكثر من حسن النقل والاختيار.

فإن زل طرفي أو كبا فهي حلبة يزل بها الطرف المطهم جريا

فعفوًا جميلا عن خطأي فإنني أقول كما قال من كان شاكيا

لعمري لقد أنفقت في العلم قوتي ولم آل جهدًا في إقتناص العواليا

وطفت وفتشت الطروس وليتني خلصت كفافا لا على ولاليا

والله الولي الموفق نعم المولى ونعم النصير

تمهيـــد

1 ـ أحوال البلاد والسكان

أ ـ المغرب
ب ـ السكــان .

2 ـ التنظيم الاجتماعي .

أ ـ الأفــارق .
ب ـ الســودان .
ج ـ الروم والفرنج .
د ـ اليهـــود

3 ـ الديــن

4 ـ أحوال المسيحية بالمغرب قبيل الفتح الإسلامي .

5 ـ موقف البربر من النزاع المذهبي المسيحي .

6 ـ الحالة السياسية قبيل الفتح الإسلامي .

7 ـ تقلص النفوذ البيزنطي على سواحل المغرب .

1 ـ البربر قبل الفتح الإسلامي :

تمهيـــد :

لا يمكن لأي باحث في تاريخ الفتح الإسلامي، وفي أي منطقة ما من الدخول مباشرة في موضوعه دون الرجوع إلى أحوال البلاد الطبيعية أو المناخية وحدودها ومفاوتها، كما لا يمكنه غض النظر عن أحوال السكان ، وتفرعاتهم وأصولهم، وتنظيمهم الاجتماعي أو القبلي، وأخبارهم عبر التاريخ وصولا إلى الفترة التي يودّ دراستها ومن هنا كان لزامًا علينا دراسة أحوال المغرب وسكانه وأخبارهم العامة قبيل الفتح الإسلامي لهذا القطر من الأرض .

ـ أحوال البلاد والسكان :

أ / المغـرب

لقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في إعطاء تسمية أو مصطلح موحد لهذا الإقليم، فأطلقوا عدة تسميات على هذا الجزء من الأرض ، كنوميديا [1] وليبيا [2] ، وشمال إفريقيا وقرطاجنة [3]، وإفريقية [4] ، وبلاد البربر[5].

(1) نوميديا: لم يذكر مؤرخو التاريخ الإسلامي العام، كالطبري وابن الأثير، وابن خلدون، وابن عذاري، وابن كثير هذا المصطلح، لكنه ذكر في بعض الموسوعات على أنه إقليم قديم في شمال غرب إفريقيا، كان جزءًا من إمبراطورية قرطاجة حتى انضم ما سينيسا حاكم نوميديا إلى الرومان(206 ق.م) في الحرب البونية الثانية،ومنح استقلاله بمقتضى الصلح(201ق.م)، محمد شفيق غربال، **الموسوعة العربية الميسرة،** ج2 دار الجيل والجمعية العصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 1416هـ/ 1995م، ص: 1862، كما قسم الرومان " ممالك البربر" إلى ثلاث وحدات سياسية هي نوميديا وعاصمتها قرطة (قسنطينة)، وموريطانيا القيصرية وعاصمتها شرشال، وموريطانيا الطنجية وعاصمتها طنجة، رشيد الناظوري، **المغرب القديم العصور القديمة،** ج1 دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان 1981م، ص 291.

(2) ليبيا : اسم أطلقه الإغريق على قارة أفريقيا حدودها الشرقية عند النيل أو غرب مصر، يحيط بها البحر من كل جانب، كان رأي سائد لدى الإغريق أن إفريقيا تشبه مثلثا قائم الزاوية (زاويته القائمة عند السويس) وأنها تقع شمال خط الاستواء . غربال، المرجع السابق، ج2، ص: 1590.

(3) قرطاجنة: بالفتح ثم السكون وطاء مهلمة وجيم ونون مشدّدة قيل: أن إسم هذه المدينة قرطا ⟸ وأضيف إليها جنة

واستمر الحال كذلك إلى أن دخل الإسلام إلى هذه البقاع،وعم مصطلح المغرب الإسلامي[1].

وقد أطنب الجغرافيون والرحالة في وصف أرض المغرب، وأقاليمه، وشعابه ووديانه، وحصونه وجذوره، ومدنه ومناخاته، وبعبارات المدح والتفصيل، وبأساليب لغوية تشوّق القارئ.

كما اختلف في حدوده ومفاوزه، ومسالكه ومقاطعه، باختلاف الرواة والكتاب والروايات وسائر الأطراف (أنظر خريطة رقم 01) .

به مواضيع للحر وأخرى للبرد، فأما الحر فنجده من مصر إلى السوس الأقصى إلا في مواضع فإن بها جبال، وبلدانًا بارزة والغالب على الأندلس البرد لأنها جعلت مع المغرب كهيطل وخراسان [2] .

⟸لطيبها ونزهتها وحسنها، بلد قديم من نواحي إفريقية، ذكرها بطليموس في كتابه الملحمة، الحموي (البغدادي)، معجم البلدان، مج 4 ، دار صادر، بيروت - لبنان 1995ص: 323 .

(4) إفريقية : بكسر الهمزة وهو اسم لبلاد واسعة وهي مملكة كبيرة، قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس ، سميت بإفريقش بن صيفي بن سبأ وهو الذي اختطها وذكروا أنها سميت بفارق بين بيصر بن حام بن نوح، وأن أخاه مصر لما حاز لنفسه مصر، حاز فارق بإفريقية، وسميت بلاد إفريقية وما وراءها بلاد المغرب، لأنها فرقت بين مصر والمغرب، وحدها من إطرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية وقيل إلى مليانة، فتكون مسافة طولها شهرين ونصف، وقال البكري الأندلسي: حدّ إفريقية من برقة شرقًا إلى طنجة الخضراء غربًا وعرضها من البحر إلى الرمال التي في
أول بلاد السودان ، الحموي، نفسه، ج1 ص: 228.

(5) بلاد البربر، لقد أفردنا عنوانًا لبربر في فصلنا هذا، عند حديثنا عن السكان .

(1) يذكر ابن خلدون أن لفظ المغرب في أصل وضعه اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة المشرق، ولفظ المشرق كذلك بإضافته إلى جهة المغرب، فكل مكان من الأرض مغرب بالإضافة إلى جهة المشرف و والعكس صحيح، لكن العرب خصت هذه الأسماء بجهات معينة، والمغرب قطر واحد مميز بين الأقطار، فحده من جهة المغرب بحر المحيط، وهو عنصر الماء، وسمي محيطًا لإحاطته بها انكشف من الأرض، أنظر ابن خلدون ، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج12، سلسلة العلوم الإنسانية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية ، الجزائر، 1996، ص:193.

(2) المقدسي (البشاري)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه، د.محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان 1408هـ/ 1987م، ص : 195.

وحدّ المغرب على ذكر أغلب المؤرخين أنه من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب،وحده مدينة سلا، ويقسم عادة المغرب إلى ثلاثة أقسام :

فأوله يبدأ من الإسكندرية إلى إطرابلس ،وهو أكبر أقسام المغرب مساحة لكنه أقلها عمارة . وقسم من إطرابلس إلى مدينة تيهرت أو هي بلاد " الجريد " [1] ويقال أيضا بلاد الزاب الأعلى، يليها بلاد الزاب الأسفل .

وبلاد المغرب ، هي بلاد طنجة ، حدها سلا وهي آخر المغرب .

وإذا أخذنا إلى ناحية الجنوب ، تركنا مغرب الشمس يمنة، وأخذنا طريق القبلة ، فتسمى تلك البلاد بلاد تامسنا أو السوس الأدنى وحدها إلى جبل درن، يليها بلاد السوس الأقصى التي تعرف ببلاد ماسة، وخلفها بلاد السودان وهي بلاد الزنج .

أما من المغرب فنجد البحر المحيط المسمى الأبلاية، (2) وبهذه الحدود يبدو المغرب كالجزيرة (3).

---

(1) بلاد الجريد،ذكرها ابن خلدون على أنها قبلة تونس، وهي نفطة وتوزر وقفزة وبلاد نفزاوة، وتسمى كلها بلاد قسطيلة، مستبحرة العمران مستحكمة الحضارة ، مشتملة على النخل والأنهار، ابن خلدون، ج12 ، ص:199.

(2) أطلق صاحب البيان مصطلح الأبلايه على بحر الظلمات(الأطلنطي) (وسمي أيضًا بحر الظلمات لما أنه تقل فيه الأضواء من الأشعة المنعكسة على سطح الأرض من الشمس، لبعده عن الأرض فيكون مظلمًا، كما تسميه الأعاجم بحر أقيانوس، يعنون به ما نعين به نحن بالعنصر، ويسمونه أيضًا بحر البلايه، بتفخيم اللام الثانية، ابن خلدون المصدر السابق،ج12، ص : 193 - 194.

(3) ابن عذاري المراكشي **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان، أ، ليفي بروفنسال، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة1983، ص :6، أنظر كذلك عبد الحميد سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال** ،الجزء الأول، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1979، ص:61، والذي يقصد به الكُتّاب العرب كل الأقاليم الواقعة غرب مصر، والتي تشمل شمال القارة الإفريقية وتتضمن حاليًا البلاد الليبية (برقة، طرابلس ، فزان) وتونس، والجزائر بصحرائها المترامية إلى تخوم السودان، وأخيرًا المغرب الذي كان يعرف إلى عهد قريب باسم مراكش، ويمتد طبيعيًا نحو الجنوب إلى تخوم السينغال والنيجر،أنظر كذلك الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذي يذكر أن بلاد المغرب عرفت منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة، وقد قسّم المغرب إلى أربعة أقسام عكس تقسيم ابن عذاري الذي قسّمه إلى ثلاثة أقسام، أنظر سالم عبد العزيز السيد، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي** مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ت، ص: 40 - 41.

أمّا مسالك وطرق المغرب والحدود بين أجزائه فقد فصّل فيها المؤرخون ، وخاصة الجغرافيون الرحالة، فقد ذكر اليعقوبي أنّه من أراد أن يسلك برقة وأقاصي المغرب وهو في مصر فعليه أن ينفذ من الفسطاط، من الناحية الغربية لنهر النيل، حتى يصل إلى مدينة تعرف باسم "ترنوط"[(1)]،ثم يواصل السير حتى يصل إلى المنزل المعروف بذات الحمام، وهو من عمل الإسكندرية، ومنازل أخرى البعض منها على الساحل والبعض الآخر بالقرب منه [(2)].

وبين الفسطاط وبرقة ستمائة وستون ميلاً(660 ميلاً) [(3)] ،وبرقة مدينة حسناء، عليها سور وأبواب وحولها أرباض [(4)]، وبها خليط من الناس أكثرهم من الجند، ويفصل البحر المالح برقة بستة أميال، وترسي المراكب بساحل يعرف " بطلمثية " ويحيط بها جبلان يعرفان بالشرق والغرب! ويقطنها قبائل عربية من الأزد ولخم وجذام وغيرهم، كما تقطنه قبائل بربرية من لواتة وزكودة وزنارة، كما بقيت فيها أثار الروم من الحصون والآبار، ومن مدينة برقة إلى أجذابية أربع مراحل .

ومنها إلى مدينة سيرت على ساحل البحر خمس مراحل [(5)] أمّا الطريق من برقة على القيروان فهو في ستمائة وثمانية وثلاثون ميلاً ، ومنها إلى سبيطلة سبعون ميلا، ثم قابس وجلولاء ___________

(1) ترنوط : بالفتح ثم السّكون وضم النون وواو ساكنة وطاء مهملة، قريبة بين مصر والإسكندرية، كان بها وقعة بين عمرو بن العاص أيام الفتوح وهي قرية كبيرة جامعة على النيل فيها أسواق ومسجد جامع وكنيسة، خربتها كتامة مع قاسم بن عبيد الله، وقيل فيها شعرًا : لا تطول الأعمال كما تطول بترنوط وفرغانة، الحموي، المصدر السابق، ج2، ص:27.

(2) اليعقوبي، **كتاب البلدان**، دار إحياء علوم التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، ص: 99 .

(3) الميل: اتفقت المراجع العربية على أن الميل طوله أربعة آلاف ذراع (بالمرسلة) فيكون إذن : 4000 × 46.2 = 1848م ، وقد ذكر معجم أكسفورد الأنجليزي أم الميل البدري أو الجغرافي الذي هو دقيقة من دائرة الأرض الكبرى، قد حددته البحرية البريطانية بأنه 6080 قدمًا، فإذا ضربنا هذا في مقدار القدم الأنجليزي وهو 30.4 س كان الناتج 1848.32 مترًا، وهو نفس الرقم الذي وصلنا إليه، محمد ضياء الدين الريس، **الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، 1971، ص: 309.

(4) ابن الفقيه ، **مختصر كتاب البلدان**،دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988، ص: 77.

(5) منهري بيريس ، **وصف إفريقيا الشمالية**، مأخوذ من كتاب البلدان ، مكتبة الدروس العليا الإسلامية بالجزائر

وقفصة وقصطيلية [1] .

ومن أعمال برقة ودان ومن ودان مما يلي القبلة زويلة المعروفة بمزارعها ونخلها وجلودها، وإلى الشمال إطرابلس وهي على الساحل (خريطة رقم 02).

ومن القيروان على ساحل البحر مدينة عظيمة الشأن بها واسمها قديمًا قرطاجنة، يحيط بسورها إحدى وعشرون ألف ذراع[2] ،وبينها وبين مدينة باجة ثلاث مراحل، ومن القيروان إلى مدينة الأربص، مرحلتان .

وبين القيروان ومدينة مجانة أربع مراحل وفيها معدن الفضة والحديد والرصاص ومما يلي القبلة من الساحل إلى اسفاقص مرحلتان، ومنها إلى بنزرت مسيرة ثمانية أيام وفي كل الطريق، الحصون المتقاربة التي ينزل إليها العباد والمرابطون[3] .

وبين القيروان وبلاد الزاب عشرة مراحل ، وبها طبنة وهي مقر الولاة ، وبلد الزاب واسع، وبها مدينة تدعى باغاية وحولها قوم من البربر من هوارة من جبل الأوراس وبعدها مدينة كبيرة يقال لها ميلة التي عرفت بحصونها المتتالية، وإلى الساحل مرسى يقال له جيجل، وثان يدعى قلعة خطاب، وآخر اسكيدة ومنها إلى مقرة، وإذا وصلنا الطريق غربًا حتى نصل المدينة

الجزائر، 1380هـ/ 1960م، ص: 3 - 4 - 5، والمرحلة على ذكر أغلب معاجم العصر الوسيط المعلومات الدقيقة ، إذ تصف المدن والأبعاد بين المدينة والأخرى بالمقاييس كالفراسخ والأبعاد الزمنية كالأيام والأذرعة وفق سرعة وسائل النقل في ذلك الزمان ، ابن بطوطة ، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار**، شرح طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ت، ص: 6 وعادة ما تعرّف المرحلة بثلاثين كيلومتر حاليًا .

(1) ابن فقيه، المصدر السابق، ص: 77، لمزيد من التفصيل حول حدود المغرب أنظر، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص:42 وما بعدها، كذلك سعد زغلول، المرجع السابق، ص: 61 وما بعدها .
(2) الأذرع : فهي سبع أنواع: أقصرها القاضية، ثم اليوسفية ثم السوداء، ثم الهاشمية الصغرى وهي البلالية، ثم الهاشمية الكبرى ، وهي الزيادية ثم العمرية، ثم الميزانية، وهي تختلف فيما بينها بأصبع أو إصبعين فقط،، وكل ذراع تنسب إلى صاحبها، وكانت تقاس في عهده، لمزيد من التفصيل أرجع إلى الريس، المرجع السابق، ص: 288، وفي موضع آخر يذكر القلقشندي أن ذراع اليد ست قبضات، بقبضة إنسان معتدل، كل قبضة بأربعة أصابع، بالخنصر والبنصر والوسطى والسبابة كل أصبع ستة شعيرات معترضات، ص: 292.
(3) المرابطون، هم الذين يرابطون في الحصون، والأربط نوع من المباني العسكرية كان يأوي إليها المجاهدون، وكانت الأربطة منتشرة في صدر الإسلام، وبخاصة في شمال إفريقيا، الحموي المصدر السابق، ج1، ص: 860.

التي تسمى عراق المغرب هي تاهرت الجليلة المقدار [1] .

وبينها وبين إفريقية مسيرة شهر على الإبل، ومنها إلى المدينة المشهورة بالمغرب التي يقال لها تلمسين (تلمسان) [2] مسيرة خمسة وعشرين يومًا عمران كله [3] .

ومن تلمسان إلى فاس وهي مدينة عظيمة وكلها عمارة ومنازل، وبها نهر يقال أنه أعظم أنهار الأرض، ومنها إلى مدينة سجلماسة التي بينها وبين البحر عدة مراحل،وأهلها أكثرهم بربر صنهاجة.

وطنجة خلف تاهرت [4] بأربع وعشرين ليلة وخلف طنجة السوس الأدنى، وخلفه السوس الأقصى، ومن سلك طريق القبلة من سجلماسة [5] فإنه يريد السودان وبطونه [6] .

---

(1) اليعقوبي، المصدر السابق، ص: 13.
(2) تلمسان:تكتب بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول تنمسان بالنّون عوض اللام بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر إحداهما قديمة يسكنها الرعية وتسمى أقادير، والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت منها إلى وهران مرحلة، الحموي، ج2، ص:5، 44.
(3) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص : 78.
(4)تاهرت: بفتح الهاء وسكون الراء، اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة، بينهما وبين المسيلة ستة مراحل ، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد، وهي كثيرة الضباب والأمطار والأنداء، حتى أن الشمس بها قل أن ترى، وقيل في شمسها شعرًا .
ما خلق الرحمن من طرفة ــ أشهى من الشمس بتاهرت، وكان صاحب تاهرت ميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بن بهرام وكان رأس الإباضية ورأس الصفرية والواصلة، وكان يسلم عليه بالخلافة ، الحموي ج2، ص:7، وذكرها ابن خلدون في العبر على أنها تاهرت بضم الهاء ، نفسه، ص:206.

(5) سجلماسة : بكسر أوله وثانيه، وسكون اللام، مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن، أكثر أقوات أهلها من التمر، وغلتهم قليلة، الحموي، المصدر السابق، ج3، ص:192.
(6) اليعقوبي، المصدر السابق، ص: 16 - 17 - 18.

ب ـ السكـــــان :

لقد عرف سكان المغرب القديم باسم " البربر " ووجد هذا المصطلح في الاستعمال الغربي في العهد الروماني والمشتق من اللفظة اللاتينية Barbarian التي تعني كلمة بربري لكن نجد أن البربر يرفضون هذا التفسير الغربي، بل يطلقون اسم " إمازرهين " Imazirhene أو الرجال الأحرار النبلاء [1] أما باللسان العربي فإن البربر أو البربرة فإنها تعني اختلاط الأصوات غير المفهومة، ومنه تقول العرب: زأر بأصوات غير مفهومة، وقد ملأ وسكن البربر المغرب كله من شرقه إلى غربه بجباله وتلوله وبسائطه منذ القدم، أما عن أصولهم الأولى فقد ذكر الطبري عما حدثه عمران بن بكار الكلاعي عن أبي اليمان عن إسماعيل بن عياش عن يحي بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ولو نوح ثلاثة، وولد كل واحد ثلاثة: سام حام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم، وفي كل هؤلاء خير، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وليس في واحد من هؤلاء خير وولد حام القبط والسودان والبربر، وأما الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وعن نسابة الأمم عن أحمد بن بشير بن أبي عبد الله الوراق قال: حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليم وسلّم " سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش [2].

أما عن شعوب هذا الخلق من الأدميين وبطونهم وجدهم الأول فإنهم منحدرون من جذمان عظيمان هما برنس وماذغيس ويلقب هذا الأخير بالأبتر، وتسمى شعوبه بالبتر ، أما شعوب برنس فيقال لهم البرانس، وعن انحدارهما من أب واحد فقد اختلف حوله النسابون وهذا رأي ابن حزم الذي نقله عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار والذي حدثه يوسف الوراق، أما سليم بن سليم المطماطي وهاني بن المسرور وغيرهم من نسابة البربر: أن البرانس بتر، وهم من نسل مازيغ بن كنعان والبتر، بنو بر بن قيس بن عيلان ، إلا أنّ رواية ابن حزم أصح لأنه أوثق.

---

(1) روم لاندو **الإسلام والعرب**، دار العلم للملايين، بيروت ، 1962، ص: 81.

(2) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، المجلد الأول، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1417 هـ /1997م ، ص: 128 - 129.

وقد قسم النسابة البرانس إلى سبعة قبائل وهي ازداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة وهناك من النسابة من أضاف لهم لمطة وهسكورة وكزولة، وهذا رغم أن الكلبي ذكر صنهاجة وكتامة ضمن الشعوب اليمانية وليست من قبائل البربر. بينما شعوب البتر أربعة قبائل هي أداسة نفوسة، ضرية وبنو لوا الأكبر وكلهم أبناء مدغيس [1].(أنظر خريطة رقم 03)

أما بخصوص نسب البربر من الأمم الماضية فإننا لا نجد رأيا واحدًا يتفق عليه جل النسابة، بحيث وجدنا بعضهم يرجعهم إلى إبراهيم عليه السلام، وهناك من أرجعهم إلى الأصل اليمني، وجعلهم المسعودي من غسّان، وغيرهم اختلفوا وتفرقوا في نسبهم [2].

هذا بالإضافة إلى اختلاف المؤرخين في تاريخ البربر بالمغرب فقد ذكر هشام بن محمد الكلبي أنه لما قتل ملكهم جالوت تفرقوا في البلاد، وأن افريقش بن قيس بن صفي بن سبأ همّ بهم متوجهًا إلى إفريقية فنقلهم من سواحل الشام حتى أتى بهم إفريقية، وأسكنهم بها، وقيل سمّاهم بربر لكثرة بربريتهم، وذكر أن افريقش قال فيهم شعرًا وهو قوله :

" بربرت كنعان لما سقتها   من أراضي الهلك للعيش العجب "[3]

وقد ذكر أنه لما جلت البربر من الشام أين كانت ديارهم بفلسطين انتهوا إلى المغرب فنزلوا بلوبية ومراقية، ومنها تفرقوا في البلاد .

والبربر قبائل كثيرة وشعوب جمّة، وهي هوارة وزناتة وضريسة ومغيلة وورفجومة ونفزة وكتامة ولواتة وغمارة ومصمودة وصدينة ويزدران وورفجين وصنهاجة ومجسكة ووركلان وقالمة وأوربة وأبكتة وهي من زناتة وبني منهوسا وغيرهم [4].

وذكر هشام بن محمد الكلبي أنه قد اختلف فيمن أخرج البربر من الشام، فقيل داود بالوحي، قيل يا داود أخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض " وذكر آخرون أن يوشع بن نون

---

(1) ذكر الدكتور عبد العزيز سالم أن هناك عداء متأصل وقديم بين البرانس والبتر، ويرجع هذا الاختلاف حسبه إلى اختلاف أحوالهما الاجتماعية وإغارة الرحل من البتر على مزارع البرانس .مما كان يؤدي بالبرانس إلى الاستعانة بالرومان، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص : 53.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج12 ، ص: 176 - 180.

(3) الطبري:المصدر السابق، ص : 261.

(4) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه الدكتور محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1 ، 1408هـ/1988م، ص : 83 - 84.

ومنهم من قال افريقش وقال بعضهم ملوك التبابعة، وذكر البكري أنه بعد قتل جالوت أخرجهم منها بنو إسرائيل، أو يكون قد نشب نزاع بين بني حام وبني سام مما أدى ببني حام للخروج إلى المغرب، وهناك رواية أخرى تقول أن حام خرج أو فرّ إلى المغرب نظرًا لدعوة أبيه فاتبعه بنوه فنسلوا بالمغرب.

وقد استبعد وفنّد ابن خلدون كل هذه الروايات الخاصة بأصول ونسب البربر وتاريخهم بالمغرب، ذلك أن القول بأنهم من ولد إبراهيم فهو بعيد عن الصواب لأن داود وهو الذي قتل جالوت وكان البربر معاصرين له، وليس بينه وبين إسحاق بن إبراهيم أخي نقشان وهو الذي زعموا أنه أبو البربر، ويستبعد أن يتشعب البربر بمثل هذا التشعب.

أما من قال بأنهم نقلوا من ديار الشام بتلك الطريقة، فهو قول محصور، ذلك أن البربر معرفون في بلادهم وأقاليمهم متحيّزون لشعارهم .

وأما القول بأن افريقش هو الذي احتملهم من سواحل الشام ففيه تضارب وتناقض، إذ ذكر أنه وجدهم بالمغرب واستغرب لكلامهم ولرطانتهم وقال لهم ما أكثر بربرتكم.

أما من أرجع نسبهم إلى اليمن وحمّير فهو قول أبطله إمام النسابين أبو محمد بن حزم.

وحسب ابن خلدون المؤرخ المغربي والذي اعتمدنا على رأيه في نسب البربر وأصولهم الأولى فإنهم ينحدرون من كنعان بن حام بن نوح، وأما جدهم الأول فهو مزيع، وأما عن قصة ملكهم جالوت بالشام فقد أكّدها مؤرخ المغرب ابن خلدون، كما أننا وجدنا بنو كنعان شيعًا لفلسطين في حروبهم مع بني إسرائيل. ولقد وقع الاتفاق بين نسابة البربر ونسابة العرب في بربرية شعوب بني كنعان إلاّ فيما تزعمه بعض منهم في نسب لواته وهوارة أنهم من حمير وكندة، وأما عن صنهاجة وكتامة فالشائع أنهما من القبائل اليمنية، وعند ابن خلدون فإنهما من إخوانهم [1]

كانت هذه أحوال العباد والبلاد، أما عن فضل بلاد المغرب وأهله، فقد وردت عدة روايات وأحاديث نسبت للرسول صلّى الله عليه وسلّم وقد أوردها ابن عذاري صاحب البيان، ـــــــــــــــــــــــ

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ص : 184 - 191.

ولكن برجوعنا إلى الصحيحين فإننا لم نجد تلك الأحاديث النبوية وما هو موجود إلا حديث واحد ومختلف في معناه، وأما عن تلك الروايات حول المغرب فإننا

فضلنا أن نوريدها رغم شكوكنا حولها، ومنها أنه يقال مثلا أن بإفريقية ساحلاً يقال له المنستير،وهو باب من أبواب الجنة ، وبها جبل يقال له الممطور وهو من أبواب جهنم، كما روي عن سفيان بن عيينة أن بالمغرب بابًا مفتوحًا للتوبة مسيرة أربعين خريفًا، لا يغلقه الله حتى تطلع منه الشمس [1].

أما عن الحديث النبوي الشريف حول السكان فإنه قد روي أنه: قال رسول الله صلّى الله عليه مسلّم " لا يزال أهل الغرب ظاهرين عن الحق حتى تقوم السّاعة " [2] .

(1) ابن غذاري، المصدر السابق، ص : 07.

(2) مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم بشرح النووي**، حققه وأخرجه وفهرسه عصام الصبابطي، حازم محمد، عماد عامر، المجلد السابع، دار الحديث، القاهرة، 1415هـ /1994م، ص: 77 وهو الحديث الذي فسره أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي الغرناطي بأنه معجزة من معجزات الرسول التي تحققت على الواقع في بلاد المغرب والتي فضلت ورجحت للإمام مالك بن أنس ومذهبه دون غيره من الأئمة الثلاث حتى أنه لم تظهر بهذه البلاد البدع إلى زمن المؤلف، الأندلسي الغرناطي: **انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام الكبير مالك** (839 هـ) رقم 1354، وأنظر الملحق رقم:

وقد اختلف المفسرين في شرح هذا الحديث وفي صحته، فمن جهة وجدت رواية واحدة له ومن جهة ثانية اختلف حول معنى أهل الغرب، ومن هنا نقول أننا لا ندري أين استخرج صاحب البيان تلك الأحاديث النبوية الكثيرة حول فضل البلاد والعباد بالمغرب، رغم أنه أنسبها لكل من البخاري ومسلم .

2) التنظيم الاجتماعي :

لقد عرف البربر مثلهم مثل العرب التنظيم القبلي الذي تفرضه الطبيعة شبه الصحراوية لبيئتهم المغربية، لهذا وجدنا التنظيم الاجتماعي للبربر يتشابه مع التنظيم العربي في عدة مجالات كالمسكن والملبس والمعاش، بحيث اتخذوا البيوت من الحجارة والطين ومن الشجر والوبر. وغالبية سكان البربر ينتجعون المراعي وهم الذين يعرفون عند المؤرخين بالقبائل البترية، بحيث لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء،وكانت البقر والإبل من مكاسبهم شأنهم شأن العرب

بالنسبة للميسورين حالاً ، أما المستضعفين منهم فكان معاشهم الفلح وتربية الدواجن، وكان الصوف أكثر ملبسهم وأكسيتهم، أما عن أهل الاستقرار والزراعة هم الذين يعرفون بالبرانس أهل الحضر [1].

وقد كانت الرابطة بين أفراد كل قبيلة هي رابطة الدم، أي أنها تنحدر من جد أو أب واحد فتنسب إليه أي إلى ذلك الجد بعبارة " آيت بالبربرية " وهي التي تقابلها كلمة " بنو" في العربية، ولقد وجدنا هذه الأسماء مازالت تطلق على بعض القبائل البربرية إلى يومنا هذا مثل قبيلة " آيت عياش " . وكما هو شائع فإن لكل قبيلة زعيمًا أو شيخًا يمثل رمز الوحدة والذي يستشار في عدة قضايا وكان يطلق عليه اسم" أمغار " بالبربرية وهي تعني الكبير ويقابلها عند العرب شيخ القبيلة [2]، أما بالنسبة لأفراد كل قبيلة فمن الطبيعي أن نجد الاختلاف وعدم التوازن بين كل واحدة منها، بحيث هناك قبائل تجاوزت في عدد أفرادها حجم القبيلة إلى شكل أمة، أو شعب، وكذا الحال بالنسبة لصنهاجة وزناتة أو غيرهما حتى قال ابن خلدون أن" قبيلة صنهاجة تبلغ في عددها ثلث أمة البربر".

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ص:175.

(2) يذكر الأستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور أن المسيرة الاجتماعية للدول والأمم والشعوب يبرز مبدأ عام يتحكم في توجيه تلك المسيرة، خلاصته أن الناس على دين ملوكهم، بمعنى أن المحكومين مولعون بمحاكاة حكامهم وأن المؤثرات الاجتماعية تنتقل في المجتمع من أعلى إلى أسفل ومن الطبقات العليا إلى ما دونها من طبقات، سعيد عبد الفتاح عاشور، **دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية** ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع الكويت، 1405 هـ/1985م،ص: 261 - 262.

وهذا لما ينطوي تحتها عدد كبير من القبائل الصغيرة، وبما أن صنهاجة كانت صاحبة التفوق فكان من الضروري أنها تعطي اسمها للدلالة على قوتها .

أما عن نشاط القبائل البربرية فكما بيّناه آنفًا فقد وجدنا نوعين من النشاطات لنوعين من القبائل،فكانت الغالبية لأهل البداوة الذين ينتجعون الرعي بشقيه (الغنم ، والإبل)، في أراضي العشب والمراعي وهي مناطق تنقلاتهم والتي تعرف حاليًا باسم " السهوب " والتي تمتد على كل حدود المغرب من أدناه إلى أقصاه.ولهذا ذكر المؤرخون أن القبائل البترية (الرعاة) لم يعرفوا الحدود السياسية بينهم وهذا راجع بالضرورة إلى طبيعة المشي، ومن هنا فسر ابن خلدون كلمة شاوية (قبائل بالمغرب الأوسط) على أنها تعني رعاة الشاة، أما عن أهل البدو الذين كانت مساكنهم إلى ما وراء "السهوب " أرض العشب، فقد كانوا على حافة الصحراء ومنه اعتمدوا على رعي الإبل والجمال الذي يتلاءم والمنطقة، ومن هنا وجدناهم امتهنوا التجارة لركوبهم الجمال إلى السودان، ونقلهم للحضارة إلى قلب الصحراء، وقد ذكر ابن خلدون أنهم " أشد الناس توحشًا " ومنه جعلهم البدو الحقيقيين .

أما النوع الثاني من القبائل البربرية فهم الذين يعرفون بأهل الاستقرار أو أصحاب زراعة التشجير، وكانت أهم شجرة عرفها المغرب هي شجرة الزيتونة لأنها المورد الرئيسي لهم ومنه تذكر رواية ابن عذاري أن " عبد الله بن أبي سرح لما فتحت قرطاجنة وأصاب بها المسلمون الغنائم الكثيرة من الذهب والفضة تعجب لكثرتها وغنى أهلها فسألهم من أين لكم هذا ؟ فأخذ رجل منهم يبحث عن شيء في الأرض حتى جاء بنواة زيتون فقال لعبد الله: " من هذا أصبنا الأموال، لأن أهل البحر والجزر ليس لهم زيت، فكانوا يشترونه من هنا " [1].

وقد قسم كذلك المؤرخون أهل التشجير إلى ثلاث طبقات هي أصحاب زراعة الحبوب وهم أغنى وأرقى الطبقات الثلاث ، الطبقة الثانية هم سكان الواحات، والطبقة الثالثة من الزراع هم الذين وفقوا بين النوعين، أي امتهنوا زراعة الحبوب وقاموا بتربية الغنم، وهذا راجع لأن أراضيهم كانت صالحة للجمع بين الحرفتين .

---

(1) ابن عذاري ، المصدر السابق : ص 12.

كانت هذه أهم القبائل البربرية بالمغرب ومجال نشاطها [1]. (خريطة رقم 04)

لكننا وجدنا جماعات أخرى من غير السكان الأصليين للمغرب والذين يعرفون عند المؤرخين بالأقليات وفي مقدمتهم .

أ ـ الأفـــارق :

يذكر بعض المؤرخين أن هؤلاء الأفارق وجدوا بالمغرب منذ القدم، وأن العرب هم الذين أطلقوا عليهم اسم الأفارقة نسبة إلى إفريقية . ويذكر البكري أنه " حول مدنية برقة كانت قبائل من لواتة ومن الأفارق " ، وأنه كان بالمنستير أقوام من العرب ومن البربر والأفارق ومن هنا كان العنصر الإفريقي يمعزل عن العرب أو البربر [2].

كما وجدنا المؤرخ ابن عذاري يصف أهل قرطاجنة بالأفارقة عندما خاطبهم بها عبد الله بن أبي سرح، حيث فتحها وتعجب من خيراتها ويعيد ذكرهم مرة أخرى في سياسة الأرض المحروقة التي أنتجتها الكاهنة حين يذكر أنه خرج يومئذ من النصارى والأفارقة خلق كثير [3].

ويذكر أن هؤلاء الأفارقة اختلطوا بالروم فأصبحوا من المولدين وانصبغوا بالحضارة الرومانية، وأما عن لغتهم كانت رطانة ليست بعربية ولا عجمية ولا بربرية ولا قبطية، فكان لا يفهمها غيرهم [4] .

---

(1) زغلول، المرجع السابق، ص: 98 - 105.
(2) البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، جزء من كتاب الممالك والمسالك، دي سلان، المطبعة الحكومية الجزائر، 1857، ص 5 و 56.
(3) ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 12 و 37.
(4) تحدث الدكتور حسين مؤنس عن الأفارقة وهم مزيج من الاختلاط بين الرومان والبيزنطيين من جهة وأهل البلاد من جهة أخرى، وهم أقرب في مزاجهم وثقافتهم إلى سكان شواطئ البحر الأبيض عامة، وكانت لهم لغة خاصة تسمى الكويني KOINE أي اللهجة (وهي لغة سكان شواطئ البحر المتوسط) فهي خليط من العربية والبربرية والأعجمية، حسين مؤنس ، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر**، ج1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1 ، 1412 - 1992م ، ص : 66.

ب - السودان :

نظرًا للامتداد الجغرافي بين المغرب وبلاد السودان كانت هناك علاقات وطيدة بين البربر وأهالي السودان وهذا ما ترتب عليه امتزاج الدماء منذ أقدم العصور وحسب أحد المؤرخين أنه لم يكن للسودانيين كيان قائم بذاته في المغرب لأن الدماء السودانية كانت تضمحل في وسط الدم البربري بالمغرب، ولقد كانت بلاد سغمارة في السودان يسكنها قوم من البربر في عمل تادمكة ومعنى تادمكة هيبة مكة وأهلها بربر مسلمون قد تأثروا بالعادات السودانية مثل تنقبهم كتنقب بربر الصحراء.

ج - الروم والفرنج :

من الطبيعي أن نجد عنصر الرومان والروم بالمغرب لأنهما سيطرا على المغرب لمدة طويلة وكان بينهما العنصر الوندالي ورغم أن الوندال لم يتعدّوا القرن من الزمان إلاّ أنهم لجأوا إلى دواخل البلاد إثر الاجتياح البيزنطي ، وهذا ما جعلهم يختلطون ويتزاوجون مع البربر وهو السبب الذي يرجعه بعض المؤرخين ويفسر به تواجد الشقرة والزرقة في بعض القبائل البربرية[1].

كما وجدنا جل المؤرخين يتحدثون عن الروم بالمغرب،منها أن كسيلة الأوربي كان في خلق عظيم من البربر والروم، والكاهنة التي كان جميع من بإفريقية من الروم كانوا لها مطيعين وقصة ابنيها البربري واليوناني اللذان سلمتهما لحسّان قبل موتها [2].

(1)Terrasse (H).**Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protection Français**, casablanca TI 1949, p:17.
هذا رغم أن المستشرق هنري تيراس يذكر أن الزرقة والشقرة لدى البربر وجدت قبل ذلك بثلاثة آلاف سنة أين كان البربر يعرفون باسم " ليبو " وهي صفات مازالت حسبه موجودة عند بعض أهالي البربر بجبال جرجرة بالمغرب الأوسط، أنظر كذلك سعد زغلول ، المرجع السابق، ص: 108 - 109.
(2) ابن عذاري ، المصدر السابق، ص : 32 .35 .37.

د ـ اليهود :

يذكر أنه عُرف بالمغرب جماعات من اليهود، ولكنه عرف الأفكار اليهودية قبل دخول اليهود مع الرومان، إذ أن تلك الأفكار عرفت بالمغرب على أيام الفينيقيين، ويذكر أن الإمام إدريس لما فرغ من بناء مدينة فاس اجتمع بها خلق كثير من اليهود ممن رغب في العافية (1).

كما عرف المغرب عادات وتقاليد مارسها البربر إلى درجة الاعتقاد الديني ومثال على هذا عادة المؤاخاة بالرضاع الرمزي، وهذا بمزج الدقيق بالزيت وجعله على ثدي المرأة، بحيث يأكل منه الجميع حتى يصبحوا إخوة، وهذا الذي فعلته الكاهنة بين أبنائها وبين خالد بن يزيد القيسي رجل القائد حسان بن النعمان الغساني الذي وقع في أسرها في معركة واد العذاري (2).

3 ـ الدين :

تذكر أغلب مراجع التاريخ الإسلامي بخصوص الحياة الدينية في المغرب قبل الفتح أن المعلومات الدقيقة، حولها غير كافية، ولكن نجد شيئًا في تلك القطع المتناثرة في أمهات المصادر التي لم تركز حولها كثيرًا، ورغم هذا فإننا نفهم منها أن البربر كانوا مثل تلك المجتمعات البدائية التي تعتقد في السّحر والشعوذة وعبادة الأوثان والشمس وغيرها . أي أن أغلبهم كانوا مجوسًا أو ملاحدة، هذا إذا استثنينا من تنصّر أو تهوّد (3) .

(1) ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، طبعة حجرية، (أو بسالة 1843) ، ص: 25، أنظر كذلك رسالة مسعود كواتي : اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، 1992 الفصل الأول .
(2) وهي النقطة التي علق عليها الدكتور زغلول من أن الإسلام بصفته دين التوحيد الذي يعني الثقة المطلقة في الله وحده لم يستطع ـ رغم غيرته الشديدة في المحافظة على نقائه ـ من منع بعض المسلمين من التشبث ببعض المعتقدات الأولية مما يدخل في مجال السحر والتطيّر والاعتقاد في الروحانيات وأمثال ذلك مما لا يتفق مع مبدأ الوحدانية تمامًا، كما لم يستطع أن يمنع العقائد والديانات السابقة عليه

من التأثير في بعض اتباعه، سعد زغلول **الحياة الدينية في دولة الإسلام**، مقال في كتاب دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، منشورات ذات السلاسل الكويت، 1405 هـ/ 1985م، ص: 201.
(3) البكري، المصدر السابق، ص ص : 12 - 160.

وفيما يتعلق بالوثنية، فتذكر الروايات أنه في جنوب هوارة من عمل اطرابلس هناك صنم من حجارة مبنى على ربوة تسمى " كرزة " كان أهل ودّان يهدون له القرابين ويستشفون به مرضاهم ويتبركون به ومن بعض الروايات والأساطير أنه بالمغرب جبل " درن " يزف يوم القيامة بأهله إلى النار [1] .

أما بخصوص المجوسية فتذكر الرواية أن بعض القبائل بفاس قبل تأسيسها كان لهم بيت من نار ،كما أنه كانت قبيلة من السوس تعبد الكبش، علما أن هذه العبادة وجدت من قبل في مصر الفرعونية، أما عن السحر والشعوذة اللّذين مورسا بالمغرب فنستشف هذا مثلا في روايات المؤرخين عن الكاهنة زعيمة جبل " الأوراس " التي عرفت بحدسها وسحرها وتنبؤها.

أما عن الدين المسيحي فإنه تسرّب إلى مدن شمال إفريقيا الشاطئية، بعد أن اعترفت به روما بزمن يسير لكنه لقي مقاومة عنيفة من السكان الأصليين، حيث نشبت فيما بعد منازعات بين السكان أنفسهم، قبل أن تتدفق أفواجًا من المسيحيين الملقبين بالمطّهرين وعمّ القتل والسلب والنهب، تحت شعار الدفاع عن الدين الجديد [2] .

وقد دخلت المسيحية إما عن طريق مصر أو عن طريق روما، والملاحظ في انتشارها بالمغرب أنها كانت تسير مع الجيوش الرومانية، التي لم تتوغل في الداخل لهذا لم نجد المسيحية في المناطق الداخلية للمغرب [3] .

---

(1) نجيب زبيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**،تقديم أحمد ابن سودة، ج1، دار الأمير، بيروت - لبنان، ط1، 1415 هـ/ 1995م، ص: 288.
(2) زبيب ، نفسه، ص:288.
(3) خليل إبراهيم السمرّاني، **بدايات انتشار الإسلام في المغرب العربي خلال العصر الأموي 41 - 132هـ ، 661 - 750م** مجلة المؤرخ العربي (عدد خاص عن إفريقيا)، تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب بغداد، وزارة الثقافة والسياحة - الجزائر ، العدد 31، السنة الثانية عشر 1407هـ ، 1987م، ص: 132 . أنظر كذلك الدكتور حسين مؤنس : الذي يرجع انتشار المسيحية إلى بداية القرن المسيحي الثاني. وقد انطلقت من برقة قادمة من مصر ثم انتشرت بإفريقية، وبنيت بها الكنائس على طول الشريط الساحلي للمغربيين الأوسط والأقصى . ولم تمتد المسيحية على ذكر مؤنس قط في البلاد الداخلية للمغرب. ولا دان بها من البربر قوم يحسب لهم حساب ، مؤنس ، المرجع السابق، ص:66.

هذا رغم أن رواية ابن أبي زرع أنه لما خرج إدريس بن عبد الله بن حسن لغزو بلاد تامنسا وبلاد تادلا وفتح معاقلها كان أكثر سكان هذه البلاد على

دين النصرانية واليهودية، كما أنه كان في قبائل زناتة وزواغة وبني يزفتر من هو على النصرانية ومنهم على اليهودية ومنهم على المجوسية [1] .

ومن كل هذا نلاحظ أن المغرب عرف الديانات المختلفة بما فيها المعتقدات المحلية الساذجة .

والملاحظة الهامة التي يمكننا أن نخرج بها من هذا الباب أن المغرب في جملته قبل الفتح الإسلامي كان بعيدًا عن أي سلطان خارجي فيما عدا إقليم إفريقية التي كانت مستعمرة أو " محمية بيزنطية ". وكانت هذه الطبيعة ومزاج البربر في الحياة [2].

---

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص : 07، 15.

(2) أنظر كذلك زبيب، المرجع السابق، ص : 284.

4 ـ أحوال المسيحية بالمغرب قبيل الفتح الإسلامي :

لقد عرف العالم المسيحي انشقاقات وصراعات ومشاجرات دينية عرفت أوجّها في القرن الخامس والسادس والسابع الميلادي، ولقد بدا هذا التفسخ على أشدّه في اختلاف العقيدة وتباين تعاليم بعض الشيع والهرطاقات التي كانت بين المسيحيين . وقد يصعب على المؤرخ تصور ما بلغته هذه الصراعات والمشاجرات الدينية من عنف واضطهاد وإرهاب حول القضايا اللاهوتية والتي كانت بدايتها بالفتنة التي عرفت بالفصول الثلاثة " Trois chapitre " وهذا في عهد جان تروجليتا "Jean Trojlita " الحاكم البيزنطي في المغرب وهذا الذي أدى إلى انشقاق الكنيسة الإفريقية عن بيزنطة [1]. (خريطة رقم 05)

وتوالت الصراعات المذهبية في القرن الموالي أي السابع والأخير للتواجد المسيحي في المغرب وكانت آخر أزماتها على إثر ظهور المذهب الجديد القائل بالإرادة الواحدة للسيد المسيح وهو المذهب الذي عرف بالمونوثيلية " Monothelisme "[2]،وكان قد صاغه راهب من أهل آسيا الصغرى يسمى " يعقوب البرادعي "Jacabas baradias .[3]

وهذا الصراع الذي أدى إلى ثورة الأهالي على الإمبراطور وإنكارهم لمذهب المونوثيلية وقد كان شخص يقود ثورة الأهالي ويحرضهم ويدعي مكسيموس " Maximus " وكان كبير راهبنة كريزوبوليس " Chrysopolis " وكان هذا الأسقف خطيبًا ثوريًا، عميق التأثير في النفوس، ومن هنا أخذت حملات المعارضة تأخذ منعرجًا آخرًا تمثلت في انعقاد مجامع قرطاج ورسائل توجه إلى البابا والإمبراطور وإلى كبير الأساقفة، وإلى انعقاد مجامع دينية ، وكل هذا تنديدًا

(1) لم يتوقف النزاع المذهبي المسيحي البيزنطي لا داخليًا ولا خارجيًا خاصة أن آثاره كانت تنعكس مباشرة على الكنيسة الإفريقية . وقد زاد في إضعاف الحكومة البيزنطية هجمات الفرس على أملاكها من جهة وبداية الزحف الإسلامي من جهة أخرى حتى كانت سنة 646م أين أعلن جريجوريوس حاكم إفريقية استقلاله عن الإمبراطورية البيزنطية ولقب بالإمبراطور، عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير، العصر الإسلامي** ج2 - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت 1981، ص: 77.

(2) نفسه، ص : 75.

(3) مؤنس، نفس المرجع ، ص: 71.

ومعارضة لأفكار سرجيوس . وعندما لم تكن أسقفية إفريقية تنصف الحلول فإنها طالبت بإسقاط الإمبراطور [1].

وهذا الذي سمح فيما بعد بنزوح مجموعة من الرهابنة أنصار المذهب المونوفيزيتي إلى إفريقية بعد أن طردهم العرب من مصر [2].

وقد عرفوا بتحمسهم لمذهبهم وحب الاستشهاد من أجله ، وقد ساعدهم على ذلك موقف الإمبراطور قسطنطين الثالث ابن هرقل من مذهبهم بالرغم من معاداته له وهذا بأن ترك لهم كامل الحرية في ممارسة شعائر مذهبهم.

ولم يستطع الإمبراطور الجديد قسطانس الثاني "Constant " الذي تولى العرش سنة 645م من إخماد الثورة التي تزعمها مكسيموس ولا حتى انعقاد المجمع المسكوني السادس بالقسطنطينية (680 - 681م) الذي أقر بإدانة مذهب الإرادة الواحدة .

وبينما الأوضاع على ما هي عليه من صراعات وانشقاقات مذهبية كان العرب يستعدون للغزو والفتح [3] .(أنظر ملحق رقم 06 - مجادلة -)

(1) شارك أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر 1969، ص:381 . 832.
(2) توماس أرلوند، **الدعوة إلى الإسلام** ، ترجمة وتعليق الدكتور: حسن إبراهيم حسن والدكتور عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة، 1970 ، ص: 147.
(3) جوليان، المرجع السابق، ص :382.

5 ـ موقف البربر من النزاع المذهبي المسيحي :

إن المتأمل لتاريخ البربر منذ القدم يدرك مدى رغبة وحب هذا الشعب على حياة الاستقلال والحرية ، وهو يسعى إليها متى سنحت الظروف إلى ذلك إذ وجدنا هذا الشعب الذي يعرف بأسماء البربر " Moors " عند الرومان أو أهالي إقليم الزاب " Numidians"والليبيين "Lbyans " .. إلخ قد احتشد في قبائل مختلفة عندما انحلت الدولة الرومانية سنة 476م . وراح يمارس سياسة الأرض المحروقة خاصة في المناطق الساحلية التي تعرف بالتواجد الروماني، وقام بتخريب الكنائس، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنه شعب وثني بدليل أن الرواية تذكر أن زعيم البربر في طرابلس جهر بدينه الوثني حين قال: " لست أعرف من يكون إله المسيحيين،ولكنه إذا كان قويًا كما يصورونه، فإنه سيثأر من هؤلاء الذين يحقرون من شأنه ويخلص هؤلاء الذين يمجدونه [1].

كما وجدنا تلك الأعمال التخريبية التي تدل على الرفض قد مورست من طرف بربر البدو الذين حصروا الرومان في السواحل واحتفظوا لأنفسهم بالصحراء والجبال، وهذا ما أدى إلى تدهور الأوضاع في النصف الثاني من القرن السادس، وهو ما دفع بالبيزنطيين وخاصة الإمبراطور حستنيان إلى نفي ما لا يقل عن الخمسة ملايين إفريقي، وبهذا أضحت إفريقية خرابًا وشبه خالية، بعدما كانت من قبل مزدهرة بزراعتها وتجارتها [2].

كما وجدنا موقفًا محايدًا للبربر من ذلك الصراع الذي كان بين البيزنطيين بقيادة بليزاريوس وقائد الوندال جليمار، وقد اقتصر البربر على الوعود ولم ينحازوا إلى أي طرف حتى انتهت الحرب بانتصار البيزنطيين الذي حاولوا مجددًا استمالة أهل البلاد الذين وافقوا على نصرتهم وكدليل على تحالفهم معهم أرسلوا إليهم الرهائن، وكان ردّ بليزاريوس كما كانت تقتضيه

(1) توماس ، المرجع السابق، ص: 145.

(2) نفسه، ص: 146، أنظر كذلك مؤنس المرجع السابق، ص: 70 - 71 قارن مع ما ذكره عبد العزيز سالم في أن المغرب كان قد انتعش في العهد البيزنطي الأخير انتعاشًا، انعكست آثاره على ما وجده العرب عند الفتح في هذه البلاد من وفرة الزرع وكثافة الأشجار، وكثرة العمران، وهذا الذي يدل على أن أحوال المغرب لم تستقر إطلاقًا في الثلاثة قرون الأخيرة لدخول الإسلام، نفسه، ص: 77.

العادة آنذاك بأن أرسل إليهم صولجانًا من الفضة المذهبة وهدايا ثمينة أخرى،وهو ما أدى به إلى الاطمئنان أو على الأقل في حيادهم، وهذا ما جعله يقصد عاصمة بيزنطا القسطنطينية وهي الظروف التي استغلها البربر للخروج مرة أخرى على البيزنطيين في ثورة عارمة قادها كوتزيناس "Coutzinas" " " وايفسيدياس "" Ifsidias" رغم أنها لم تكن متكافئة، إلاّ أن الجيش البيزنطي كانت تعوزه روح الإنقياذ وكان يشكو ضعف القيادة، ولولا تلك الحزازات التي كانت بين البربر لا كانت كارثة الجيش البيزنطي في إفريقية في عهد القائد بليزاريوس [1]، وجيرمانوس وصولومون وتروجليتا، ومن هنا نفهم موقف البربر من الغزو الأجنبي إذ أن سكان البلاد هؤلاء هم الذين ساعدوا من قبل على إدخال الوندال وهم أنفسهم الذين ساعدوا على إسقاطهم، وهم الذين سيساعدون فيما بعد على إسقاط البيزنطيين، وبهذا لم يذق البيزنطيون طعم الراحة بالرغم من أنه كان في جيشه قواسين ورماة السهام حذقوا هذا الفن الحربي من حروبهم مع الفرس [2].

كان هذا موقف البربر من الغزو الخارجي هذا من جهة ومن جهة ثانية فإنه لابد أن نذكر أنه كان في بعض بربر السواحل قد استمالهم الرومان وانصبغوا بالصبغة الرومانية ولم يكن لهم موقف رافض للإحتلال، وربما يرجع هذا لاحتكاكهم اليومي بالرومان . كما أنهم استطاعوا استمالة بعض الفلاحين الفقراء وهذا بالإغداق عليهم بالهيبات التي كانت تزيد وتنقص أحيانًا.

أما موقف البربر من النزاع المذهبي الذي كان على إثر ظهور مذهب الإرادة الواحدة (المونوفيزيت) فإنه كان إلى جانب مكسيموس الذي تزعم الحركة ضد المونوفيزيتيين، بحيث استطاع أن يدفع معظم سكان المغرب وقبائل البربر إلى محاربة الإمبراطور كنستانز الثاني الذي تولى العرش سنة 641م والذي كان من أنصار مذهب الإرادة الواحدة، وكان لموقف قساوسة إفريقية الكاثوليك إلى جانب الأهالي أثره الكبير في دفع المغرب للإنفصال التدريجي عن ـــــــــــــــــ

(1) جوليان، المرجع السابق، ص: 305 نستشف من هذا أن الانتفاض كانت ميزة البربر قبل الفتح الإسلامي ولم تكن ضد الفتح الإسلامي كما يشاء أن يروج لذلك بعض المستشرقين.
(2) السيد سالم، المرجع السابق، ص: 51 .52.

الإمبراطورية، وقد كانت كذلك لحادثة تنصيب البطريق[1] جريجوريوس على العرش بمساعدة البربر الذين سئموا السيطرة البيزنطية القاسية ، خاصة أن مكسيموس هذا عرف ببلاغته وقدرته في التأثير على النفوس إضافة إلى أن جريجوريوس كان يحظى بشعبية كبيرة هو وأسرته وهذا لما كان يبديه من كفاية وعدل في أوساط الأهالي، وقد عرفت الإمبراطورية البيزنطية في تلك الأيام ظروف صعبة بسبب الاضطراب الذي غُدّاة اجتياح الفرس لأملاك الإمبراطورية .

وبالفعل أعلن جريجوريوس استقلاله عن الإمبراطورية سنة 646م وتلقب بالإمبراطور، وحوّل عاصمة إفريقية من قرطاجنة إلى سبيطلة، وهذا حتى يتجنب الخطرين البيزنطي في الشمال والعربي الإسلامي الزاحف من الشرق، وهذا بضمه لبرقة وطرابلس حتى تكونا الخط الدفاعي الأول ضد الهجمات المحتملة جدا من العرب، ذلك أن برقة وطرابلس كانتا تابعتين لمصر منذ سنة 582م.

كانت هذه مواقف البربر في إفريقية من التواجد الأجنبي ومن النزاع المذهبي الذي عمّر تقريبًا مدة التواجد الروماني بإفريقية [2].

(1) هو القائد من قواد الروم، يكون تحت يده عشرة آلاف رجل، وهم اثنا عشرة بطريقًا، ستة منهم أبدا عند الطاغية في كور المملكة، وأكبر البطارقة ورئيسهم هو خليفة الملك ووزيره وهو صاحب عرض الكتب وأما مراتبهم في الدين فأعظمهم يسمى بطرك، وإذا عرب قيل: بطريق، الخوارزمي ، **مفاتيح العلوم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1984م ، ص: 184.

(2) السيد سالم، المرجع السابق، ص : 78/77.

6 ـ الحالة السياسية قبيل الفتح الإسلامي :

لقد عرفت إفريقية أحداثًا خطيرة ومتسارعة في القرن الذي سبق وانقضى قبل دخول المسلمين، ذلك أنه بعد عودة إفريقية إلى أملاك الإمبراطورية البيزنطية والقضاء على التواجد الوندالي، أخذ البيزنطيون في إقامة التحصينات العسكرية، وهذا بطبيعة الحال خوفًا من الأهالي، هذا رغم أن الإدارة المدنية كانت فاسدة بينما الاضطهاد الديني بلغ ذروته، والاستغلال المالي تفشى بشكل

فظيع ، وأما عن أمور الجيش فلم يبق فيها ما يدعو لقيام الإمبراطورية بتلك القوة العسكرية التي عرفت بها من قبل[1]،ومما زاد في تدهور الأوضاع سوءًا هي تلك الهجمات التي كان يقوم بها الفرس أحيانا وأولئك البرابرة من الهون والأذار,وهذا رغم الإصلاحات التي باشرها خفية الإمبراطور جستينيان خاصة في المغرب,وأهمها إصلاحات الإمبراطور موريس الذي ضمّ طرابلس إلى مصر ، وتقصيره لخط حصون جيستنيان، كما أنه أخضع الموظفين المدنيين تحت سيطرة القوات العسكرية، لكن كل هذه الإصلاحات باءت بالفشل ومما زاد من تأزم الأوضاع هو مقتل الإمبراطور موريس بعد ثورة الجيش [2] بقيادة فوكاس الذي تربع على العرش الإمبراطوري، وقبض على أمور الدولة بقبضة من حديد،مما أكسبه أعداء جددًا وحتى أقرب المقربين إليه,ومن هنا أخذت تدبر له الدسائس والمكائد للإطاحة به,وقد تزعم هذه المؤامرة هرقل الحاكم الإفريقي الذي كان من قواد الإمبراطور السابق موريس,فعز عليه مقتل الإمبراطور فكان يحقد على فوكاس وقد شجعه على ذلك تلك الرسائل التي توالت عليه والتي كانت تحثه بالخروج على الإمبراطور المغتصب، وبالفعل تمكن الشاب هرقل من قتل الإمبراطور فوكاس بمساعدة وزرائه في 15 أكتوبر 610م وهو اليوم الذي توج فيه هرقل إمبراطور لبيزنطة وأصبحت إفريقية مركزًا لاهتماماته

---

(1) أنظر Gautier,E,F, **Le passé de l'Afrique du Nord.**

Les Siècles obscures- Nouvelle édition

Petite bibliographique Payot, France, 1964, P:223.

ويعترف المستشرق غوتييه أن المغرب لم يهنأ طوال الحكم الإمبراطوري الروماني، وهو أي المغرب الذي كان قد أنصبغ وتشبع من قبل بالحضارة القرطاجية، ورغم هذا الاعتراف النزيه من قبل المستشرق غوتييه إلا أننا نجده ينحاز مرة أخرى في أحداث الفتح الإسلامي للمغالطات التاريخية.

(2) زغلول، المرجع السابق، ص : 124.

وقاعدة الإمبراطورية في أحلك الظروف [1] وهو ما كان عندما كانت إفريقية تزود القسطنطينية أيام احتلال الفرس لأرمينيا وحصارهم للإسكندرية[2] كما لم تكن الكنيسة بمنأى عن هذه الصراعات وهذا التدهور، إذ عرفت الإمبراطورية في سياستها الدينية بانتشار الرشوة (Simonie) وكثرة المفاسد والصراعات المصلحية إلى أن أدى هذا بظهور المذهب الدوناتي من جديد. ثم بعدها قيام جفوة بين الشرق والغرب [3].

لكن الإمبراطور هرقل رأى أنه من الواجب الاعتماد على إفريقية لإعادة مجد الإمبراطورية فعهد بحكمها إلى ابن عمه نيقيتاس الذي كان نائبه على

مصر، ومن هنا أصبح الدور الرئيسي لإفريقية في سياسة الدولة وبهذا عرفت استقرارًا وازدهارًا في شتى المجالات خاصة السياسية والدينية، أي بربط علاقات وثيقة بين الكنيسة الإفريقية والسلطة الدينية في روما، وهو ما يعني ظهور سلطتين متنازعتين حول إفريقية الأولى إدارية عاصمتها القسطنطينية أما الثانية فهي روحية دينية تستمد سلطتها من روما. ومن هنا يتضح أن الصراع على إفريقية لن يكتب له العيش مادامت هناك سلطتان متناقضتان في آن واحد [4] وهو الصراع الذي استغله البابا جريجوري الأكبر بحيث أخذ في إرسال البعثات التبشيرية إلى إفريقية وهذا بهدف إعادة نشر المسيحية في دواخل البلاد,خاصة بعد ما رأى التراجع البيزنطي عن تلك المناطق,وهو ما نجح فيه قساوسة البابا وأخذوا فيه زمام الأمور من الإداريين البيزنطيين.

ومنه أصبح البابا لدى السكان هو الزعيم الروحي والإداري في نفس الوقت وهو ما هدد مصالح بيزنطا فدخلت في صراع آخر مع البابوية لم يهدأ حتى كان الدخول العربي الإسلامي[5].

من كل هذه الأسباب والاعتبارات نستنتج لماذا كان ذلك النقص في عدد المسيحيين بإفريقية؟ولماذا كان انسحاب الأهالي من الصراع البابوي الإمبراطوري؟ومنه عرف المغرب في الخمسين عاما الأخيرة قبل قدوم العرب شبه فراغ من جراء ما أصابهم من أعمال التخريب والعنف[6].

---

(1) VASILIEV.(A) **histoire de l'Empire byzantine** Trad. Par Brodin, tI paris 1932,.P.178

(2) السيد سالم، المرجع السابق، ص:74.

(3) DIEHL © **histoire du moyen âge** tIII, le monde oriental, Paris, 1936, P35.

(4) زغلول ، المرجع السابق، ص:125.

(5) السيد سالم، المرجع السابق، ص:75.

(6) د.حسن أحمد محمود، **تاريخ المغرب والأندلس**، دار الفكر العربي، مدنية النصر ـ القاهرة الطبعة الأولى 1419هـ، 1999م ، ص:15.

7 ـ تقلص النفوذ البيزنطي على سواحل المغرب:

إن تاريخ البربر مع الاحتلال الأجنبي تاريخ حافل وقديم قدم جذور هذا الشعب منذ الأزل الرافض لأي عدوان أو وصاية خارجية، ولهذا كانت بينه وبين الرومان، والبيزنطيين حروب طويلة برز من خلالها زعماء البربر الذين

قادوا تلك الحروب والذين ذاع صيتهم ومنهم ماسينيسا ويوغرطا ويوبا... إلخ وهذا في منطقة الشمال الإفريقي التي كان يطلق عليها الرومان اسم نوميديا، أما المناطق الأخرى حتى المحيط الأطلسي فكانت تسمى موريطانيا التي انقسمت إلى قسمين، القيصرية في الشرق وعاصمتها شرشال أما موريطانيا الطنجية فكانت في الغرب وعاصمتها طنجة [1].

ومن أهداف التواجد الروماني والبيزنطي في المغرب هو نشر المسيحية والتي كما ذكرنا آنفًا كانت تسير مع توغل الجيوش ، ولهذا وجدنا المسيحية بقاءها في المغرب منذ القرن الثاني، لعدة عوامل أهمها : انتشار المسيحية في مصر ذات الامتداد الجغرافي الطبيعي للمغرب، وبطبيعة الحال تكون برقة من الناحية الشرقية أول منطقة تدخلها المسيحية، ومنها تنتشر إلى كافة مناطق المغرب [2]. خاصة الساحلية لأن التواجد العسكري البيزنطي لم يستطع التوغل إلى الجنوب والدليل على ذلك نستشفه من الآثار الرومانية ومن تلك التحصينات التي أقامها إمبراطور بيزنطة جستينيان حين استرجع المغرب من الوندال، وقد قسم جستينيان تلك التحصينات والمدن إلى خطين رئيسيين يبدأ الأول من مدينة بجاية إلى سطيف مارًا بجبل أوراس ثم تبسا إلى أن يصل إلى قفصة نهايته . أما الخط الثاني فكان على محور قرطاجنة قسنطينة، كما أقيمت قلاع في الجهة الغربية منها شرشال وتنس [3].

---

(1) موسى لقبال، **تاريخ المغرب الإسلامي**،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط4، 2001، ص:16 - 17 أنظر كذلك محمد السيد محمد عبد الغني، **نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية 1999 - 2000.

(2) مؤنس، المرجع السابق، ص:65 - 66 ، أنظر كذلك عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص:38.

(3) الحقيقة أن هذه التحصينات والقلاع إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى انكماش التوغل والسيطرة البيزنطية في داخل البلاد، ذلك أن البيزنطيين أدركوا أنه لا يمكنهم استمالة البربر رغم استمالة بعض قادتهم ، وهذا الذي وقع

وهذا راجع حسب أحد المؤرخين إلى أن تلك التحصينات لم يكن لها دور حضاري ثقافي، وإنما كانت مراكز للمراقبة والقمع، وهذا ما زاد في اتساع الهوة بين البربر والبيزنطيين الذين لم يصلوا حتى إلى المناطق الجبلية ناهيك عن المناطق الصحراوية [1] وكانت مناطق الأوراس وبلاد القبائل والبيبان والظهرة والونشريس وتسالة والريف حاملة لواء هذا الصمود، ويؤكد هذا الطرح مؤرخ بيزنطة " بروكوب " الذي أرجع سبب سقوط إفريقية إلى سياسة الإدارة البيزنطية المتعسفة والتي واصل فيها الإمبراطور جستينيان تعسفه بإطلاق العنان للجيش في تسيير الأمور وتعزيز القوة العسكرية على حساب مجالات أخرى كان المغرب في حاجة ماسة إليها بعد خروجه من حروب الوندال، وقد قسمت إفريقية إلى أربع دوائر عسكرية على رأس كل دائرة "

دوق " وهذه الدوائر هي طرابلس ، مزاق، نوميديا وموريطانيا، وكان هؤلاء الأذواق بمثابة الحكّام ينظرون خاصة في أمور الجيش المتنقل أو المستقر، كما يرجع إليهم في عدة قضايا أخرى وكان القادة العسكريون يعتمدون على التحصينات العسكرية أكثر من اعتمادهم على الجند، وهذا طبعًا استمرارًا لسياسة جستينيان الذي كان قد اتخذ من سبتة (Septem) مركزًا رئيسيًا للمراقبة ذا أهمية بالغة، وربحًا للوقت ، اعتمد البيزنطيون في بناء تلك التحصينات على أنقاض الوندال والمثل في ذلك تحصينات سبيطلة ودقة، كما اعتمدوا على لف المدن بالأسوار كالتي كانت بسطيف(Setifis) أو تبسة (theveste) وغيرها، رغم أن هذه الآثار تبرز مدى تطور الهندسة المعمارية البيزنطية من جهة إلا أنها توحي للمؤرخ بذلك التخوف البيزنطي وعدم الثقة تجاه العنصر البربري [(2)].

وإلى جانب هذه التحصينات والقلاع البرية اعتمد البيزنطيين على القواعد البحرية في دفاعهم عن المغرب، وقد امتدت هذه الحصون البحرية على طول شواطئ المغرب من برقة إلى طنجة ، حتى أنها كانت تشكل " حبات عقد " نظرًا لكثرتها، وقد اتخذ البيزنطيون من سبتة

⟸ مع بليزاريوس القائد البيزنطي الذي هزم الوندال ذلك أنه بمجرد خروجه من المغرب إلى القسطنطينية حتى خرج البربر في ثورة عارمة ضد خليفته سولومون، زغلول، المرجع السابق، ص: 122.

(1) GAUTIER, OP-CIT,P: 265

(2) جوليان، المرجع السابق،ص:365/361/269 لمزيد من التفصيل أرجع إلى كتاب عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، ج1 المركز الثقافي العربي، ط5، الدار البيضاء، 1996 وهو عبارة عن كتاب تحليلي استنتاجي.

قاعدة بحرية هامة إلى جانب قاعدتها البرية، أما عن قواعد الأساطيل الرئيسية فكانت تتركز في صقلية وجنوب إيطاليا وقرطاجنة، ويذكر بعض المؤرخين أن مسافة التواجد البيزنطي في إفريقية لم يتعدَ الثمانين أو المائة ميل إلا في القليل النادر وهذا رغم كثرة الأسقفيات التي ناهزت الخمسمائة والتي أغلبها في القرى الصغيرة الشأن [(1)].

بإضافة إلى خطر البربر الحضر في المناطق الساحلية عانى البيزنطيون من خطر قبائل البربر البتر أو(البدو) الذين كان أغلبهم في المناطق الداخلية والصحراوية وخاصة إقليم طرابلس والذين لم يكتفوا بالدفاع عن مناطقهم وتجنب البيزنطيين، وإنما كانوا في حالة هجوم مستمر على المناطق الساحلية، وهو الذي زاد في ضعف الجيش النظامي البيزنطي الذي لم يتجاوز إفريقية القنصلية وسواحل إقليم طرابلس، أما عن المناطق الأخرى فقد كان نفوذهم متذبذبًا وغير ثابت، لهذا عرف بربر جنوب إفريقية منذ القدم حياة شبه مستقلة

بـسبب دفـاعهم مـن جهـة وبعـد وخطـورة منـاطقهم التـي يهابهـا الرومـان والبيزنطيون من جهة ثانية [2].

وثمـة حقيقـة أخـرى لانكمـاش النفـوذ البيزنطـي علـى المنـاطق الداخليـة للمغرب، هي تراجع دور الثقافة الإغريقية واللاتينية اللتان عرفتا أوج تطورهما في القرون التي سبقت وهذا رغم الجهود التي بذلها البيزنطيون من أجل إحيائها خاصة في قرطاجنة عاصمة إفريقية الحضارية.

وتلك الحاضـرة الثقافيـة والتـي أفل نجمهـا، بالإضـافة إلـى ذلـك الانفصال الذي عرفتـه إفريقيـة بين شمالها البيزنطـي وجنوبها البربـري واللـذين تفصلهما تلك التحصينات التي كانت حاجزًا أمام تلك الثقافة والحضارة العالميـة، ذلك أن الرومان والبيزنطيون أبوا التوغل في صميم البلاد، وهو مـا حـافظ علـى الطـابع البربري الأصيل للمناطق الداخلية، وهو كذلك ما سهل على العرب في منتصف القرن السابع الميلادي في سهولـة فتحهم للبلاد أين وجدوا ذلك الجنـوب المسمى بيزاسـينا مـستقلا عـن أي سـلطان خـارجي مـا عـدا إقلـيم إفريقيـة الـشمالية زويجيتانيا،وكان بين بربر ــــــــــــــــــــــــ

(1) توماس، المرجع السابق، ص:144 . وهي تقريبًا نفس المسافات التي حددها الأستاذ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص:82.

(2) السيد سالم، المرجع السابق، ص:53 . أنظر كذلك حسن مؤنس، المرجع السابق، ص:40 - 41 . نجيب زبيب ، المرجع السابق، ص: 284.

الـشمال " البـرانس " الحـضر وبربـر الجنـوب " البتـر " البـدو صـراع علـى المنـاطق الخصبة أيـن المـاء والمراعـي، وكانـت الغلبـة فـي أغلـب الأحيـان قبـل الإسلام للبدو.

ومـن هنـا لـم يجد الإسـلام صـعوبة فـي أن يقضـي علـى المسيحية وعلـى البيزنطيين خاصـة أن مبادئـه تدعوا إلى المساواة والأخوة [1].

وهو عكس ما يذهب إليه بعض المستشرقين، والذين نجدهم يمارسون نقدًا هو فـي الحقيقة ملاحظات منهجية على المعلومات التقليدية، أي أنهم يطلقون نقدًا افتراضيًا منفصلاً تمامًا عن ترابط الأحداث، ممـا يؤدي بهم إلـى إطـلاق أحكام سلبية وغير منطقية على تاريخ المغرب الإسلامي، ومن هنا وجب على الباحث والمـؤرخ العربـي المسلم أن لا يـسقط فـي فـخ هـذه الأحكـام وهـذه الافتراضـات المبهمة وعليـه بالمقابل التـأليف الموضـوعي البنـاء والمدعم بـالحجج الموثـقة أو الدلائل المادية الأثرية .

(1) حسن محمود، المرجع السابق، ص:14.



تمهيــــد

1 ـ مرحلة الاستطلاع ..
2 ـ مرحلة التمكين والاستقرار.
3 ـ موقف البربر من الفتوحات الإسلامية .
4 ـ تشابه أنماط الحياة بين الجنسين .
5 ـ الاتصال الثقافي .
6 ـ أثر الإسلام في البربر .
7 ـ المساواة بين العرب والبربر.

2 ـ الفتوح الإسلامية لبلاد المغرب :

تمهيـد :

يذكر كثير من المؤرخين أن العرب المسلمين لاقوا مرارة كبيرة في فتحهم للمغرب بالمقارنة مع فتحهم للمشرق، وهذه النقطة التي أراد أن يستثمرها بعض المستشرقين المعادين للإسلام وهي القضية التي نريد أن نشرحها في فصلنا هذا ونفنّد بها إدّعاءات هؤلاء من خلال النصوص والمصادر التاريخية

ومن خلال دراسة الجوانب الاجتماعية والثقافية للعرب والبربر، وتلاقيهم في بوتقة واحدة موحّدة بالدين الإسلامي .

1 ـ مرحلة الاستطلاع :

تعتبر الفتوحات الإسلامية الأولى لبلاد المغرب قضية هامة ومنعرجًا تاريخيًا حاسمًا في التاريخ الإسلامي العام، وهي النقطة التي وجد فيها المؤرخون باختلاف مذاهبهم ومشاربهم وأصولهم مادة خام في كتابتهم التاريخية على اختلافها، وهي التي أوقعت الكثير من القراء في بعض الأخطاء وأحيانًا في بعض المتناقضات التي تكون إما مقصودة وإما عفوية، ولهذا وجب على الدارس أو بالأحرى الباحث في التاريخ المغربي التمييز بين تلك المصادر، كما وجب عليه دراسة الكاتب وبيئته قبل دراسة كتابه.

ومن هنا كان لزامًا علينا الاهتمام بالمصادر المغربية القريبة من زمن ومكان الأحداث، وتفضيلها على المصادر المشرقية، لكن لا يعني هذا إهمال المصادر الأخرى رغم أنها عاصرت أو كانت قريبة من الوقائع .

نقول هذا الكلام لما لاحظناه من اختلاف بعض المؤرخين في بعض أحداث الفتوح الإسلامي لهذا الشطر المغربي من حيث مثلا سنوات الفتح أو سنوات تعيين وإعفاء الولاة، أو مثلا من حيث تعداد الجيوش التي وجدنا فيها أحيانا مبالغات وتناقضات التي ربما تتحكم في بعضهم (أي المؤرخين) شخصياتهم أو مناصبهم، لكن رغم هذا يبقى السياق العام للتاريخ الإسلامي المغربي موحدًا وحدة هذا التراب من ضفة النيل بالإسكندرية شرقًا إلى بحر الظلمات غربا.

ويقسم المؤرخون تاريخ الفتوحات الإسلامية بالمغرب إلى قسمين متباينين وهما: فتوحات قبل مرحلة الاستقرار (وتسمى مرحلة الاستطلاع) وفتوحات بعد مرحلة الاستقرار (وتسمى مرحلة التمكين والاستقرار) وتعتبر الفتوحات الأولى فتوحات استكشافية وأحيانًا لجس النبض، وأحيانًا أخرى لدفع العدو إلى الوراء تأمينا للحدود الشرقية لمصر، وكانت هذه أهداف ولاة مصر الأولين كعمرو بن العاص[1]،ولكن رغم هذا أراد عمرو بعد سنة 22هـ مواصلة الفتح غربا فافتتح إطرابلس،وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستأذنه في مواصلة الفتح، لكن عمر أمره بالتوقف وعدم المغامرة بالمسلمين. وبعدها استشهد عمر ابن الخطاب وولى الخلاف من بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه[2] الذي تذكر حسب رواية الواقدي قول النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته له لفتح إفريقية، فما كان على عثمان إلا أن جهز جيشا بستين ألف فارس[3] من العرب وخمسمائة فارس من بني هاشم تحت إمرة عبد الله بن جعفر ونفس العدد من بني مخزوم تحت إمرة رافع بن الحارث، وفرسان من قبائل

عربية أخرى مثل غسان ولخم وجذام وغيرها، وقد أعطى عثمان إمارة عبد الله بن جعفر ونفس العدد من بني مخزوم تحت إمرة رافع بن الحارث، وفرسان من قبائل عربية أخرى مثل غسان ولخم وجذام وغيرها، وقد أعطى عثمان إمارة الجيش كلها إلى عقبة بن أبي عامر رضي الله عنه، الذي أجمع الجيش وتأهب للمسير به نحو إفريقية بعد أن سمعوا وصية عثمان ابن عفّان وعلي كرم الله وجهه وسار عقبة بالجيش [4] .

(1) لقبال، المرجع السابق،ص :23، حيث يذكر الدكتور لقبال أنه ما يسمى " الضرورة الحربية " استدعت الوالي عمرو بن العاص إلى التوجه نحو إقليم برقة .

(2) ابن عذاري، المصدر السابق، ص:08.

(3) رغم أن أغلب المؤرخين لتاريخ المغرب قد نقلوا عن الواقدي، إلاّ أن عدد الجيش الذي ذكره لم نجده في أغلب المصادر التي أطلعنا عليها، بينما وجدنا أكبر عدد هو عشرون ألف فارس ؟...

(4) الواقدي، **فتوح إفريقية** ، ج1المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية، تونس، الطبعة الأولى 1315، ص:2 - 3 وهي الرواية التي ذكرها الواقدي ويبدو أنها غير صحيحة ذلك أن أغلب المؤرخين خاصة المغاربة لم يذكروها، وهم كثيرون وأولى من الواقدي الذي يعتبر من المؤرخين غير الثّقاة رغم أنهم نقلوا عنه .

وقد غزا العرب إفريقية عدة غزوات أولية كانت أغلبها للعودة بالغنائم والسبي ومعرفة الإقليم ومنها غزوة سنة 25 هـ/ 645م - 646م. التي بعث بها عمرو بن العاص والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية وقد كان عبد الله من جند مصر [1].

وعقب ذلك عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر بعد أن أصبح من أعظم بناة دولة الإسلام [2].

وقد ولى عمرو بن العاص على مصر في عهد عثمان، الذي لا يعزل أحدًا إلا عن شكاة أو استغناء من غير شكاة، فعزله سنة سبع وعشرين ، وكان على قضاء مصر خارجة بن خذافة السهمي [3] واستعمل عثمان على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وكان أخًا لعثمان من الرضاعة، وقد ارتدّ عبد الله بن أبي سرح عن الإسلام من قبل، ذلك أنه كان يكتب الوحي للرسول صلّى الله عليه وسلّم،وفجأة لحق بالمشركين بمكة، ووقتئذ إسلام معاوية بن أبي سفيان قد اشتد فأخذ مكان عبد الله بن أبي سرح في كتابة الوحي وكان الرسول قد أهدر دمه، وحين فتح مكة استجار عبد الله بن أبي سرح بعثمان الذي طلب له الأمان عند الرسول، ومن ذلك استقام إسلامه [4].

(1)" ابن الأثير"، **الكامل في التاريخ**، مج2، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ الطبعة الثالثة، 1418 - 1998 م ، ص: 480.

(2) اختلف المؤرخون في سبب عزل عمرو بن العاص عن مصر، أنظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص: 482 لكن الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها، أنه قد علت به السن، ولم يعد يخرج في حملات أو بعوث، وهو الذي فتح فلسطين ومصر وبرقة وطرابلس ، وأضاف أشواطًا وحدودًا جديدة لدولة الإسلام الفتية .

(3) الطبري، المصدر السابق، ج2، ص: 597، أنظر كذلك ابن الأثير، المصدر السابق،ج2، ص:482، ومؤنس، المرجع السابق،ج1، ص:81 . وارجع إلى سعد زغلول، المرجع السابق،ج1، ص: 145 والذي يرجع تاريخ عزل عمرو بن العاص عن مصر إلى سنة 25 هـ (645 - 646 م). وهو في هذا يختلف مع بعض المصادر التاريخية التي ذكرت سنة 27هـ (647 - 648م) رغم أننا نرجح رأيه إلى سنة 25 هـ ذلك أنه لا يعقل أن يعيّن بن أبي سرح في سنة 27 هـ وفي نفس السنة يقوم بالفتح العظيم في سبيطلة الذي يتطلب الوقت الكافي وما يؤكد هذا أن بعض الروايات تذكر بحصار المسلمين لسبيطلة مدة خمسة عشر شهرًا ، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص : 173.

(4) ابن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص: 9 . وانظر كذلك سعد زغلول، المرجع السابق، ج1، ص: 146 - 147 . فإنه فسرها جيدًا .

وبتولية عثمان لأخاه بولاية مصر جهز عبد الله بن أبي سرح جيشًا لفتح إفريقية ووعده بخمس الخمس من الفيء نفلاً، وحين فتحت في أيامه غنم المسلمون ما لم يروه من قبل، بحيث كان حظ الفارس ثلاثة آلاف دينار [1]، والراجل ألف دينار إضافة إلى الجزية التي كان يدفعها بطريق إفريقية شريطة الأمان [2] وقد وقع اختلاف بين المسلمين في اقتسام خمس الخمس من الغنائم، وسخط الجنود على عبد الله بن أبي سرح وأوفدوا وفدًا إلى الخليفة عثمان شاكين تصرف الوالي الذي كان كما ذكرنا لا يعزل وُلاّتِهِ إلا عن شكاة، فكتب عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح يأمره برد ما أخذ وبالعودة إلى مصر [3].

---

(1) دينار: أخذ من اللفظ اليوناني اللاتيني (ديناريوس اوريوس) أطلق على وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب،الذي عرفوا هذه العملة الرومانية واستعملوها قبل الإسلام، وأشار إليها القرآن الكريم في سورة آل عمران آية، 75، غربال، المرجع السابق، ج1، ص: 237.

(2) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج7 اعتنى بهذه الطبعة ووثقها عبد الرحمن الأدقي، محمد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1418 هـ/ 1998م، ص: 163 . وقد شكك الدكتور مؤنس في هذه المبالغ المالية التي حصل عليها الجند إذ ذكر أنه مبالغ فيها بدون شك ، رغم اعترافه بأن فتح سبيطلة رجع على المسلمين بغنائم عظيمة، لكن ليست بتلك القيمة،مؤنس، المرجع السابق، ج1،ص:82، وذكر سعد زغلول أنه لو صحت توجب أن تكون قيمة الغنائم في هذه الجملة

حوالي أربعين (40) مليون دينار بعملية حسابية بسيطة، وقد ذكر سعد زغلول سبب ذكر الرواة لهذه المبالغ، المرجع السابق،ج1،ص: 160.
(3) لمزيد من التفصيل في هذه الحادثة أنظر كل من الطبري المصدر السابق،ج2، ص:597، كذلك أنظر ابن عذاري،المصدر السابق، ج1، ص: 14، مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص: 83، سعد زغلول،المرجع السابق،ج1، ص: 160 - 161 - 162.

هذا وكان جند المسلمين عشرين ألف حين دخل إفريقية وكان فيه عددًا من الصحابة منهم عبد الله بن عمر [1] وعبد الله بن الزبير [2]،وكان على ملك إفريقية يقال له " جرجير"ـ "Grigorieus"[3]،ويمتد ملكه من طرابلس إلى طنجة وهو في جيش قوامه مائة وعشرون ألف وقيل مائتي ألف والتقى الفريقان بمدينة سبيطلة [4]، وهي الموقعة التي اشتهر فيها عبد الله بن الزبير الذي توغل بخطته في صفوف البربر الذين ظنوا أنه في رسالة إلى ملكهم جرجير [5].

وبقتل عبد الله بن الزبير لجرجير فتحت سبيطلة سنة سبع وعشرين وسبى وغنم المسلمون ما لم يروا من قبل ونفل ابن الزبير ابنة الملك جرجير، ويقال أنه اتخذها أم ولد (6) ، وقد

---

(1) هو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم بعد،وهاجر معه إلى المدينة المنورة، وقد عرض على الرسول صلّى الله عليه وسلّم يوم أحد فردّه لصغر سنه، فعرضه عليه يوم الخندق وهو ابن خمسة عشرة سنة فأجازه كان من أهل الورع والعلم، ويقولون أنه كان أعلم الصحابة بمناسك الحج. ابن خليكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،مجلّد 3 تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت ـ لبنان، 1414 هـ/1994م، ص: 28 - 29.

(2) هو أول مولود ولد بالمدينة من المسلمين بعد الهجرة، بويع له بمكة سنة أربع وستين بعد أن أقام الناس بغير خليفة وبايعه أهل العراق، بنى الكعبة وأدخل عليها الحجر وجعل لها بابين مع الأرض، كان مقتله سنة ثلاث وسبعين، أيام عبد الملك بعد حصار سبعة اشهر، أنظر ابن خليكان، المصدر السابق، ج3، ص:71.

(3) هو البطريق جرجوريوس الثاني ابن نقيتاس تمرّد على الإمبراطور البيزنطي كنستانز الثاني سنة 641 بمساعدة الأسقف مكسيموس الذي دفع معظم سكان المغرب وقبائل البربر إلى محاربة الإمبراطور وتنصيب جرجوريوس على العرش،هذا الأخير الذي كان يحظى بشعبية كبيرة لدى المغاربة لما كان بيديه وأسرته من كفاية وعدل، وفي سنة 646 م أعلن جرجوريوس استقلاله رسميًا عن الإمبراطورية البيزنطية. وتلقب بالإمبراطور وحوّل عاصمته من قرطاجنة إلى سبيطلة ، عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب الكبير**، ج2 دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص: 76 -77.
وقارن لقبال الذي ذكره على أنه جرجير الثاني الذي يعرف في المصادر العربية بالبطريق وكان ثائرًا ضد الإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية لذلك لم يبق في قرطاجنة الساحلية وانسحب إلى سبيطلة الداخلية ـ لقبال، المرجع السابق، ص:25.

(4) سبيطلة بضم أوله وفتح ثانيه وهي مثناة من تحت وطأة مكسوة ولام، مدينة من المدن الإفريقية وهي كما يزعمون مدينة جرجير الملك الرومي، وبينها وبين القيروان سبعون ميلا، الحموي، المصدر السابق، مج3 ، ص: 187.

(5) ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص: 164، رغم أن الدكتور زغلول يذكر أن الزبيريين وشيعتهم هم الذين عملوا على إذاعة أمجاد أسرتهم طمعًا في الخلافة وخاصة أن جلّ رواة فتوح مصر والمغرب كانوا من الأسرة الزبيرية .

(6) اختلف المؤرخون في صحة هذه الرواية، فهناك من يذكر أنها آلت إلى رجل من الأنصار في سهمه وهناك من يقول أنها انتحرت بأن ألقت بنفسها من البعير الذي كانت عليه فدقت عنقها فماتت، وهناك من يذكر أنها آلت إلى ابن الزبير، رغم أن سعد زغلول يكذب هذه الرواية لأنها لو آلت إلى ابن الزبير أو إلى غيره لعرفنا أخبارها فيما بعد ...، المرجع السابق، ج1، ص: 158، أنظر كذلك ابن الأثير،ة المصدر السابق، ج2،ص:484،ابن عذاري،ج1،ص:12، عبد العزيز سالم، المرجع السابقج2،ص:165.

اختار ابن عبد الله بن سعد ابن الزبير بالبشارة إلى عثمان في فتح إفريقية [1]. وأقل ابن الزبير راجعًا إلى المدينة بالغنائم وبإخبار الخليفة على النصر المحقق بإفريقية وقص عليه وقائع تلك المعارك فسر الخليفة عثمان بن عفّان بما سمع، وطلب من عبد الله بن الزبير أن يخطب في الناس ما عاشه بإفريقية فقال ابن الزبير للخليفة:" يا أمير المؤمنين إني أهيب لك مني لهم"فقام عثمان بن عفان في الناس خاطبًا وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر بفتح إفريقية ثم قال: هذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله، وكان إلى جانب المنبر فقام يخطب الناس وكان أول من خطب إلى جانب المنبر خطبة طويلة رواها ابن عبد ربه [2] وبعد أن عزل عثمان أخاه ابن أبي سرح عاد هذا الأخير إلى مصر بعد أن قضى بإفريقية ثلاثة أشهر، وفقد المسلمون ثلاثة نفر قتل منهم أبو ذئيب الهذلي الشاعر على حد رواية ابن الأثير [3].

ومما أخذ على عثمان بن عفّان في خلافته أنه باع خمس إفريقية أي من الغنائم إلى مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار [4] ويرجع بعض المؤرخين نجاح عبد الله بن سعد بن أبي سرح في ولايته بمصر إلى الأرضية الصالحة التي وجدها هناك والتي كان عمرو بن العاص قد عمل على استتبابها من الناحية الداخلية والخارجية ، فمن الجانب الداخلي لم يضف ابن أبي سرح الجديد ما عدا رفع نسبة الخراج من 12.000.000 دينار إلى 14.000.000 دينار،وما عدا هذا فإن كل شيء على ما يرام .

---

(1) في حقيقة التاريخ الإسلامي وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية أنها تبتعد عن هذا الأسلوب في نسب الانتصارات والإنجازات إلى شخص واحد لأن فضل الفتح الإسلامي لم يكن لأشخاص بأعينهم إنما هو للأمة العربية الإسلامية ذات الإيمان العظيم والقوة القادرة على القيام بعظائم الأمور، إضافة إلى أن هذه الغزوة عرفت في التاريخ الإسلامي بغزوة العبادلة من أبناء الصحابة.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي،**العقد الفريد**،ج4 تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،ط ، 1423 هـ/ 1999م، ص:99.

(3) رواية ابن الأثير قابلة للنقد، بحيث يستبعد أن تكون المعركة بين جيشان يفوق عددها مائتي ألف مقاتل ويكون قتيل واحد في صفوف المسلمين .

(4) ابن الأثير المصدر السابق،ص:484، رواية ابن الأثير يحيط بها الغموض الذي يثير الشك في أصالتها، كما أن استجابة عثمان بن عفّان للناس وعزله لعبد الله بن سعد بن أبي سرح بسبب الغنائم، يعني عزله عن إمرة إفريقية، وتولية عبد الله بن نافع بن عبد القيس أخ عقبة بن نافع على قيادة قوات إفريقية.

أما عن الأحوال الخارجية فيما يخص قتل عثمان وعلي وقيام الخلافة الأموية فإنه كان عل مصر أن تحدد موقفها.

إلى جانب مواصلة الفتح الذي كان قد بدأه سلفه عمرو بن العاص حين فتح برقة سنة 21 هـ (641م) وطرابلس سنة 22 هـ (642م) وهم بمواصلة فتح إفريقية لولا أوامر الخلافة، وكان عمرو قد أمّن حدود مصر من الناحية الغربية كما أنّه قد عبّد الطريق لمن يأتي بعده لمواصلة الفتح ورغم هذا فإن ابن أبي سرح لم يستطع فتح إفريقية لولا تدخل عبد الله بن الزبير الذي غير من خطة المعركة وتمكّن من فتحها سنة 27 هـ - 647 م وقتل ملكها [1] .

لكن الفتوحات الإسلامية في إفريقية لم تعرف الاستمرارية في بدايتها وهذا راجع لمشاكل الخلافة المتعددة، خاصة عندما عرفت فتنة عثمان - رضي الله عنه - أوجّها، فتوقفت مؤقتًا الصوائف [2] عن إفريقية وهي الفترة التي عرفت ارتداد بعض البربر، إلى أن تولى معاوية الخلافة الذي أرجع الصوائف بانتهاء الفتنة، ومن هنا استقام أمر إفريقية على الإسلام [3]، وبتولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة، انتهى الحكم الراشدي وحلت محله الخلافة الأموية سنة 40 هـ/ 661م وهي السنة التي عرفت بعام الجماعة [4].

---

(1) حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، الجزء الأول ، دار الجيل، بيروت - لبنان بالاشتراك مع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، الطبعة الرابعة عشر، 1416هـ - 1996م ، ص: 212 - 213.

(2) الصوائف: جمع صائفة وهي الميرة قبل الصيف، وهي الغزوات السنوية، وهي حرب الثغور أنظر سعد زغلول، المرجع السابق،ج1، ص:167.

(3) مجهول، **أخبار مجموعة في افتتاح الأندلس وذكر أمرائها ، رحمهم الله - والحروب الواقعة بها بينهم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان، ط1، 1401هـ/ 1981م، ص: 14.

(4) هي السنة التي قتل فيها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لكن تسليم الخلافة من الحسن بن علي إلى معاوية كان سنة 41 هـ وفيها قيام الخلافة الأموية على رأي جمهور العلماء والمؤرخين أنظر ابن الأثير، المصدر السابق،ج3، ص:271 - 272، ابن كثير، المصدر السابق،ج7، ص: 349، ج8، ص:404 أنظر، عبد العزيز سالم، المرجع السابق،ج2، ص:174 كذلك أنظر مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص: 85، ويفسر الدكتور زغلول تعدد التواريخ للأحداث التاريخية، ويرجع عدم اصطناعها، لأنه حسبه دائمًا ينبغي التفرقة بين الرواية التاريخية وتحديد التاريخ، للمزيد من الشرح أنظر، سعد زغلول، المرجع السابق، ج1، ص: 166 - 167.

ويشير بعض المؤرخين المعاصرين إلى دور البربر في نجاح الفتوحات الأولى، وتقبلهم للإسلام من أول وهلة ذلك أنه في زمن الفتنة (حسبهم دائمًا)

لو أراد الروم أن يسترجعوا إفريقية لاستعادوها لأن العرب كانوا في فترة لا تسمح لهم بالدفاع عن الأراضي التي فتحوها، لكل أهل إفريقية { البربر " كانوا قد اطمأنوا واستأمنوا بالعرب الذين خلصوهم من سيطرة الروم خاصة العسكرية والاقتصادية .

وما زاد في استمالة البربر هو أنه بعد خروج ابن سرح ورجوعه إلى مصر لم يفرض على أهل إفريقية ضريبة دورية[1].

وعكس العرب كان الروم من قبل قد أثقلوا كاهل البربر بالضرائب، حتى في عهد الفتوحات الأولى حيث حاول هرقل" ملك القسطنطينية " بعد فتح العرب لإفريقية جباية خراجها فأرسل بطريقًا إلى أهلها لأخذ مثل ما أخذه المسلمون، لكن البربر أبوا دفع الخراج للروم وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تحرر البربر من ضغوط الروم وتمردهم على أوامر الإمبراطور البيزنطي، وهذا راجع إلى تشجع البربر بالعرب المسلمين وبدايات تقبل الدين الجديد [2].

إضافة إلى هذا لاحظ البربر ذلك الفرق الشاسع بين الاحتلال البيزنطي والفتح الإسلامي، ذلك أن التواجد البيزنطي بإفريقية كان مكثفًا بالحاميات العسكرية، عكس العرب الذين لم يتركوا أي حامية في السنين الأولى للفتح [3]،بل ولم يعقدوا اتفاقًا ما مع أهل البلاد، ذلك أن البلاد الإفريقية أصبحت أرضًا مألوفة بالنسبة للعرب ولم تعد أرضًا مخوفة كما كانت في أيام عمرو بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال عنها أنها " غادرة مغدور بها ".

كما يرجع بعض المؤرخين المعاصرين سبب عدم ترك حاميات في إفريقية من قبل العرب ___________________

(1) مؤنس، المرجع السابق، ص : 84.

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ص:485.

(3) يرجع بعض المؤرخين عزوف العرب عن ترك حاميات بإفريقية في بدايات الفتح إلى عدة أسباب منها: تخوف العرب من البربر، وعدم استئمان شرهم، إضافة إلى أن هدف العرب الأول كان قد تحقق بطرد الروم وتأمين حدود مصر الغربية، وهو انتصار سياسي عسكري لولاة مصر، مؤنس ، المرجع السابق، ص :84.

إلى أنها أصبحت أي إفريقية (بلاد البربر) أرض المغانم من الورق وقناطير الذهب والسبايا الجميلات [1].

كما أن العرب لم يتركوا حاميات، ولم يحددوا نوع علاقاتهم مع أهل إفريقية لأنه في رأيهم قد أنجزوا الأهم بطرد الروم عن إفريقية وأمنوا حدود دولتهم من الغرب وهذا كله في المرحلة الأولى [2] .

ولما كان معاوية بن أبي سفيان بالشام قدم إليه والي إفريقية من الروم بعد أن طرده بطريقها لتقديم المساعدة لفتح إفريقية ولما فرغ الخليفة من ترتيب بيت الخلافة أرسله مع جيش يقوده معاوية بن حديج السكوني، لكن الرومي هذا توفي بالإسكندرية [3] في طريقهم إلى إفريقية ولم يكشف عن ثغراتها .

لكن ابن حديج واصل مسيرته إلى إفريقية ونزل عند مدينة يقال لها قمونية [4] وكانت معركة بين المسلمين والروم لم ينتصر فيها المسلمون إلا بعد أن تهدم سور حصن جلولاء [5] فدخلها ـــــــــــــــــــــ

(1) سعد زغلول، المرجع السابق،ج1، ص: 174 ونختلف مع رأي سعد زغلول بخصوص هذه النقطة في أن أرض المغرب أصبحت بالنسبة للعرب أرض المغانم والسلب والسبايا الجميلات ذلك أن رسالة المسلمين لم تكن جبائية وإنما كانت تبشيرية، ونظن أن سعد زغلول اتفق من غير قصد مع رأي أحد المستشرقين في أن العرب المسلمين عسّروا على الشعوب المغلوبة دخول الإسلام حتى لا يقللوا من دخلهم الجبائي، والحقيقة أن هدف المسلمين أسمى هو الفتح ونشر الإسلام.

ورغم أن الدكتور عبد العزيز سالم يذكر أنه عقد صلحًا بين العرب والأفارقة سنة 28 هـ /648 م دام إلى غاية 38 هـ / وهي الفترة التي لم يجد فيها العرب أي اهتمام بالمغرب وهذا راجع لفتنة الأمصار وقتل عثمان وعلي... عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص: 174.

(2) مؤنس، المرجع السابق،ج1، ص: 84.

(3)الإسكندرية : عرفت عدة مناطق قديمًا بهذا الاسم لكن ما يعرف الآن بهذا الاسم إلا الإسكندرية العظيمة التي بمصر، لأكثر تعريف: أنظر الحموي، المصدر السابق، المجلد الأول، ص: 182.

(4) قمونية: بالفتح وبعد الواو نون ثم ياء خفيفة، مدينة بإفريقية كانت موضع القيروان قبل أن تمصّر القيروان، وقال بعضهم إن قمونية هي المدينة المعروفة بسوس المغرب ، الحموي، نفسه، ج4، ص: 399.

(5) جلولاء:مدينة مشهورة بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلا، مدينة كثيرة الأنهار والثمار وأكثر رياحينها الياسمين وبطيب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها أنظر ، الحموي نفسه، ج2، ص: 156.

المسلمون واستقام أهلها على الدين الإسلامي [1].

كان هذا سنة 45 هـ/ 665م وبعد هذا الانتصار أفل ابن حديج راجعًا إلى مصر دون أن يترك حامية بإفريقية، لأنه ابتداءًا من ذلك التاريخ أصبح البربر هم حماة إفريقية ضد الروم ودفاعًا عن أرض الإسلام لكن أمر فتح إفريقية لم يستقر على ذلك النهج في الغزو ثم العودة إلى مصر" قاعدة المسلمين " بل تطور بعد أن تربّع على قيادة الجيش جندي ومجاهد عظيم هو عقبة بن نافع الفهري [2] الذي عزم على جهاد الكفار حتى يسلم المغرب كله .

وكان عقبة بن نافع من قبل عامل لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه الذي كان يغزو إفريقية من حين إلى آخر حتى أنه بلغ تونس وسبرة [3] وهذا قبل أن يولى ولايته الأولى [4].

وبولاية عقبة بن نافع الأولى سنة 50 هـ (670 م) تمت مرحلة الفتح قبل الاستقرار ليبدأ المسلمون مرحلة ثانية جديدة عرفت عند المؤرخين بمرحلة الاستقرار والفتح المنظم بتثبيت القواعد، الذي لن يتوقف حتى يصل الإسلام ويعتنق في سواحل المحيط الأطلسي [5].

وتعتبر ولاية عقبة بن نافع الأولى من أهم مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ويمكن اعتبارها مرحلة ممهدة للفتح النهائي على يد موسى بن نصير فيما بعد

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق،ص:485 أنظر كذلك ابن خلدون، المصدر السابق، ج12، ص: 217، مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص:85 ، سعد زغلول، المرجع السابق، ج1، ص: 174، أنظر كذلك عبد العزيز سالم، المرجع السابق،ج2، ص: 184.

(2) هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري، 1ق هـ - 63 هـ / 621 - 683م : فاتح من كبار القادة في صدر الإسلام وهو باني مدينة القيروان ولد في حياة النبي وله صحبة له، شهد فتح مصر، وكان ابن خالة عمرو بن العاص ، ولي إفريقية ولايتين الأولى من 50 ت 55 هـ والثانية من 62 - 63 هـ استشهد بتهودة (من أرض الزاب)، خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس التراجم** ، ج4، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية عشر 1997، ص: 241.

(3) سبرة: بفتح أوله وسكون ثانيه، اسم مدينة قديمة بإفريقية بعد إطرابلس ذكرت في معجم البلدان على أنها فتحت على يد عمرو بن العاص، لكن ياقوت الحموي شكك في المعلومة ورجّح أن تكون غلطًا من الناقل، أنظر الحموي، المصدر السابق،ج3، ص: 183.

(4) مجهول، المصدر السابق، ص : 13.

(5) مؤنس، المرجع السابق،ص : 86.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه قبل الخوض في مرحلة التمكين والاستقرار هو كيف استقبل البربر أبناء عمومتهم العرب الفاتحين ؟ وما هي آليات العرب في إسلام البربر وفي تعريبهم وفي صبغهم الصبغة العربية الإسلامية .

هذا الأسئلة نحاول الإجابة عليها قدر الإمكان في فصولنا اللاحقة .

2 ـ مرحلة التمكين والاستقرار :

يعتبر مؤرخو العصر الحديث هذه المرحلة من الفتح الإسلامي بالمغرب، هي المرحلة الرئيسية والهامة في تثبيت أركان الإسلام وتعريب المغرب، وقد تم ذلك بداية من سنة 50 هـ /670م بتولية عقبة بن نافع ولاية إفريقية استقلالا عن مصر، وقبل ذلك كانت لعقبة بن نافع تجربة طويلة بالمغرب، حيث كان يقود جيشًا في حملات صحراوية في ولاية ابن أبي سرح ومعاوية بن حديج،وحتى في ولاية عقبة بن عامر الجهني [1] سنة 48 هـ/ 668م وبتاريخ تولية عقبة بن نافع يعتبر تاريخ ميلاد إفريقية والمغرب كقسم إداري مستقل مثله مثل مصر أو ولايات إسلامية أخرى [2].

وقد خاض عقبة بن نافع عدة معارك ضد الروم من جهة وضد البربر من جهة أخرى لفتح المغرب، وقد يطول بنا الحديث لو نفصل في تلك الحروب التي

عرفت في مرحلة الاستقرار هذه، لأنه من جهة تفصيل الحروب والمعارك لا يهم بدرجة كبيرة المؤرخ أكثر مما تهمه نتائج وآثار تلك الغزوات، لكن هذا لا يعني أننا نهمل أهمها والتي قادها الولاة الفاتحون العظام على مدى النصف الثاني من القرن الهجري الأول [3].

وقد عادت معارك المسلمين بخطط جديد لمجابهة العدو، كما عاد عقبة بن نافع إلى جهاده وعلى عاتقه إحراز النصر الشامل والمستقر، ولتحقيق ذلك سطر عقبة بن نافع خطتين:

---

(1) عقبة بن عامر: هو عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني، أمير من الصحابة كان رديف النبي صلّى الله عليه وسلّم شهد صفين مع معاوية، حضر فتح مصر ومات بها، كان فقيها، شاعرًا، قارئًا من الرماة أحد من جمع القرآن، له 55 حديثًا وبالقاهرة مسجدًا باسمه (58 - - 678م) الزركلي المرجع السابق، ج4، ص: 240.

(2) مؤنس ، المرجع السابق، ص: 88.

(3) سالم، المرجع السابق، ص:191، وما بعدها مؤنس، المرجع السابق، 88، لقبال ، المرجع السابق، ص : 34.

الأولى وهي السير في الطريق الصحراوي وهذا تجنبًا للطريق الساحلي، ومنه تجنب الخطر البيزنطي المستقر في السواحل خاصة في قوته البحرية التي هي حديثة العهد بالنسبة للمسلمين.

وبالإضافة إلى محاولة استمالة البربر البدو، الذين عرفوا من قبل بالمحافظة على هويتهم وعاداتهم ومواجهتهم لأي تدخل أجنبي، عكس بربر البرانس (الحضر) [1] الذين استقر معظمهم في السواحل وانغمس أغلبهم في الحضارة البيزنطية .

أما الخطة الثانية فكانت الأهم والتي اعتبرها المؤرخون أساس انتصار الإسلام والعروبة بالمغرب، وهي إنشاء قاعدة إسلامية، جامعة أي سياسية دينية، ثقافية، عسكرية، اجتماعية، في منطقة متوسطة أي ليست في أعماق الصحراء ولا هي على سواحل المغرب، وهذا لتكون في منأى عن خطر الأساطيل البحرية، وتعوض هذه القاعدة قاعدة مصر لبعد المسافة بينهما [2].

فدخل عقبة بن نافع إفريقية سنة خمس وأربعين 45هـ (665م) [3] ففتحها وبنى مدينة القيروان [4] وبني جامعها [5].

---

(1) سبق لنا التعريف والتمييز بين تلك القبائل البربرية (البترية والبرنسية) في الفصل الأول من بحثنا.

(2) أحمد محمود ، المرجع السابق، ص: 24.

(3) القلقشندي،**مآثر الأناقة في معالم الخلافة** ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب،لبنان دون تاريخ،ص:115 وقد ذكر بعض المؤرخين هذا التاريخ على أساس أنه أول ولاية عقبة على إفريقية كلنها ولاية غير استقلالية أنظر، الزركلي، المرجع السابق،ج4، ص: 241.

(4) القيروان: قال الأزهري:" القيروان معرب وهو بالفارسية كروان وقد تكلمت به العرب قديمًا، مدينة عظيمة بإفريقية ليس بالمغرب مدينة أجمل منها " الحموي، المصدر السابق، مج4، ص: 420، أنظر ملاحق المؤلف جنحاني، ص: 169 إلى 176 كما وصفها الرحالة الجغرافيون.
(5) القيرواني: **كتاب المحن**، تحقيق د. يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط2، 1408هـ / 1989م، ص: 276.
يتضح من خلال مقارنة أغلب المصادر والمراجع أن ولاية عقبة بن نافع الفهري الأولى لإفريقية كانت محصورة بين سنتي 50 - 55 هـ (670 - 675م) أما الثانية فكانت بين سنتي 62 - 64 هـ (682 - 684م).
ويستبعد جدًّا أن تكون بدايات بناء مدينة القيروان قبل تولية عقبة واليًا على إفريقية، كما أن الدكتور لقبال يذكر أن مرحلة البناء الأولى للقيروان استغرقت أربع سنوات (51 - 55 هـ) ثم تمت وتوسعت في عهد ولاة إفريقية لقبال، المرجع السابق، ص: 40، أنظر كذلك سالم ، المرجع السابق، ص: 191، مؤنس المرجع السابق، ص:88 والذي يذكر أن فكرة بناء القيروان كانت لدى عقبة منذ زمن بعيد، لكنه استطاع أن يجسدها بعدما أصبح واليًا على إفريقية، وعلى ذكره ⟸

وكان دخول عقبة إلى إفريقية في عشرة آلاف من المسلمين، فطرد من بها من النصارى ووضع السيف في أهلها وقال مقولته المشهورة: " إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزًا للإسلام إلى آخر الدّهر " .

وقد بدأ في بناء المدينة سنة 51 هـ (671م)، وقد واجهت عقبة مشكلتان :

الأولى في طرد الوحوش والسّباع والهوام من تلك المنطقة، والثانية في حين بناء المسجد واختلاف الناس في اتجاه القبلة، وهنا برز الجانب الديني الفقهي في شخصية عقبة الذي كان رجل المستجاب الدعوة، وقد رأى الناس (من عرب وبربر) كيف دعا عقبة الوحوش والسّباع لمغادرة المكان والتي لبت نداءه ، كما رأوه وهو يهتدي إلى القبلة بإلهام سماوي[1].

ويذكر المالي أن الناس لم يروا حية في موضع القيروان بعد ذلك أربعين سنة كما أنه الوحيد الذي ذكر موضع القيروان لم يكن فقط شعاب وغابات ووديان، وإنما كان بذلك الموضع حصن لطيف للروم يسمى قمونية [2] .

⟸فاختط القيروان وأنشأ مسجدها الجامع فيما بين سنتي 50 م 55 هـ / 670 - 675م ويجب التنبيه هنا إلى نقطة مهمة وهي أول ما بدأ في بناءه هو المسجد ، وهو دلالة على دخول المنطقة الإسلام والعروبة، نفسه ، ص:88، رغم أن المؤرخ زغلول يذyر أن موضوع المدينة ودار الإمارة والمسجد، وأي منهما بني قبل الآخر كان محل جدل بين الكتاب، لكنه يختتم كلامq بالقول: " أنه من المعقول أن يكون البدء في بناء دار الإمارة قد سبق بناء المسجد" كما يذكر أنه " بطبيعة الحال لم يتم بناء المدينة بهذا الشكل الكامل دفعة واحدة، إذ كمل البناء في أربع سنوqت، وذلك في سنة 55 هـ وكانت المدينة تعمر وتتسع شيئًا فشيئًا " زغلول ، المرجع السابق،ص : 186 - 187.
(1) ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 19 - 20.

(2) المالكي، **كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم** وفضائلهم وأوصافهم، ج1،تحقيق بشير البكوش، دار المغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط2، 1414 هـ/ 1994م،ص:32، ويذكر أغلب المؤرخين والمصادر العربية بتلك الرواية أو " الأسطورة " في بناء مدينة القيروان، وفي تفسير خروج الوحوش والسباع من الغابة، لكنهم يختلفون في سبب خروجها، أي هل بنداء عقبة لها ثلاثة أيام أم بحرق الغابة واضطرارها للخروج، ولمقارنة تلك الآراء أنظر، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 201، وما بعدها فإنه أطنب في شرحها.

وقد عمرت القيروان وشدّ الناس إليها الرحال من كل حدب واكتملت عمارتها سنة 55هـ/ (674م) وكان دورها قد بلغ ثلاثة عشر ألف وستة مائة ذراع ، وهي السنة التي عزل فيها معاوية بن أبي سفيان بن حديج وولى مكانه مسلمة بن مخلد الأنصاري وعزل عقبة بن نافع عن إفريقية وولى عليها مولاه أبي المهاجر دينار، وكان مسلمة أول من جمع له المغرب كله .

هذا وقد كان عقبة أثناء عمارته للقيروان، مواصلاً للفتح والغزو وبعث السرايا وهو ما أدى إلى تقوية جيوش القيروان بكثرة دخول البربر إلى الإسلام طواعية، فكانت بداية تثبيت الإسلام بها [1].

ومن ذلك أصبح الأمراء يتخذون البلاد الإفريقية وطنًا لسكناهم وأساسا لمبناهم وأصبحت عادة يتوارثونها الخلف عن السلف الصالح، الذين فتحوا البلاد وقادوا إليها الدين [2].

وبهذا أصبحت القيروان قبلة المغرب وكعبة الحضارة ومعقل الإسلام بالمغرب الجديد. وكان بها الصحابة يفقهون الناس أي " البربر " بتعاليم الدين الإسلامي، كما تعتبر القيروان مقبرة الشهداء من الصالحين، الذين أعطوا المدينة القدسية التي تتميز بها عند المؤرخين، ومن هنا نستطيع القول أن مدينة القيروان لعبت دورًا هامًا في إدخال البربر إلى حظيرة الإسلام وهو الدور الذي لا يقل عن دور الفاتحين [3].

أما عن ولاية أبي المهاجر دينار، فإن أغلب المصادر تمر عليها مرور الكرام، ويمكن أن يرجع هذا إلى سببين :

لأن ولايته كانت بين ولايتي عقبة أو بسبب استياء الرواة من سيرة أبي المهاجر في سوء عزل عقبة [4].

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 21، أنظر كذلك ابن الأثير المصدر السابق، ص:320، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص:207، رغم أنه يذكر أن ولاية عقبة الأولى عرفت بعزوفه وهذا مخالفا للمصادر مثل ابن الأثير .

(2) ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط** ، القسم الثالث من كتاب أعمال الإعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص:2.

(3) أحمد محمود، المرجع السابق، ص:24.

(4) يذكر الدكتور لقبال أن المصادر التاريخية لا تعطي لأبي المهاجر دينار ما يستحقه من الاهتمام، لأنه لم يعامل عقبة في عزله معاملة حسنة إضافة إلى أنه من الموالي عكس عقبة الذي كان من الصحابة، لقبال ، المرجع السابق، ص: 43.

لكن رغم هذا فقد واصل أبو المهاجر الفتوحات بحيث حطم ذلك الحلف الذي أقامه الروم مع بربر أوربة [1] البرانس، كما أنه صالح بربر إفريقية، واستمال زعيم أوربة كسيلة [2] وأحسن إليه بعد أن اعتنق الإسلام، وخرج في جيش حتى انتهى إلى العيون المعروفة باسمه ، نواحي تلمسان، هذا وقد ترك بالقيروان إلا الشيوخ والنساء [3].

كما غزى أبو المهاجر دينار الروم قلعتهم بقرطاجنة سنة 59 هـ (678م)، وأحرز انتصارا عظيما الذي يعتبره المؤرخون أو أمير عربي يفتتح المغرب الأوسط حين بلغ تلمسان، وكان المغرب الأقصى والأندلس لم يفتحا بعد [4].

واستمر الحال على ذلك إلى أن توفي معاوية بن أبي سفيان 61 هـ (680م) ، وتولى الخلافة من بعده ابنه يزيد[5] الذي أرجع عقبة بن نافع إلى ولايته بإفريقية والمغرب كله سنة 62 هـ (681م).

وكان مع عقبة خمسة وعشرون رجلا من أصحاب رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم. وقد أخذ عقبة في غزواته نحو الغرب بعد أن استخلف رجلاً صالحًا على القيروان هو زهير بن قيس البلوي، وقد خاض عدة غزوات لنشر الإسلام في صفوف البربر والروم ، حتى وصل إلى المحيط الأطلسي غربًا، وقفل راجعًا إلى القيروان .

---

(1) أوربة : بالفتح ثمّ السّكون، وفتح الراء والباء موحّدة، وهاء، قبيلة من البربر مساكنهم قرب فاس، الحموي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص : 278.

(2) ذكره ابن عذاري في بيانه أنه كسيلة بن لمزم الأروبي، وقيل البرنسي، ملك أوربة أسلم على يد أبي المهاجر دينار، نفسه، ص: 28.

(3) المالكي، المصدر السابق، ص: 33، وهذا دليل على أن فترة ولاية أبي المهاجر عرفت استقرارًا وصلحًا بين العرب والبربر.

(4) القلقشندى، المصدر السابق، ص:113، أنظر كذلك عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص:216.

(5) يزيد بن معاوية: (645 - 683م) الخليفة الأموي الثاني، تولى بعد وفاة أبيه وأمر عبد الله بن زياد والي الكوفة بمحاربة الحسين وأتباعه، وقد هزمهم بكربلاء سنة 680م ، وقتل الحسين بالمعركة وبعث برأسه وأولاده إلى يزيد الذي علقهم على باب دمشق ثم طيف بها في البلاد، قاد يزيد جيشه في حصار القسطنطينية. غربال، المرجع السابق، ج2، ص:1980.

وقد يطول ذكر تلك الغزوات ، لكننا نذكرها مختصرة، إذ كانت بدايتها بفتح باغاية [1] وقرطاجنة [2] اللتين كان أهلها مجوسًا ونصارى .

وغزوته إلى المنستير [3] التي كانت من أعظم مدائن الروم،وقد أصاب بها المسلمون غنائم لم يروها من قبل، كما فتح عقبة تيهرت بالمغرب الأوسط (والتي وصفها اليعقوبي بعراق المغرب).

وقد كان في ذلك النصارى وبعض البربر يعتصمون بالحصون والمعاقل، خشية مجابهة عقبة الذي واصل السير إلى طنجة والتي بها ملك رومي يقال له يليان، استلطفه واستعطفه عقبة ، ففتحت طنجة صلحًا .

كما غزى هو وأصحابه السوس الأدنى، وهم المصامدة، والسوس الأقصى، الذي اجتمع بها على ذكر ابن عذاري البربر في أمم لا تحصى ولا تعد . وقد هزمهم عقبة، وسبى منهم نساءً بيعت الواحدة منهن بالمشرق ألف دينار [4].

وبدخول عقبة البحر المحيط بفرسه وقول مقولته المشهورة أخذ راجعًا إلى القيروان [5]. وكان كسيلة الأوربي قد حقد على عقبة لما صنه به، فلما وصل عقبة إلى القيروان بناحية الزاب فرق عساكره،ورأى كسيلة قلة جمع عقبة وكثرة أوربة،وهم طوع له ففتك به بالقرب من تهوذة [6]

---

(1) باغاية: الغين معجّمة وألف وياء، مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة، ينسب إليها أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغاي المقري، يكنى أبا العباس، الحموي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص:325.

(2) قرطاجنة : بالفتح ثم السكون، وطاء مهملة وجيم ونون مشدّدة. وقيل: اسم هذه المدينة قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنا، بلد قديم من نواحي إفريقية ذكرها بطليموس في كتابه الملحمة، الحموي نفسه، الجزء الرابع ، ص: 323.

(3) المنستير: بضم أوله وفتح ثانيه وسكون السين المهملة، وكسر التاء المثناة وياء وهو موضع بين المهدية وسوسة بإفريقية، وهي خمسة قصور يسكنها قوم من أهل العبادة والعلم، وذكرها البكري في تاريخه (الحموي، نفسه، ج5، ص: 209.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق، ص : 24 - 27.

(5) دعاء عقبة هو : " يا رب لو لا أن البحر منعني، لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعًا عن دينك، مقاتلا من كفر بك " ثم قال لأصحابه " انصرفوا على بركة الله " ابن عذاري ، المصدر السابق، ص 27.

(6) تهوذة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو والذال معجّمة: اسم لقبيلة من البربر بناحية أفريقية لهم ارض تعرف بهم، الحموي، المصدر السابق، ص : 64.

وجميع أصحابه [1].

ورغم أن عقبة لم يتم مشروعه، إلاّ أنه أضاف أشواطًا في نشر الإسلام بالمغرب، فأقبل البربر على الإسلام وعظم شأنه، وأخذوا يختلطون بالغرب، وما زاد في تثبيت دعائم الإسلام بالمغربين الأوسط والأدنى هو ترك عقبة لرجل صالح من أصحابه يدعى " شاكرًا " وأنشأ له رباطًا لتعليم البربر تعاليم الدين الجديد.

وقد نجح شاكر هذا في مهمته ودليل نجاحه أنه أصبح يدعى " سيدي شاكر " وأصبح رباطه مزارًا للقبائل البربرية [2].

وقد كانت مصيبة زهير مصيبة سلفه عقبة، إذ استشهد ببرقة، حين باغتته الروم على غفلة .

وفي سنة 78 هـ (697م) أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان حسّان بن النّعمان [3]. إلى إفريقية وهو في أربعين ألف مسلم .

وقتل الكاهنة [4]، وهي زعيمة جبل أوراس وجميع من بإفريقية من الروم منها خائفون والبربر لها مطيعون

كان هذا سنة 83 هـ (701م) وبعدها حسن إسلام البربر، وكان حسّان أول من دون الدواوين بالمغرب [5].

---

(1) التميمي، المصدر السابق، ص: 276.

(2) مؤنس، المرجع السابق، ص: 86 - 87.

(3) حسّان بن النّعمان بن المنذر الغسّاني، كان بطلاً شجاعًا غزاءًا، افتتح في المغرب بلادًا وكانت له في دمشق دار كبيرة، صالح البربر وأقر عليهم الخراج، هذب إقليمهم إلى أن عزله الوليد بن عبد الملك، ثم حلف بعد ذلك على أنه لن يولي لبني أمية أبدًا، كان يدعى الشيخ الأمين لثقته، الذهبي، سير أعلام النبلاء ، تحقيق عمر بن غرامة العموري، دار الفكر بيروت ـ لبنان، ط1، 1414 هـ/ 1997م، ص: 269.

(4) ذكرها ابن خلدون على أنها الكاهنة دهيا بن،ت ماتية بن تيفان، ملكة جبل أوراس وقوها من جراوة ملوك البتر وزعمائهم، كانت ضخمة الجسم جدًّا حتى وصفها من رآها إذ قال: إن الأترجة يمكن أن تتدحرج بين كتفيها، ابن خلدون، المصدر السابق، ج12، ص: 219.

(5) ابن عذاري ، المصدر السابق، ص: 34 - 38.

وقد عرفت مرحلته نقلة نوعية في فنون الحرب بمهاجمة المسلمين للقلاع الساحلية كقرطاجنة، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ علة نمو البحرية الإسلامية بقيادة حسّان بن النّعمان، وهي بداية الجهود الحقيقية لطرد الروم وإتمام الفتح .

ويعتبر حسّان منشئ قاعدة الأسطول الإسلامي في مدينة تونس وبهذا أصبح في المغرب قاعدتان برية في القيروان وبحرية في تونس. [1].

وبعد موت الخليفة عبد الملك بن مروان، قام بالأمر من بعده ابنه الوليد [2] الذي شهد عهده الفتح الأعظم بالأندلس في ولاية موسى بن نصير [3] وكان هذا في خير ميقات وكان فتح الجزيرة في قصة شهيرة نأتي إليها في حينها [4].

كان دخول موسى بن نصير إلى المغرب في جمادي الأولى سنة تسع وسبعين 79 هـ ، وكان قدومه إلى إفريقية وما حولها مخوفًا .

وكـان عامـة بيـوت المغـرب " الخـصوص " [5] فلـم يتبـع موسـى سياسـة الليونـة التـي انتهجهـا سـلفه حسّان، بـل انـتهج سياسـة عقبـة فـي الغـزو والفتـح، ومنها فتح زعوان، وكان بينهـا وبـين القيروان مسيرة يـوم إلـى الليـل ، وقد بلـغ سبيها عشرة آلاف رأس وهو أول سبي في ولاية موسى.

وكان يبعث أبناءه وهم عبد الرحمن مروان وعبد العـزيز للغـزو والفتح، وكـان كـل واحد ــــــــــــــــــ

(1) أمحمد محمود، الوجع السابق، ص: 25.

(2) هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن الحكم الأموي الدمشقي، أنشأ جامع بني أمية بويـع بعهد من أبيـه، كان مترفًا دميمًا، يتبختر في مشيه وكـان قليل العلم، نهمتـه فـي البنـاء أنشأ أيضًا مسجد الرسـول صلّى الله عليه وسلّم، فتح بوابة الأندلس وبلاد الترك... مـات سنة ست وتسعين عن إحدى وخمسون سنة، وحكم الخلافة عشر سنين، الذهبي، المصدر السابق، ج5، ص: 305.

(3) موسى بن نصير الأمير الكبير أبو عبد الرحمن اللخمـي متولي إقليم المغرب وفـاتح الأندلس، قيل كان مولى امرأة من لخم

وقيل ولاءه لبني أمية وكـان أعرج مهيبًا ذا رأي وحزم، وقد حج موسـى مـع سليمان فمـات بالمدينـة ، الذهبي، نفسه، ج5، ص:409.

(4) ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس 1316 هـ، ص: 13.

(5) الخصوص: مفرد الخص بيت من القصب أو الأغصان، والسقف من الخشب .

يرجـع بمائـة ألـف رأس مـن الـسبي [1]،فكـان حظ الخمس مـن ذلـك ستيـن ألـف رأس[2]. وقد عقد موسى العزم على أن يقتل البربـر ويفتـح بلـدانهم، حتـى أتـى عنـد مدخـل طنجـة وهي أم قرى المغرب، وقد كانت افتتحت ثم ارتدت ثم أعاد فتحها، وبعدها توجهت أنظاره إلى مدن السواحل وأهمها سبتة [3].

وكان عليها علج يسمى يليان وله بعض الفضل في فتح الأندلس فيما بعد فقـاتله موسى لكنه وجد عنده قوة وعدة فرجع إلـى طنجـة فأخذ موسـى بالإغـارة والمغارة فم يستطع فتحها[4].

وذكر ابن قتيبة أن جواسيس كانت تأتي موسـى لغزو صـنهاجة علـى غرة، ذلك أن إبلهم كانت في وقت إنتاجها، وهم لا يقدرون على تركها فغزاهم موسى وقتل منهم مالا يحصى وغنم سبي[5].

وحـسب رأي ابـن عـذاري فـإن بربـر المغـرب الأقصى قد سئـموا تلـك الحـروب ضـد موسى فاستسلموا لقوة المسلمين " المادية المعنويـة " فدخلوا فـي طاعته وولى عليهم في طنجة مولاه طارق بن زياد [6]. وهو في سبعة عشر ألف من العرب واثني عشرة ألف من البربر[7].

---

(1) رغم أننا في صدد بحث علمي إلا أن أرقام مثل هذه ومن مصادر تاريخية، تحوم حولها الشكوك .

(2) ابن قتيبـة الينوري،الإمامـة والسياسة، تعليق خليل المنصـف، ج1، دار الكتـب العلميـة، بيروت ـ لبنـان، ط1، 1418 هـ/ 1997م، ث: 229.

(3) سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية، لأنها ضاربة في البحر، الحموي، المصدر السابق، ج3، ص: 182.
(4) مجهول المصدر السابق، ص15.
(5) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص:232.
(6) هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن روفجوم بن نابر غاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، وهو من سبي البربر وكان مولى لموسى بن النصير، ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 43، وذكره الزركلي في قاموس الأعلام على أنه طارق بن زياد الليثي بلاولاء أصله من البربر، أسلم على يد موسى بن النصير ولد (نحو 50 - 102 هـ/ 670 - 720م) الزركلي، المرجع السابق، ص: 217.
(7) هو العدد الذي ذكره ابن عذاري، لكننا نجد في موضع آخر من بيانه أن موسى بن نصير ترك بطنجة سبعة عشر رجلاً من العرب يعلمون البربر شرائع الإسلام ومنه لا ندري أن وقع المؤلف في سهوًا أم أن الخطأ المطبعي هو الذي أضاف عدد
ألف كما نجد عدد اثني عشر ألف فارس من البربر دخل بهم عقبة الأندلس، خلا اثني عشر رجلاً أي من العرب وقو قول ابن خلكان المصدر السابق، ج5، ص: 320.

وقد أمر العرب بأن يعلموا البربر تعليم الدين الإسلامي وبعدها رجع إلى قاعدة المغرب الإسلامي وبذلك لم يبق للبلاد من ينازع موسى من البربر ولا من الروم، ولما استقرت القواعد كتب إلى طارق يأمره بغزو بلاد الأندلس سنة 92 هـ (710) [1] وسنأتي إليه في فصل لاحق.

وفي سنة 96 هـ (714م) توفي الوليد بن عبد الملك وولى الخلافة من بعده أخوه سليمان، وهو على ذكر ابن الخطيب " بهمه من البهم وآية الرحمان في فرط النهم " [2] وهو الذي أوقف موسى واستدعاه إلى دمشق، وقد نال منها عذابًا قاسيًا .

وقد ذكر أنه اختلف العلماء في فتوح أرض المغرب، أي هل فتحت بحدّ السيف أو فتحت صلحًا أو مختلطة بيهما؟ .

فرأي يقول أنها فتحت عنوة لأنه لا يحق لأهلها البيع من معادنها.ورأي يرى أنها أرض صلح، صالح أهلها عليها ويحق البيع بينهم .

ورأي ثالث وهو الصحيح ومرجّح عندنا أنها أرض مختلطة [3] .

(1) ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 42.
(2) ابن الخطيب الحلل، المصدر السابق، ص: 13.
(3) السلاوي، **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**،الجزء الأول، تحقيق وتعليق، جعفر الناصري، محمد الناصري دار الكتاب، الدار البيضاء 1954م، ج1، ص:90.

3 ـ موقف البربر من الفتوحات الإسلامية :

لقد اختلف المؤرخون في تحديد موقف موحد للبربر تجاه الفتوحات الإسلامية ، وهو اختلاف منطقي راجع لاختلاف القبائل البربرية نفسها من منطقة لأخرى ومن فترة لفترة أخرى، وهو نتاج لكثرة قبائلهم ،ووفرة عددهم من جهة أخرى، كذلك راجع " لمزاجهم الثوري وميولهم التحرري ومناهضتهم للدول ومزاحمتهم للملوك والأمراء عبر التاريخ " ، على ذكر مؤرخ المغرب ابن خلدون .

بدايته بحروبهم مع بني إسرائيل بالشام، ثم خروجهم إلى إفريقية ، ومحاربتهم للفينيقيين ثم الرومان ثم من بعدهم الوندال إلى البيزنطيين ومحاولة صمودهم أمام المحاولات الأولى للفتح الإسلامي بالمغرب ، وما كان منهم من تقلبات في وجه المسلمين) [1].

وتروي إحدى الروايات نقلها السلاوي عن صاحب كتاب الجمان في أخبار الزمان عن سرعة إسلام البربر وتقبلهم لهذا الدين الجديد من أول وهلة وطأت أقدام جيوش عمرو بن العاص أرض ، أين جاءه ستة نفر محلقين رؤوسهم ولحيهم، وهم يرغبون في الإسلام، وذلك بدعوى أنها وصية أجدادهم، فما كان على عمرو إلا أن أرسلهم إلى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب الذي أحضر لهم من يترجم كلامهم غير المفهوم، فسألهم عن أصولهم فقالوا بأنهم من بني مازيغ، وأنه ليس لهم مدائن ولا أعلام يهتدون بها، فتذكر عمر بن الخطاب حادثة له مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم أين نظر عمر لقلة جيش المسلمين، وهو يبكي فقال له الرسول صلّى الله عليه وسلّم:

" يا عمر لا تحزن فإن الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا علامات يهتدون بها في الطرق " [2].

فقال لهم عمر بن الخطاب الحمد لله الّذي منّ عليّ برؤيتكم فقربهم ثم أرسلهم إلى عمرو بن العاص وأوصاه بأن يجعلهم في مقدمة جيوش المسلمين في فتوحاتهم [3].

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج12، ص: 205.
(2) يبدو أنه حديث ضعيف ذلك أنه لا يوجد له أثر في الصحيحين .
(3) السلاوي،المصادر السابق، ص: 74.

والمتتبع لحركة الفتوح الأولى، التي كانت قبل الاستقرار العربي بإفريقية يلاحظ تلك الليونة أحيانًا وذلك الفتح السهل تقريبًا والذي يبدو منه التواطؤ من أصحاب الأرض أو السكان الأصليين الذين وجدهم العرب المسلمون تحت سيطرة رومانية أو إفرنجية [1].

حسب بعض المؤرخين ، وأن تلك المعارك أو تلك المقاومة التي لاقاها العرب لم تكن من طرف البربر وإنما كانت من الروم .

وأما عن تلك العناصر البربرية التي واجهت المسلمين في فتوحاتهم الأولى، إنما هم جنود لدى الروم (أي مرتزقة) مهمتهم الدفاع عن الحصون أو المدن .

لكن أن يقع تفاهم بين القبائل البربرية ، واتحادها ضد العرب المسلمين لطردهم من إفريقية، فهذا لم يكن في الفتوحات الإسلامية قبل عقبة بن نافع .

وخير دليل على ذلك أن العرب الأوائل تجنبوا السواحل وأخذوا الطرق الداخلية، التي تمر عبر معاقل البربر، عسى أن تكون الدعوة السلمية هادفة لهذا الجيل عكس الروم، وإن كانت المقاومة عنيفة بقدر مقاومة الروم الذين تجذرت فيهم المسيحية .

وهو ما جاء في جواب عقبة لأصحابه حول موضع بناء مدينة القيروان حين قال لهم: " إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها صاحب البحر" [2].

ومعروف على أن البربر الأحرار لم يقبلوا عبر التاريخ الاحتلال الروماني أو البيزنطي ما عدا بعض القبائل البرنسية .

وقد رأوا في ذلك الفرصة مواتية للتخلص من الاحتلال البيزنطي ، وذلك للفرق الشاسع بين الديانتين وبين الحضارتين [3].

---

(1) حسب المؤرخ المغربي ابن خلدون، فإن الفرنجة هم من كانوا يحتلون المغرب قبل دخول العرب، لأنه في رأيه العرب لم تكن تعرف الفرنجة، ولم تحتك بهم من قبل في المشرق عكس الروم، لهذا لما دخل العرب إفريقية ظنوا أن ذلك الجنس هم روم، ابن خلدون، المصدر السابق، ج12، ص: 214، 215.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق،ص: 19، أنظر كذلك زغلول، المصدر السابق، ص: 184.

(3) الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، مصر، 1954، ص: 79.

وكان إسلام البربر يزداد قوة كلما جاء واليًا وترك وراءه آثارًا حسنة كمعاوية بن حديج ،وعقبة بن نافع الذي ثبت أركان الإسلام خاصة بإنشاء القيروان [1] التي عمرت من طرف البربر الذين جاؤوا من مختلف مناطق إفريقية، وكان لاختلاطهم بالعرب آثارًا إيجابية بعيدة المدى، كتعلم البربر اللغة العربية وتأثرهم بالعادات والتقاليد العربية .

إضـافة إلـى هـذا لعـب المـسجد دورًا هامًـا كجـامع القيـروان، هـذا مـن الجـانب الاجتماعي الثقافي، أما عن الجانـب العسكري، فحمـلات عقبـة بـن نـافع مثلاً، الأولـى والثانيـة ورغـم نهايتها المؤلمـة، فقد كانـت لهـا هـي الأخـرى آثـارًا إيجابيـة في حركيـة تقدم الإسـلام خلال العقد الأول والثاني .

كما كانت لشخصيـة عقبة فـي حدّ ذاتها وتميزها بالطـابع الـديني والفقهـي آثـارًا في نفوس البربر .

ومـن هنـا عرفت الفتـرة مـا بين 50 إلـى 55 هـ 670 - 674 م وهـي ولايـة عقبـة الأولـى، بـدايات ظهـور المغـرب الإسلامي، وبدايـة مرحلـة استعرابية [2].

وهـو مـا ذكـره ابـن الأثيـر حـين قـال:" ودخـل كثيـر مـن البربـر فـي الإسـلام، واتـسعت خطـة المـسلمين ، وقـوى جنـان مـن هنـاك مـن الجنـود بمدينـة القيـروان وآمنـوا، واطمئنوا على المقام، فثبت الإسلام فيها " [3].

ويورد لنا ابن خلدون سببًا نظنه من أهـم الأسباب التي نفـرت البربـر مـن ملوكهـا تجـاه الإسـلام، مـا كـان مـع قـوم الكاهنـة التـي انتهجـت سياسـة الأرض المحروقة في حربهـا ضـد حسّان، حيث خربت جميع المدن وأحـرقت كل مـا يـصلح للحرق،حيث يذكر أنـه " كانت من طـرابلس إلـى طنجـة ظـلاً واحـدًا فـي قـرى متـصلة " لـم يعـد منـه شـيئًا، وهـو الحـدث الـذي حـزّ فـي نفـوس البربـر، فاستأمنوا لحسّان فأمنهم ودخلوا الطاعة وحسن إسلامهم [4].

---

(1) السلاوي، المصدر السابق، ص:78.

(8) مؤنس، المرجع السابق، ص: 89.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ص:320 ، 321، كما يذكر ابـن الأثيـر أن المدينـة بنيت قبل المسجد الجامع، ويحدد مساحة المدينـة بثلاثـة آلاف بـاع وستمائة بـاع، وتم باءهـا سنة خمس وخمسين، نفسه، ص: 320.

(4) ابن خلدون ، المصدر السابق، ج12، ص: 219.

وحـسب الـدكتور حـسين مـؤنس فـإن أزهـى فتـرة عرفت اطمئنـان البربـر للدين الإسلامي وللعرب، هي فترة ولاية أبـو المهـاجر دينـار، الـذي عـرف كيـف يستميل قادة البربر وعلى رأسهم كسيلة [1].

وقـد اخـتلط العـرب بـالبربر فـي عاصـمته الجـديدة بقـرية دكـرور أو تكيـراون [2]. أكثر مما اختلطوا في ولاية عقبة .

إضافة على هذا فإن أبا المهاجر وضـع مـا يعـرف" بالهدنـة " مـع البربـر، وكـل غزواتـه كانـت موجهـة ضـد الـروم وفـي معـاقلهم الـساحلية وهـو مـا أدى لاستمالة كسيلة وقومه ودخـولهم في الإسلام طواعية [3].

لكن أمر بربر أوربة لم يستمر على هذا النحو في ولاية عقبـة الثانيـة، أيـام يزيد بن معاوية بن ابي سفيان سنة 62 هـ/ 681م، فقد ارتـدوا عن الإسـلام وعـن

والـي إفريقيــة والمغــرب عقبـة الـذي استخف بـزعيمهم كسيلة رغـم نـصح أبـي المهـاجر لـه إذ كـان يقـول لـه: " كـان رسـول الله صـلّى الله عليـه وسـلّم يـستألف جبـابرة العـرب، وأنـت تعمـد إلـى رجـل جبـار فـي قومـه بـدار عـزة، قريـب عهـد بالشرك فتفسد قلبه ".

لكن عقبة تهاون بقول أبـي المهاجر وهو مـا أدى إلـى ثورة البربـر عليـه وقلته في موقعة تهودة سنة 64 هـ/ 684م [4].

من هذه المواقع تحدث بعض المؤرخين عن ارتداد البربر عن الإسلام [5].

---

(1) كسيلة: في العادة ينطق بالضم وبصيغة التصغير وهو من أهم أساليب اللغة العربية ،ولا يوجد في اللغة البربرية، وكسيلة بالفتح ثم الكسر هو اللفظ الذي أورده إلا ابن الأثير .

(2) هي المدينة التي نزل بها أبي المهاجر دينار حيث يذكر أنه كره النزول بمقام عقبة بن نـافع فمضى حتى خفله بميلين، مما يلي طريق تونس، فاختط بها مدينتـه هذه، أنظر ابـن عذاري، المصدر السابق، ص: 22.

(3) مؤنس، المرجع السابق، ص:90.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 298.

(5) الذي يفهم من النصوص أن كسيلة وقومه البربر لم يرتدوا عن الإسلام، ودليل ذلك أنـه لما دخل القيـروان بعد مقتل عقبة، عامل المسلمين بهـا معاملـة حسنة طيبـة ، أمـا مـا يقولـه الكتـاب عن ارتداد البربر (ابن خلدون) فالمقصود به ثوراتهم لا أكثر ولا أقل وهي ثورات ضد الولاة، ولـيس ضد الدين الإسلامي بحدّ ذاته ، أنظر سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص : 207.

وما أخذ به ابن خلدون على ذكر أبي محمد بن أبـي زيـد [1]: " إن البربــر ارتــدوا عـن الإســلام إثنتـى عـشرة مـرة مـن طـرابلس إلـى طنجـة ، ولـم يـستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير إلى الأنـدلس بعد أن دوّخ المغرب وأجاز معه كثيرًا من رجالات البربر وأمرائهم برسم الجهاد فاستقروا هنـاك من لدن الفتح فحينئذ استقر الإسـلام بـالمغرب، وأذعــن البربــر لحكمــه ، ورسـخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة [2].

ومــن هنــا نــستطيع القــول إن المتتبــع لــسيرورة الأحــداث التاريخيــة بـالمغرب خـلال القرن الهجري الأول يلاحظ كيف انـدمج البربـر مـع العـرب، وكيف تقبلوا هذا الدين رغم التخوف الذي انتابهم أول الأمر .

لأن الدين مهما كان فإن تقبل البشر له وتأثر الأنفس به،يكون تحت ضـغط عاملين هامين هما:

إما نتيجة اقتناع خاص، أو تأثر نفسي لمـا هو واقـع، أو كلاهمـا، وهـو مـا حدث فـي بيئـة البربـر [3] لأنـه فـي رأينـا أن البربـر عايشوا حضارات من قبل واختلطوا بشعوب وأمم سابقة وقارنوا أديان قديمة عن الإسلام ولاحظـوا الفرق الشاسع بينهـا .

(1) أبو محمد بن أبي زيد بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أبو عاصم العدوي العمري المدني، حدث عن جده ابن عمر، وسعيد بن زيد وابن العباس، وحدث عنه أولاده الخمسة: عاصم وواقد وزيد وعمر، وأبو بكر، الأعمش، وآخرون ، وثقة أبو حاتم وهو قليل الحديث قيل: إنه وفد وافد على هشام بن عبد الملك فتباخل عليه وما وصله بشيء ، الذهبي ، المصدر السابق، ج5، ص: 571.
(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 221.
(3) مؤنس، المرجع السابق، ص: 93.

4 ـ تشابه أنماط الحياة بين الجنسين :
(العربي ـ البربري)

يرجع كثير من المؤرخين تشابه أنماط الحياة بين العنصر العربي والعنصر البربري إلى عدة أسباب تاريخية وجغرافية .

فمثلا نجد الناصر السلاوي يرجع ذلك التشابه إلى العلاقة التاريخية القديمة أي قبل التاريخ ، أيام كانت البربر تسكن الشام قبل خروجهم إلى إفريقية، واحتكاكهم بالعرب بحكم الجوار في المساكن والأسواق والمراعي وغيرها، وحتى عن طريق المصاهرة، وهو بهذا يذكر رواية أستند إليها بعض المؤرخين في خروج البربر من الشام لكن السلاوي أوردها لتبيين العلاقة بين الجنسين العربي والبربري يوهي قصة البهاء بنت دهمان بن عيلان بن مضر[1] التي كثر خطابها من عدة قبائل عربية .

وهي الفكرة التي أوردها ابن خلدون كذلك في أعراف المصاهرة بين العرب والبربر قديما.

لكن المقارنة هذه التي أوردها السلاوي تبين مكانة المرأة لدى المجتمعين العربي والبربري ودورها في الحياة الاجتماعية [2] .

كما ركز العديد من الباحثين على العلاقات الاجتماعية بين أفراد الجنسين خاصة في باب العادات والتقاليد في النكاح مثلا، التي لم نجدها في كتاب التاريخ العام لهذا اضطررنا للجوء إلى النوازل التي اهتمت وركزت على هذه الجوانب .

وجاءت نوازل الونشريسي مبينة لعدة حقائق تميز بها الجنسان في حياتهم الاجتماعية من خلال العلاقات الأسرية أثناء الفترة الإسلامية .

(1) وكانت من أجمل نساء زمانها وأكملهن أدبًا لكن أبناء عمها رفضوا تزويجها لغيرهم فتنازعوا حولها حين اختارت ابن عمّها " بر " والقصة طويلة رواها ابن خلدون في العبر، ج12، ص : 186.
(2) السلاوي، المصدر السابق، ص: 62.

وبمقارنة بسيطة يلاحظ القارئ ذلك التشابه في أنماط الحياة بين المجتمعين، فمثلا في مراحل الزواج التي تمر بالاتفاق بين أهل العروسين عن طريق الوسيط، لتتوّج بخطوبة كمرحلة أولى، لتبدأ مرحلة ثانية التي تتمثل في الصداق والهدايا وغيرها .

ومثلما كان الحال لدى القبائل العربية، كان لدى القبائل البربرية صداق الزوجة يمر بمرحلتين، عاجل وآجل، فالعاجل هو النقد ويسمى كذلك معجل، أما الآجل فهو المؤخر حتى لا يقع الزوج في ضيق [1].

وتبين لنا إحدى نوازل الونشريسي ذلك، إذ يذكر أن الرجال تنكح النساء بالأنساب [2] والمهر عندهم معروف أي العاجل والمؤجل .

ويوضح في هذا ما ذكرناه، أي إذا كان الزوج في حال ميسور فإنه يدفع المعجل أما المؤجل فلا يكون إلاّ في حالتين موت أو فراق، فإذا توفى الزوج فإن ذلك المهر يرجع إلى زوجته، وفي حالة موت الزوجين فإنه يرجع إلى ورثتهما معًا .

ويذكر أنه إذا تمت الخطوبة بين الزوجين ، يتم التشهير من طرف أهلها في القرية أو المدينة ، حيث سكناهما، بأن فلانًا تزوج فلانة وهي نفس عادات وتقاليد القبائل المغربية والعربية . كما نستشف من بعض النوازل التي اهتمت بباب الأحباس والأوقاف [3] في المغرب، ذلك التلاحم والتكافل الاجتماعي بين أفراد طبقات المجتمع من أشراف وأغنياء إلى فقراء

(1) كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1997، ص: 11.
(2) وهي عادة تميزت بها العرب كذلك، خاصة في زواج الأقارب، ويذكر الونشريسي أن البربر في المغرب الإسلامي، كانوا يفضلون زواج الأقارب لصلة الرحم، الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج3** ،أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1401 هـ/ 1981م ، ص: 160.
(3) الأحباس والأوقاف هي حبس مال وصرف منفعته لجهة أو غيرها، ومنع أبو حنيفة لزومه فيتصرف فيه الواقف وينتقل بالميراث وقرر غيره لزومه ويجوز مؤقتًا ومؤبدًا عند مالك ولا يجوز إلاّ مؤبدًا عند غيره،ولا يجوز إلا في عقار عند أبي يوسف ومحمد، غربال، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص: 1955.

ومساكين أو أيتام هذا حتى توفر الحياة الكريمة والرعاية الاجتماعية .

وأورد الونشريسي نازلة عن أحداث كانت محبسة على أن يقرأ على قبور أصحابها تعود بفائدة على القارئ وأحباس للكراء تعود بالفائدة على المساكين، وكان الجواب أن الحبس لا يصرف عن المصرفين .

ذلك لأن الأحباس المغربية كان يتولاها ناظر ، ويقوم بتوزيعها على أصحابها في المناسبات [1].

وتوضح لنا نوازل الأحباس والأوقاف في المغرب تطابقها مع نوازل وأحباس وأوقاف المشرق، أي لدى القبائل العربية فيما يخص الزوايا والأربطة [2] أو المساجد والمدارس وغيرها.

ويلاحظ أن طبقات المجتمع المغربي ومراكزها وتصنيفها كانت مطابقة بنظيراتها العربية بالمشرق، وكمثال على ذلك نأخذ طبقة العلماء والفقهاء التي كانت تحظى بالشرف والتقدير من العامة .

ويدل هذا على اهتمام المجتمعين بالحياة الدينية والفكرية وتعظيم رجالها إضافة إلى طبقة الأشراف التي تنحدر من سلالة النبي صلّى الله عليم وسلّم [3].

وترجع أسباب هذا التوافق الاجتماعي بين الجنسين كذلك إلى التنظيم القبلي الذي يعتمد عليه في الحياة، فالقبيلة سواء في بيئة العرب أو بيئة البربر هي الرابطة الأخوية بين أفرادها.

ومعروف عن التنظيم القبلي أنه نظام المجتمعات الصحراوية أو شبه الصحراوية، وهي طبيعة البيئتين التي يعيش فيها (العرب والبربر).

---

(1) الونشريسي ، المصدر السابق، ص: 139.

(2) الزوايا أو الرباط: (وتعرف في المشرق الإسلامي بالخانقاه) هي عبارة عن منشأة علمية ذات صبغة دينية وحربية وكانت تشمل على مساكن للفقراء والمتصوفة وطلاب العلم، ومسجد لأداء الصلوات، وكان النزلاء يقتطعون فيها للعباة والذكر وطلب العلم، أبو مصطفى، المرجع السابق، ص: 27.

(3) نفسه ، ص: 35.

لهذا وجدنا أن القبائل تنحدر من جد أول وتنسب أصولها إليه ، ورغم اختلاف التعابير اللفظية من عربي إلى بربري إلاّ أن المعنى واحد كأن تقول مثلا " بنو هاشم " وإذا ترجمت إلى البربرية تقول " آيت هاشم " ومن هنا كانت كلمة بنو بالعربية مرادفة لكلمة آيت بالبربرية، أسماء القبائل سواء العربية أو البربرية تعطي خير دليل على ذلك .

كما لعبت القبائل الكبيرة دور الزعامة في منطقتها واحتوائها للقبائل الصغيرة الضعيفة أو الفرعية وهو نفس النمط الذي كان سائدًا لدى العرب بالمشرق [1].

ومن هنا كان التنظيم الاجتماعي أحد أهم أسباب التقارب والتشابه بين المجتمعين العربي والبربري .

(1) سعد زغلول، المرجع السابق، ص: 98، 99.

5 ـ الاتصال الثقافي [1]:

فيما يخص الجانب الثقافي بالمغرب في القرون الهجرية الأولى، فإنه يصعب على الباحث تثمين بحثه في هذا الباب وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى عزوف المصادر التاريخية عن هذا الجانب واهتمامها خاصة بالجوانب السياسية والعسكرية.

إضافة على قلة وبطء انتشار الثقافة العربية الإسلامية في هذه الأقطار كما ذكرنا في القرون الأولى التي تميزت بمرحلة الفتح والحروب والمعارك .

ولهذا يذكر جل المؤرخين والباحثين أن المغرب لم يستفد مبكرًا من علوم العرب وآدابها وثقافتها، والتي تتطلب ظروفًا مناسبة لانتشارها والتي لم تكن موجودة في تلك الفترة كالأمن والاستقرار.

كما يرجع البعض حركة الارتداد التي عرفها المغرب والتي كان أبطالها البربر في أكثر من " اثنتى عشرة " مرة ضد المسلمين .

كما أن بعد المسافة بين المشرق والمغرب الإسلامي الجديد، حال دون الاحتكاك السريع بين الثقافتين .

إضافة إلى العائق اللغوي، وعدم تفهم البربر لمقاصد المسلمين في نشر الإسلام منذ الوهلة الأولى، إلى جانب عوائق أخرى عطلت دخول المغرب إلى الحضارة الإسلامية في قرنها الأول[2].

ولولا أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم أسس سياسة حكيمة في بعث العلماء من الصحابة إلى كل الأمصار الإسلامية لنشر الحركية العلمية التي انحصرت في بداياتها على العلوم الدينية في تفسير القرآن والحديث ، والأحكام الفقهية ، لتأخر المغرب أكثر .

وهي نفس السياسة التي انتهجها الولاة الفاتحون بالمغرب، في نفس وقت الفتوحات حيث كانت أغلب الغزوات والسرايا بها صحابة وعلماء وفقهاء، يؤدون دورًا علميًا فقهيًا، وتبين

(1) الاتصال هو ذلك التجاذب في الأخذ والعطاء بين ثقافتين أو بين حضارتين ، ويكون عادة بالاحتكاك إما المادي أو المعنوي.

(2) يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، الجزء الأول، دار لسان العرب، بيروت (د.ت)، ص: 18.

مقاصد الإسلام للناس [1].

وهذا ما تؤكده مصادر التاريخ الإسلامي على غرار أبي العرب تميم في كتابه طبقات علماء إفريقية أو الدباغ في معالم الإيمان والمالكي في كتابه رياض النفوس والتي سنأتي إليها .

فعقبة بن نافع الفهري الذي كان في غزوته خمسة وعشرون صحابيًا مهمتهم وصية الرسول " ص " في نشر الحركة العلمية ، التي بدأت في المدينة التي أسسها بالمغرب (القيروان) والتي دعى لها الله هو وأصحابه [2] وهم يطوفون حولها وه " المستجاب الدعوة " .

ولهذا نجد المؤرخين يعطون مدينة القيروان تلك الصبغة الدينية الروحية، وهي المفضلة بالدعاء والاستجابة، ومركز إشعاع علمي ثقافي لكل المغرب، وهذا لسكن فضلاء الناس بها من محدثين وعابدين ونساك وزاهدين[3].

لقد لعبت مدرسة القيروان الدور البارز والأساسي وكانت همزة وصل بين المشرق والمغرب، في الربع الثالث من القرن الهجري الأول .

ويذكر أنها بها دار للكتب ورغم أنها تحتوي إلا على المصاحف في بداية نشأتها، ويروي الوزير السراج أن بها صحفًا يبلغ طوله شبرين ونصفًا وأما

عرضه فيبلغ شبرًا ونصفًا كما أن بها كتبًا مكتوبة كلها بالذهب، وأغلب المصاحف التي بها كتبت بخط مشرقي (4).

ويرجع تاريخ دار الكتب هذه إلى القرن الثاني الهجري، وهو تاريخ تأسيسها لكن الكتب التي بها كان قومها إلى المغرب قبل ذلك، والدليل على ذلك حسب مؤلفنا هذا أن أحد المصاحف قد نسخ بخط عبد الله بن عمر، وقد أرسل إلى المغرب بأمر الخليفة عثمان بن عفّان (23 - 35 هـ) (643 - 655م) الخليفة الراشدي (5).

---

(1) إبراهيم حسن، المرجع السابق، الجزء الأول ، ص: 404

(2) دعاء عقبة بن نافع هو: " اللهم أملأها علماء وفقهاء، واعمرها بالطيعين والعابدين ، واجعلها عزًا لدينك، وذلاً عن من كفر، وأعز بها الإسلام، وامنعها من جبابرة الأرض " ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص: 319، أنظر كذلك ابن عذاري، المصدر السابق، ص : 20.

(3) المالكي، المصدر السابق، ص: 13، ذكر المالكي أنه كان مع عقبة خمسة وعشرون صحابي بينما ذكر ابن عذاري ثمانية عشر صحابي، وهنا نلاحظ اختلاف آخر بين المصادر، ابن عذاري ، المصدر السابق، ص: 20.

(4) المشرقي: يعني به في هذه الحالة الخط الكوفي المعروف .

(5) السّراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، المجلد الأول، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار المغرب الإسلامي، بيروت - لبنان ط1، 1985، ص: 245.

ويدل هذا على اهتمام الخلفاء المسلمين بالمغرب ومحاولة ربطه دينيا وحضاريًا بالمشرق الإسلامي.

وقد جاءت نتائج تلك السياسة سريعة، إذ أنه في خلال خمس وعشرين سنة بعد إنشاء مدرسة القيروان، أخذت ، في توسيع علومها وتخصصاتها من القرآن والحديث والفقه، إلى اللغة والنحو وغيرها .

وكان علماء العرب دائمًا والصحابة والتابعين هم رواد هذه الحركة العلمية،التي كانت تستمد من خلفية حضارية هي مصر،التي أعطت دفعًا ودعمًا قويًا للمدرسة الإفريقية لا يمكن إنكارها .

كما كانت سياسة بعض الولاة تعبيدًا لطرق امتداد الثقافة العربية الإسلامية إلى المغرب، وقطعها آفاقًا جديدة كسياسة حسّان بن النّعمان أو سياسة موسى بن نصير من بعده الذي كان ينشئ المساجد في معاقل البربر والمغرب الأقصى خاصة كمسجد مدينة آغمات (1) على ذكر ابن عذاري أنه في ولاية موسى بن نصير تم إسلام أهل المغرب الأقصى، وحوّلت المساجد التي كان بناها المشركون إلى القبلة ، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات أو فيها صنع مسجد هيلانة (2).

لكن على العموم فإن الاتصال الثقافي بين المشرق العربي والمغرب كان دائمًا يربط بقاعدة إفريقية " القيروان " رابعة الثلاثة على قول أحد الفقهاء الصالحين وهو أبو المهدي عيسى الصميلي بن مرزوق الذي يذكر أنه بحث في الآثار والأخبار وهو بالمشرق إلى أن وجد أن القيروان رابعة الثلاثة، أي بعد المدينة ومكة وبيت المقدس .

وقد حظيت بهذا الشرف لأن قبلتها أول قبلة فقي المغرب ودار هجرتها،وأرض منازل صحابة الرسول صلّى الله عليه وسلّم في حجة الوداع لما حلق رأسه،وأخذ من شعره أبو زمعة البلوي[1].

---

(1) أحمد محمود، المرجع السابق، ص: 28.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 43.

(3) أبو زمعة البلوي: نسبة لقبيلة " بلي" من قضاعة واسمه عبد الله بن أرقم وقيل عبد الله بن آدم ، وقيل مسعود بن الأسود من أصحاب الشجرة ، ممن بايع النبي "ص" بيعة الرضوان، سكن مصر، وسار إلى إفريقية في غزوة معاوية بن حديج الأولى عام 34هـ ، ومات بالقيروان، التميمي،**طبقات علماء إفريقية وتونس** ، تحقيق علي الشابي، نعيم حسن السيافي، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية 1985 ، ص:76.

وجعلنا على قلنسوة، واحتفظ بها حتى في هجرته إلى المغرب ولما مات به دفن ببعض شعر النبي"ص" بالقيروان.

وهي الرواية التي أخذ عنها المؤرخين وجعلوا منها سبب فضل أهل القيروان وبلدهم لقاعدة الإسلام بالمغرب وهي إضافة إلى تلك الروايات التي تعطي الصبغة الدينية الروحية لقاعدة الإسلام بالمغرب القيروان[1].

ويذكر الوزير السراج أن أهل القيروان أثبت الناس علماً، وأكثرهم حداقة وهذا بفضل مدرستهم ومدينتهم في ثقافة وحضارة المغرب الإسلامي كله[2].

(1) الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ،الجزء الأول، تعليق شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، 1388هـ/1968م، ص:13.
(2) السراج، المصدر السابق، ص:233.

6 ـ أثر الإسلام في البربر :

يلاحظ من كتابات المؤرخين ودراسات الباحثين الحديثة، أنها كلها تجمع على الدور الإيجابي والفعال للبربر في تقدم الإسلام بالمغرب أو الأندلس فيما بعد، وهذا بعد أن تجدر هذا الدين في نفوس أهله، حتى صاروا روادًا في نشره.

وإذا كان معظم المؤرخين يتتبعون مراحل هذا التقدم وهذا التطور الإيجابي من بداية الفتوحات الإسلامية للمغرب، فإن مؤرخ المغرب ابن خلدون رجع إلى قبل ذلك بزمن بعيد، فقد أوضح الخصائل والفضائل الإنسانية للعنصر البربري، والتي نافس بها أخلاق الأمم، في الوفاء بالقول والفعل، والصبر على المكارم والثبات عند الشدائد، ورحمة المسكين، وخاصة توقير أهل العلم، وبيع النفوس من الله في نصر دينه، وغيرها من الخصال الحميدة التي نقلها الخلف عن السلف، ولو وصلتنا جميعها لكانت أسوة تتبعها جميع الأمم.

وقد نقل عن إقامة البربر للشريعة الإسلامية، ونصرتهم لدين الله وتواضبهم عليها من جيل إلى جيل باتخاذهم المعلمين لإحكام دين الله لأبنائهم، واستفتائهم ومشاورتهم لأئمة وحملة الفقه في قضاياهم ونوازلهم، واتخاذهم للرباط والجهاد أساسًا لحياتهم، وهو ما زاد في رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم [1].

وما كان لهذه الحركة أن تستمر لو بقي كل من كسيلة والكاهنة، اللذان كانا أكبر عقبة تصدت في وجه الإسلام عن التقدم خلال القرن الأول الهجري وكان مقتلهما بداية لعهد جديد في توسع نشر الإسلام بالمغرب.

خاصة أن القبائل البربرية كانت ترضخ كليًّا لزعمائها، وبإزاحة هؤلاء أخذ البربر في الاندماج في المجتمع الإسلامي وأصبح لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين[2].

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج12 ، ص:207- 208.
(2) الزاوي، المرجع السابق، ص:99.

وبعدما رجع حسّان بن النّعمان إلى القيروان، عمرها بالجنسين العربي والبربري، فانتشروا وكثروا بها، وآمنوا، خاصة بعد أن ولى على صداقتهم وسعيهم، حنش بن عبد الله الصنعاني[1]. التابعي رضي الله عنه .

والذي استقامت إفريقية في عهده وصارت دار الإسلام إلى الأبد[2].

لكن المتتبع لمراحل تقدم الإسلام بالمغرب في قرنه الأول يلاحظ ذلك الاختلاف في طبيعة تقدم الإسلام بالمغرب في قرنه الأول وبين العهد الراشدي الذي انتهى بمقتل علي بن أبي طالب سنة 40 هـ (660م) وبين الأموي إلى نهاية القرن الأول .

ذلك أن عهد الخلفاء الراشدين تميز بالصبغة العسكرية لأنها مرحلة الفتح،بحيث لم تكن للعرب إدارات أو دواوين بإفريقية والتي لم تكن بعد دار مقام.

عكس ذلك عرف عهد الأمويين خاصة بعد نصف قرن أين اتسعت فتوحاتهم وبالتالي مناطق حكمهم، لذلك فإنهم(أي الأمويين) عملوا على نشر الإسلام وتعاليمه وفضائله،كما عملوا بالمقابل على تهدئة الثورات التي كانت تشتعل من حين لآخر[3].

حتى قال ابن خلدون في ذلك: " أن البربر ارتدوا بإفريقية المغرب اثنتى عشرة مرة ، وزحفوا في كلها للمسلمين، ولم يثبت إسلامهم إلا في أيام موسى بن نصير، وقيل فيما بعد" [4].

وكان موسى بن نصير قد دعا المسلمين والبربر وفي مقدمتهم طارق بن زياد، فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين[5] جلهم من البربر والموالي، ليس فيهم عرب إلا القليل.وإن دلّ هذا على شيء

---

(1) هو أبو رشدين حنش بن عبد الله السبائي الصنعاني، من أهل الفضل والدين يروي عن جماعة من الصحابة منهم: علي وابن عمر، وابن العباس،وروى عنه: الحارث بن اليزيد، وابن أنعم وقيس بن الحجاج، ولد بصنعاء وغزا المغرب مع رويفع، شهد غزو الأندلس مع موسى بن نصير وله بإفريقية آثار ومقامات، سكن القيروان واختط بها دارًا ومسجدًا ينب إليه الآن في ناحية باب الريح، توفي بإفريقية سنة مائة هجرية ، المالكي، المصدر السابق، ص:121.

(2) نفسه، ص: 57.

(3) الزاوي، المرجع السابق، ص: 139.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج12، ص:205.

(5) نلاحظ هنا اختلاف المؤرخين في عدد جيش المسلمين من البربر الذي جاز البحر إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد إذ نجد الناصري السلاوي يذكر أنه احتشد مع طارق من البربر زهاء عشرة آلاف ونحو ثلاثمائة من العرب، السلاوي، المصدر السابق، ص :98.

فإنما يدل على اقتناع البربر بهذا الدين وتمسكهم به [1].

وقد قطع تقدم الإسلام بالمغرب أشواطًا كبيرة، بعد موت الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة 99 هـ (717م)،وتوليه الخلافة من بعده الخليفة الورع التقي

عمر بن عبد العزيز [2]. رضي الله عنه، الذي ألغى بدعة سلفه من الخلفاء الذين كانوا يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من على منابرهم .

وكان هذا بعد أن خلع الحسن نفسه سنة إحدى وأربعين هجرية، إلى عهده فأبطل ذلك وجعل بدله قوله تعالى: " أنّ الله يأمر بالعدل والإحسان " [3].

وقد ولى عمر بن عبد العزيز على مصر أيوب بن شرحبيل آخر سنة تسع وتسعين وبقي واليًا عليها سنتين وستة أشهر [4].

كما استعمل عمر بن عبد العزيز على المغرب" إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر" [5] مولى بن مخزوم سنة مائة للهجرة والذي عرفت فترته أزهى مراحل تقدم الإسلام بالمغرب، فقد أسلم على يديه جميع البربر خاصة بعد أن أمده الخليفة بعشرة من التابعين منهم حبان بن أبي جبلة [6] وكانوا يفقهون الناس في الدين إلى أن استقام أمر المغرب . وكان على الأندلس

---

(1) مجهول المصدر، ص: 17.

(2) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين أبو حفص الأموي رضي الله عنه، ولد بالمدينة سنة ستين للهجرة عام توفي معاوية، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، روى عن أنس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وغيرهم، بعثه أبوه من مصر إلى المدينة ليتأدب بها، ولما مات أبوه طلبه عمه عبد الملك إلى دمشق وزوجه بإبنته فاطمة، ولما طلب إلى الخلافة كان في المسجد، توفي بدير سمعان، سنة إحدى ومائة هجرية، سقاه بنو أمية السم لما شدّد عليهم وانتزع كثيرًا ما في أيديهم كانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يومًا، الكتبي ، **فوات الوفيات والذيل عنها**، مجلد 3، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ـ لبنان، 1974، ص: 133.

(3) سورة النحل، الآية: 90.

(4) القلقشندي، المصدر السابق، ص: 144.

(5) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الإمام الكبير أبو عبد الحميد الدمشقي مولى بن مخزوم ومفقه أولاد عبد الملك الخليفة، من العلماء الثقات حدث عن: السائب بن يزيد، وأنس بن مالك، وكان قد ولاه عمر المغرب فأقام بها سنتين، قال شباب: أسلم عامة البربر في ولاية إسماعيل، وكان حسن السيرة، مات في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، قبل دخول بني العباس دمشق بالسيف بثلاثة أشهر، الذهبي، المصدر السابق، ج6، ص:47.

(6) القرشي مولاهم المصري توفي سنة 122 هـ .

الحسن بن عبد الرحمن، ثم السمح بن مالك الخلاني، فبقي بها سنتين وتسعة أشهر [1].

ويرجع أغلب المؤرخين فضل إسلام البربر في عهد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر إلى تلك البعثة من الفقهاء التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز والتي كان يرأسها عبد الله بن يزيد العافري (أبو عبد الرحمن الحبلي) الذي فقد البربر وبث فيهم علمًا كثيرًا،وهو باني جامع الرباط، وقد توفي بالقيروان سنة مائة (100 هـ) (718م) ودفن بباب تونس .

وبانتهاء القرن الهجري الأول حتى أسلم جميعهم من برقة على السوس،واطمأنت نفوسهم للإسلام واهتدوا به، واندمجوا مع العرب في عاداتهم وتقاليدهم، وانصهروا فيهم فأصبحوا بذلك إخوانًا .

ومنذ ذلك الحين لم تقم للنصارى والبربر قائمة بالمغرب، ومن بقي على دينه فرضت عليه الجزية [2].

وقد عرف المغرب الإسلامي بشقيه (معرب ـ أندلس) ثلاثة مذاهب في بداية العهود الإسلامية الأولى.

فكان بالأندلس مذهب مالك بقراءة نافع، وإن وجد أهله حنفيًّا أو شافعيًّا نفوه، وإن وجدوا متعزليًا أو شافعيًا ربما قتلوه .

أما بالمغرب إلى مصر فكان المذهب الحنفي والمالكي ، وأهله لا يعترفون بالشافعي لأنه حسبهم أخذ العلم عن مالك ثم خالفه، ويعتبرون الحنفي والمالي بحرين (الحنفي لأهل المشرق والمالكي لأهل المغرب)، بينما الشافعي يعتبرونه " الساقية " .

أما المذهب الثالث فهو الفاطمي فيما بعد بأقسامه الثلاثة .

أما عن قراءات المذهب بالمغرب الإسلامي فهي قراءة نافع فحسب [3].

---

(1) السلاوي، المصدر السابق، ص: 101.
(2) الزاوي، المرجع السابق، ص: 103 - 140.
(3) المدسي، المصدر السابق، ص: 195 - 196 - 197.

7 ـ المساواة بين العرب والبربر :

إن المتتبع لتاريخ الفتح الإسلامي بالمغرب، منذ أيام معاوية بن حديج إلى عهد موسى بن نصير يلاحظ تلك السياسة والمنهج الموحد من قبل جميع الولاية تقريبًا، في استئلاف أهل المنطقة ومحاولة إدماجهم بدون اللجوء إلى المعارك، ما عدا بعض الولاة وفي فترات زمنية محددة، من ذلك سياسة عقبة بن نافع الذي وضع السيف في أهل المغرب، واتبع سياسة العنف مع البربر وغير العرب، وكان نتيجة ذلك نفور أغلبهم منه، وهذا ما أرجعه البعض إلى سبب عزله بتلك الطريقة من طرف سلفه أبي المهاجر دينار،الذي انتهج سياسة التقارب والتآلف واجتذاب البربر إلى الإسلام، وهي السياسة التي جعلته صاحب رأي ومذهب جديدين في العلاقات البربرية العربية [1].

وقد توّجت هذه السياسة بصلح مع زعيم قبيلة أوربة " كسيلة " .

ومن ذلك ما كان بين الكاهنة زعيمة جبل أوراس وخالد بن يزيد في سياسة المؤاخاة بينه وبين أبناء الكاهنة ، هذه الأخيرة التي " تنبأت " بشأن عظيم لابنيها عند العرب أعظم من شأنه عند قومهم .

وهو ما كان حين جعل حسّان بن النّعمان من ابنيها قائدين للجيش، بعد أن استأمن لهما خالد بن يزيد [2].

وكانت قبائل البربر قد أعطت لحسّان إثني عشر ألف فارس يقودون لواء الجهاد إلى جانب إخوانهم العرب، ضد من كفر من البربر، ومن لم يدخل الإسلام بعد، ومن ذلك صارت الخطط لهم بإفريقية وكانت غنائم الغزوات تقسم بينهم وبين العرب على حدّ سواء وكان حسّان أول من دوّن الدواوين في سنة 84 هـ وهذا بعد أن آخى بين العرب والبربر [3].

---

(1) مؤنس، المرجع السابق، ص: 90.

(2) ابن عبد الحكم، **فتوح إفريقيا والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، 1964، ص: 64.

(3) المالكي ، المصدر السابق، ص: 56.

وبذلك كانت أعماله بداية لنهاية الفتح، لأن في ولايته لمس البربر مساواة في الحقوق والواجبات،واطمأنت نفوسهم للعرب، ومالوا لاعتناق الدين الإسلامي، وقويت صفوفهم بمن انضم من الأفارقة [1].

ومن ذلك الحين تبين لأهل البلاد الفرق الواضح بين السياسة العربية الإسلامية وبين سابقتها السياسة البيزنطية، حيث كانت المساواة بين البربر والعرب الوافدين وتم التحالف الوطيد بينهما .

وقد كان لذلك أثر فعّال، خاصة بعد أن كان التعاون بين الحاكم والمحكوم، رغم قلّة عدد العرب بالنسبة للبربر إلا أن سياسة العرب الحكيمة جعلت منهما أمة واحدة [2].

كما تبع موسى بن نصير نفس تلك السياسة، وقد كتب له النجاح والتوفيق في مهمته خاصة بعد أن كان ينقل العجم من الأقاصي إلى الأداني،وأثخن في البربر الذين أدوا له الطاعة[3].

ويعتبر كثير من المؤرخين أن موسى بن نصير ليس قائدًا فحسب بل سياسيًا ومصلحًا في آن واحد ،ولم يكن يحب إسلام البربر خوفًا أو طمعًا في مكاسب مادية وإنما عن اقتناع لهذا اتبع سياسة بناء المساجد كمسجد مدينة آغمات [4]، في أقصى بلاد المغرب [5].

وقد تواصلت سياسة الإيخاء والمساواة هذه حين عبر المسلمون إلى الأندلس، أين استخلف موسى على القيروان ابنه عبد الله وذلك في رجب سنة

ثلاث وتسعين (93 هـ) وكان في جيشه حبيب بن أبي عبده الفهري [6]،وقد كانت حكمة موسى حتى في اختيار الجيش وطبقات المجتمع من العرب أو البربر، إذ كان يأخذ معه من وجوه العرب ومن عرفاء البربر من جهة

---

(1) الزاوي، المرجع السابق، ص: 93.
(2) أحمد محمود، المرجع السابق؟، ص: 27.
(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 220.
(4) آغمات: ناحية في بلاد البربر من ارض المغرب، قرب مراكش، من ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى، أربع مراحل، ومن سجلماسة بثمان مراحل نحو المغرب، ليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أوفر حظًا ولا خصبًا منها، الحموي، المصدر السابق، ج1، ص: 225.
(5) أحمد محمود، المرجع السابق؟، ص:28.
(6) هو حفيد عقبة بن نافع الفهري .

ومن جنود عرب وبربر أيضًا حتى لا يشعر أي عنصر " خاصة البربر " بالتحيز أو التفرقة" [1].

وفي هذا أنشد علماء من الشعراء أبيات شعرية تبين ذلك التقارب والتآخي بين البربر والعرب إذ يقول :

ألا أيها الساعي لفرقة بيننا   توقف هداك الله سبيل الأطايب

فأقسم أنا والبربر إخوة   تناولنا جد كريم المناسب [2].

وعندما وصل موسى بن نصير إلى قرطبة وتكاملت الجيوش من عرب وبربر فأصبح جيشه في خلق عظيم، أذن لهم موسى بالمسير إلى طليطلة، بقيادة القائد البربري طارق بن زياد [3].

كما تجلت ملامح المساواة بينهم حين أطلق العرب أيدي البربر في تسيير أمور بلادهم فقد قسم المغرب إلى خطط البربر واختصت كل قبيلة بخطة تتصرف فيها، وتؤدي ما لها وما عليها وهو النظام الذي أحس فيه أهل البلاد بالحرية ، وتوافقه مع نمطهم الاجتماعي. من هنا يرجع البعض فتح أرض المغرب صلحًا لا عنوة .

مع العلم أن المسلمين منحوا هذه الحقوق إلا للبربر الذين دخلوا في الإسلام، وهذا حتى يحفزوا من لم يدخل منهم بعد في الإسلام وهو ما أدى إلى إسلام أغلب القبائل البربرية [4].

وبذلك تكوّن مجتمع إسلامي خاصة بعد أن شاعت ظاهرة الزواج المختلط بين التجار العرب في المغرب من بربريات أهل البلاد، وهو الأمر الذي كان يباركه الفقهاء [5].

ويرجع بعض المحدثين في النزعة الإنسانية الأصلية لإسلام ذات المبادئ الثلاث الإخاء المساواة والحرية وصورها العملية التي كانت تطبق على أرض الواقع بجملة أحكام وتعاليم، ترجمتها من أفكار إلى واقع ملموس، يلاحظه كل عاقل .

---

(1) عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين)** ، ضبط وتصحيح محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة 1368 هـ/ 1949م ، ص:11.

(2) السلاوي، المصدر السابق، ص: 63.

(3) الرقيق، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيقي عبد الله العلي الزيدان، د. عز الدين عمر موسى، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1990، ص: 45.

(4) أحمد محمود، المرجع السابق، ص: 73 - 74.

(5) الونشريسي ، المصدر السابق، ص: 84.

فكانت مثلا العبادات الشعائرية كالصلاة الزكـاة الصوم والحج، فيها أسمى عبارات التساوي والإخاء بين البشر .

فكان اصطفاء الناس في صلاة الجمعة أو الجماعة مثلا يزيل كل الفوارق الاجتماعية التي كانت خارج المسجد.

نفس الشيء يمكن قوله عن فريضة الزكاة، التي تعبر عن مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي أو الحج الذي هو صورة من الصور العملية لهذه المساواة.

إلى جانب هذا التساوي بين الناس أمام القانون الشرعي في العبادات كان تساويهم في المعاملات بأحكام الإسلام، فكان الحلال حلالاً على الجميع والحرام حرامًا على الجميع [1].

وفي هذا يقول الله تعالى: " يا أيها الناي إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير " [2].

وخطب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حجة الوداع فقال: " ي أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلاّ بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم " [3].

من هنا جاء الإسلام بمبدأ المساواة باللفظ والنص، وقرر وحدة الجنس البشري في المنشأة والمصير، في المحيا والممات، وفي الحقوق والواجبات، لا فضل إلا للعمل الصالح ولا كرامة إلاّ للأتقى .

وبذلك أعطى الإسلام للبشرية وثبة لم تعرف لها مثيل في التاريخ [4] من كل هذا نستطيع أن نفند افتراءات المستشرقين، كفورنل، وكودل، وديل ممن كتبوا حول الفتوحات الإسلامية ________________

(1) يوسف القرضاوي، **الخصائص العامة للإسلام** ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1419 هـ/ 1999م، ص: 90.

(2) سورة الحجرات، الآية : 13.

ملاحظة : القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية، الجزائر، 1995م.

(3) رواه البيهقي من حديث جابر.

(4) سيد قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلامي** ، الطبعة الرابعة عشر، دار الشروق، القاهرة 1415 هـ/ 1995م، ص:44 - 45.

في المغرب،وجعلوا المسلمين غزاة، سلابين أراضي وأموال، ذلك أن فتح المغرب هو رسالة في نشر الدين الحق، وتخليص البشرية من الروم وغيرهم من الكفار .

لأن لو كانت مقاصد المسلمين مادية كما يزعمون، لكان المشرق الإسلامي بما فيه الشام والعراق ومصر وثرواته يكفي المسلمين وغيرهم [1].

(1) الزاوي، المرجع السابق، ص: 66.

الفصل الثالث

نتائج انتشار الإسلام وأثرها على الحياة في بلاد المغرب

تمهيد.

1- الالتقاء الديني الإسلامي المسيحي في بلاد المغرب.

أ - الهجرات العربية في بلاد المغرب في أعقاب الفتح الإسلامي.

ب ـ أثر الدعوة السلمية ودور الدعاة في نشر الإسلام.
ج ـ الحواضر العربية في نشر الإسلام والثقافة العربية بالمغرب.
د – أثر اللغة في التعريف بقواعد الإسلام ونثر الثقافة بين السكان.
هـ مساهمة المرأة في نشر الإسلام من خلال التربية الاجتماعية.
و – دور التجارة في نشر الإسلام بالمغرب.

2- أثر فتح الأندلس في استكمال إسلام البربر.

3- مساهمة بلاد المغرب في الحضارة الإسلامية.

نتائج انتشار الإسلام وأثرها على الحياة في بلاد المغرب :

تمهيد:

أحاول في هذا الفصل الحديث عن نتائج انتشار الإسلام وأثرها على المغرب الإسلامي من خلال عدة محطات وعوامل ساعدته على الانتشار والتوسع والتفاعل مع أهل البلاد الأصليين، حتى أصبح هذا الدين هو نبراسهم ومفتاحهم في التقدم والتطور، وبه مواصلة الفتح إلى ما وراء البحر، ونشر الحضارة العربية الإسلامية، في أي سبر ممكن من الأرض .

يبدو لدارس تاريخ المغرب الإسلامي في مراحله الأولى هاجس الكتابة في مرحلة حساسة وفتية تشوبها بعض الأحكام المسبقة، وأحيانا بعض الحساسيات التي قد تنقص من عزيمة البحث والتنقيب، وما يزيد كما يقال " في الطين من بلة " هو الاصطدام من البداية ببعض الصعوبات والعراقيل عن هذه المرحلة وفي مقدمتها انعدام تقريباً أي كتابة بربرية محلية عن تاريخها، وهي التي تعتبر المصدر الرئيسي والأول مهما كانت إما راوية للأخبار أو شاهدة عيان.

وقد يرجع هذا إلى عدة أسباب سنأتي إليها في حينها، لكن المؤكد أن غياب كتابة باللغة البربرية خلف محوًا شاملاً للذاكرة بما احتوته من أحداث، وقد ترتب عن هذا نتائج وخيمة تمثلت في عدم ترك أي تراث محلي مكتوب، يوازي أو على الأقل يقارن به كتابات أو افتراءات بعض المصادر الأخرى[1].

وهذا ما دفع بصاحب كتاب مفاخر البربر إلى محاولة نفض الغبار عن هذا العنصر البربري والدليل على ذلك ما جاء في مقدمة كتابه لما قال: " إنه لما كانت البربر عند كثير من الناس أخسر الأمم وأجهلها وأعراها من الفضائل وأبعدها عن المكارم، رأيت أن أذكر ملوكهم في الإسلام ورؤسائهم وثوراتهم وأنسابهم وبعض أعلامهم وتواريخ أزمانهم دون أخبارهم ..." [2].

---

(1) إبراهيم القادري بوتشيش ، **تاريخ الغرب الإسلامي**، دار الطليعة للطباعة والنشر ـ ط1 ، 1994م، ص:39.

(2) مجهول، **كتاب مفاخر البربر ج1**،نشر وتقديم ليفي بروفنسال، المعهد العالي للدراسات المغربية، منشورات فليكس مونشو، الرباط، 1934، ص:1.

كما صارت محقرة عند الناس وأدون أقاليم الدنيا [1].

ودون السقوط في نظرية غوتييه Gautier المتهورة والقائلة بأن تاريخ المغرب بعد انتهاء السيطرة البيزنطية، أصبح مشوشًا بأحداث ليس لها بداية ولا نهاي [2] ذلك أن اتصال المغرب بالحياة العربية تم عن طريق الفتوح الإسلامية ـ ولم يكن مشوشًا ـ ذلك أنه بفضل الفتوح أشرقت صفحة جديدة، عظيمة الأثر في تاريخ شمال إفريقية وغربها بما في ذلك الأندلس فيما بعد، إلى أن وصل الزحف الإسلامي جنوب فرنسا وصقلية وجنوب إيطاليا، ثم في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في مختلف الجزر المنتشرة فيه [3].

---

(1) لقد جرى ذكر المغرب بحضرة أمير المؤمنين ابن عبد العزيز العبيدي* فقال بعض الحاضرين: " بلغنا أن الدنيا شبهت بطائر، فالمشرق رأسها واليمن جناحها والشام جناحها الآخر والعراق صدرها، والمغرب ذنبها. وكان في المجلس رجل مغربي يقال له الدّقا، فقال لهم : " صدقتم والطائر طاووس " فضحك السلطان، وأجزل صلته يريد أن أحسن ما في الطاووس ذنبه"، المصدر السابق، ص: 2.

* هو أبو علي المنصور بن العزيز بالله ، ولد بمصر آخر الليل الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وولاه أبوه العهد في شعبان سنة ثمانية وثلاثمائة .

وولي الخلافة سنة ست وثمانين وثلاثمائة وله إحدى عشر سنة وستة أشهر، وجرت في أيامه أمور عجيبة وكثيرة القضاعي، **كتاب الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء**، تح عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ط2، 1420، 1999، ص: 368.

(2) Gautier , OP-CIT,P:223.

(3) صالح بن قربة، حسّان بن النّعمان ودوره في نشر الإسلام بالمغرب: مجلة الأصالة مجلة ثقافية شهرية، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، العدد 64، السنة السابعة محرم 1399 هـ ، ديسمبر 1978، ص: 67.

1 - الإلتقاء الديني - الإسلامي المسيحي - في بلاد المغرب :

يعتبر الالتقاء الحضاري بين الإسلام والمسيحية في بلاد المغرب من أهم القضايا وأخطرها وأكثرها دراسة، لما تحمله هذه القضية من اهتمامات الباحثين والمفكرين ورجال الدين، وغيرهم، والأمر الذي نريد توضيحه هو مدى شدة الاحتكاك بي،ن الإسلام والمسيحية في المغرب، بوسائلهما الدينية والتعليمية في الانتشار، ومدى إقبال الشعوب الوثنية على الدين الذي دعوا إليه، وهل استطاعت المسيحية أن تجاري الإسلام في قوته وسعة انتشاره، وأيهما أكثر قبولا لدى أهل البلاد،(الإسلام أم المسيحية)، وأيهما أكثر ملاءمة لأحوال الناس وحياتهم وتقاليدهم وعاداتهم؟ وأيهما أقوى على البقاء وأقدر على المقاومة ؟ وقد رأينا في فصلنا الأول كيف انتقل الصراع التقليدي بين كنائس أوربا إلى كنائس إفريقية.

لبحث هذا الموضوع نجد أنفسنا مضطرين للرجوع نوعًا ما إلى الحقب الماضية، وكتابات بعض المؤرخين كهيرودوت ، وابن خلدون من أن البربر اعتنقوا المجوسية ، كما عبدوا الشمس وربما القمر، على اختلاف المراحل الزمنية وتفاعلاتها الحضارية الإنسانية . وربما كذلك وجدنا ديانتهم تحمل آثارًا وثنية [1]، وقد يبدو الاستنتاج هذا واضحًا من الرسومات والآثار ومن الطقوس السحرية [2].

لكن رغم هذا نستطيع أن نؤكد أن المسيحية هي الديانة التي ظلت مدة طويلة في شمال إفريقيا قبل الفتح الإسلامي، ويبدو هذا من خلال اكتشاف سلسلة من النقوش المتأخرة في فولوبيلس Volubilis [3].

---

(1) الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط3، 1987، ص: 57، 58.

(2) كما ذكرنا من قبل عن انعدام الكتابة البربرية التي تحفظ الذاكرة، فإن الباحثين يلجئون في مثل هذه الحالات إلى الآثار والنقوش والرسومات التي تعكس حضارة ما.

(3) قولوبيلس Volubilis : مدينة بالمغرب قرب طنجة، لما دخل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمغرب نجا من وقعة فخ، حصل بها في سنة 172 في ايام الرشيد وأقام بها إلى أن مات مسمومًا في قصة طويلة سنة 174، الحموي، المصدر السابق، ص: 384، وهي وليلى القديمة قرب الموضع الذي ستبنى فيه مدينة فاس فيما بعد، زغلول ، المرجع السابق، ص: 200.

كما وجدت نقوش ضئيلة في الأطلال المجاورة لوليلة ترجع إلى سنوات 599 م 605، وحتى 655 ميلادية [1].

وما نريد أن ننبه إليه في اعتقادنا، هو أن هذا الالتقاء الثقافي الحضاري بإيجابياته وسلبياته عرف في بعض المراحل تنافسًا غذته بعض الكتابات المضادة، (مشارقه مسلمين ومستشرقين مسيحيين)

ذلك أن الثقافة الإسلامية عرفت نفس المشكلة التي عرفتها الثقافات الأخرى السابقة، بما يعرف بظاهرة (الالتقاء الثقافي) أو الالتماس الثقافي . وهذا ما عرفته جل الحضارات الإنسانية حين تتفاعل وتتبادل التأثيرات [2].

وقد وجدنا بعض فلاسفة التاريخ، قد وضعوا لهذه الظاهرة قواعد وأوصلاً نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، المؤرخ أرنولد توينبي [3] الذي خرج بقوانين معينة لهذا الالتقاء الثقافي.

ولا بأس أن نذكر أهم تلك الثقافات والحضارات التي مرت بالمغرب كالإغريقية الفنينيقية واللاتينية .

ويعترف المؤرخ المستشرق " غوتييه" Gautier أن المغرب الذي أنصبغ بالصبغة المشرقية لقرطاج، قد عرف حكمًا استبداديًا طوال حكم الإمبراطورية الرومانية، ويقول إنها حقائق ذات أهمية تجعل من الساذج التطرق إليها قبل محاولة فهم الفتح العربي.

لكننا نجده يعود مرة أخرى ويناقض حكمه الأول، حيث يذكر أن الفتوحات العربية في القرن السابع بعد الميلاد قد أحدثت ثورة عارمة شبيهة بالقفزة نحو المجهول...! [4].

---

(1) ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1990، ص:49

(2) حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ج1**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1963، ص:10.

(3) أرنولد توينبي جوزيف: (1889 -) مؤرخ إنجليزي، درس بأكسفورد ثم علم بها، خدم في وزارة الخارجية البريطانية في أثناء الحرب العالمية الأولى، وعين أستاذًا للغة والتاريخ الإغريقيين بجامعة لندن، كتب سلسلة من الكتب السنوية للتاريخ الدولي، لكنه وصل إلى قمة الشهرة بكتابه الكبير " دراسة في التاريخ "،غربال، المرجع السابق، ص:566.

(4) أنظر Gautier, OP-CIT,P:234.

أي مجهول فوق الوثنية التي غلبت على عدة قبائل مغربية قبيل الفتح الإسلامي [1] رغم أنه ليس للوثنيين حقوق أهل الكتاب، وهذا ما يفسر كثرة السبايا والغنائم [2].

كما وجدنا صاحب كتاب مفاخر البربر، يرد على تلك الروايات الباطلة التي تذكر أن الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة (جبل أوراس) قد اعتنقت اليهودية زمن الفتوحات إذ يقول وكانت "جراوة قد تهودت قبل الإسلام "[3].

ويذكر المقريزي أعياد النصارى أهل مذهب اليعقوبية، وهي أربعة عشر عيدًا يحتفلون بها باللعب بالنار، وهي في رأيه استفزاز بالمسلمين إذ يقول:

ما اللعب بالنار في الميلاد من سفه وإنما فيه الإسلام مقصود

خفية بهت النصارى إن ربهم عيسى بن مريم مخلوق ومولود [4].

ولتنفذ ما ذهب إليه بعض المستشرقين قسم المؤرخ حسن محمود مراحل تطور الثقافة الإسلامية بالمغرب إلى ثلاث مراحل رئيسية وهي :

1 ـ **مرحلة ازدواج الثقافات** :الثقافة الإسلامية (كما سماها بطابعها المعروف والثقافات المحلية، كل ثقافة على حدى).

2 ـ **بداية الاندماج** :وحددها بالعصر الأموي، وكانت بدايات الاحتكاك بفضل حركة الترجمة .

---

(1) يشدّد المؤرخ غوتييه على هذا المصطلح " الفتح " ويقول" الغزو " بدله، ويذكر أن الفتح مصطلح يستعمله العرب، وهو في رأيه خطأ لأن سبعين سنة هي مدة يستغرقها غزو وليس فتح، إضافة إلى أن العرب في كل مرة كانت تلحق بهم شر الهزائم ويتم طردهم من البلاد، ويعطي أمثلة عن عقبة 64 هـ، 683م، زهير71 هـ، 690م P.IBID:234 ويبدو في رأينا أن المؤرخ غوتي نسي أو تناسى أنه يؤرخ لمرحلة فتية ومن الطبيعي جدًا أن يلقى الإسلام في بداياته مقاومة من بعض البربر الذين لم يفهموا بعد تعاليم هذا الدين، بالإضافة إلى أنهم معروفون في التاريخ بمقاومتهم لكل داخل إليهم من رومان، ونـدال وبيزنطيين .

(2) عبد العزيز الدوري، الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب، مجلة القومية العربية والإسلام، مجلة مركز الدراسات الوحدة العربية بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز الدراسات، بيروت، لبنان، ط3، ص: 83.

(3) مجهول، مفاخر، المصدر السابق، ص:65، أنظر كذلك حسن محمود، الإسلام، المرجع السابق، ص:29.

(4) المقريزي، كتاب الخطط " **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** "ج2، مكتبة إحياء العلوم، الشياح،لبنان،1959، ص:5.

3 ـ **مرحلة الاندماج الكامل**:وحصرها في العصر العباسي، حيث طغت الثقافة الإسلامية على جميع الثقافات واحتوتها [1].

ويتفق معظم المؤرخين والباحثين على أن من نتائج الفتح العربي لبلاد المغرب أن انتشر الإسلام وهو الهدف الأسمى، عكس ما ذهب إليه المستشرق أرنولد توماس في كتابه الدعوة إلى الإسلام[2] الذي اعتبر أن انتشار الإسلام بالمغرب كان نتيجة لضعف الكنيسة المسيحية وضعف رجالها [3].

وهذا حكم لا أساس له من الصحة إذ برجوعنا إلى كتاب أرنولد توماس نفسه نجده يقول على لسان أحد الشهود،" إننا نجد دعاة المسلمين ينفذون إلى قلوب الأفارقة الوثنيين ويحولونهم إلى الإسلام، حتى يظن الإفريقي أن الإسلام هو دينه الفطري، بينما المسيحية هي دين البيض" [4]، فالإسلام يدعو إلى الخلاص، بينما المستعمر يجعل الإفريقي في مكان منحط، في حين أن الإسلام يدعوه للثقة بالنفس، لهذا وجدنا الإفريقي يشعر بحنين الإسلام الذي لم يقطعه عن ماضيه ولا عن مجتمعه [5].

نسوق هذا الكلام حتى ندحض افتراءات بعض المستشرقين، رغم أن تاريخ المغرب عرف عدة تقلبات، لا نستطيع نكرانها أي باحث، منها الانقلاب في السياسة التي انتهجها الإمبراطور

---

(1) حسن محمود، **الإسلام**، المرجع السابق، ص: 13، 14.

(2) تطرقنا في فصلنا الأول إلى كتاب أرنولد توماس، ونحن لا نشك في أن النسا قد دخلوا الإسلام غير مكرهين ونورد هذه المقارنات حتى نبين أن كتابات بعض المستشرقين بقدر ما فيها من خدمة للتاريخ بقدر ما فيها بعض الافتراءات والمغالطات التي تنم في بعض الأحيان عن حقد ديني للإسلام .

(3) حسن محمود، **الإسلام**، المرجع السابق، ص: 31.

(4) أنظر هامش أرنولد توماس، المرجع السابق، ص:394، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص:16.

(5) عباس عبد الله: **التأثير الحضاري لإقليم توات تأثيراته على بلاد السودان الغربي ق 9 - 10 هـ** رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر، 2002، ص:114.

البيزنطي قسطنطين الرابع[1] الذي درس أسباب ضعف دولته في تلك السياسة الاضطهادية التي سلكها البيزنطيون تجاه المغاربة، فعقد مجلسًا دينيا سنة 680م ،حيث وحد بين البيزنطيين الأروبيين والأهالي الأفارقة، ووضع حدًا للخصومات المذهبية وقام على إثر ذلك تحالف ظرفي بين البربر المسيحيين والبيزنطيين بشمال إفريقيا، لكن ذا بمعزل عن البربر البدو أو البتر [2].

ويتبين مما سبق استعراضه أن موقف المستشرقين من الإسلام،لم يكن عادلا، باستثناء البعض منهم ، الذين عرفوا الحقيقة ولو يحجبوها.

لكن بالمقابل عرفت الدولة الإسلامية الفتية في هذه المرحلة قـائدًا فـذًا هو أبو المهـاجر دينـار[3] الذي استطـاع أن يواجـه هذا التحـالف البيزنطـي البربـري بحزم ولباقة، واستطاع أن يقف في وجه أهداف البيزنطيين بالمرصاد[4].

رغم هذا فقد عرف المغرب ارتدادا عن الدين، وأحيانا هرطقات، وهنـاك حتى من ادعى النبوة، كصالح بن طريف، وعاصم بـن جميل وحـاميم بـن عبـد الله، وهــي المعــروفة بالديـــانة البرغواطيـة [5] وكـــان ظهــورهم سـنة سـبع وعشرين ومائـة في خلافـة هشام بن عبد الملك الأمــوي،

(1) قسطنطين الرابع،(يوجوتـانوس) (ت 685م) إمبراطـور بيزنطـي(668م - 685م) قـاوم هجمـات المسلمين البحرية بالنار الإغريقية، نزل عن أراضي جنوب الدانوب للبلغار بعد أن هزموه 679م، دعـا مجمع القسطنطينية الثالث للانعقاد 680م، غربال، المرجع السابق، ص: 1380.

(2) إبراهيم أحمد العدوي، **الأمويـون والبيزنطيـون**، البحـر المتوسـط بحيـرة إسلامية دار القـومية للطباعـة والنشـر، ط2، 1963، ص: 238 - 239.

(3) يذكر الأستاذ إبراهيم العدوي أن الكتاب أغفلوا سيرة أبي المهاجر لأن حملتـه وولايتـه كانت بين حملتين وولايتين كبيرتين قام بهما عقبة بن نافع الفهري (50 - 55 هـ/ 670 - 674م) و 62à - 64 هـ/ 681 - 683م).

(4) نفسه، ص:231.

(5) سمو برغواطـة لأنـه أسس دينهم صـالح بن طريف بـوادي غواطـة ، وسمو كل من دخل دينهم برغواطي ، إذ جعل لهم صلاتين في اليوم (صباحا ـ ومساءا) وفرض عليهم صوم الإثنين والخميس، وعشرة أيام من رمضان، وأحل لهم الأنثى من الخنازير،وأمر بتزكية الحوت وغيرها، الحجاج محمد بن علي بن محمد الشيتبي (850 حوالي تاريخ عالمي)كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان، و: 239.

لكنهم قتلوا بقرب طنجـة، وقتل كـل أتبـاعهم، ويختـم المؤلـف قولـه " أن أخبـار البربر وحكايتهم لا تنتهي " [1].

ويـذكر الـدكتور حـسن أحمـد محمـود أن المـسيحية ارتبطـت بالحـضارة الأوروبيـة التـي فرضـت النزعـة الماديـة، عكس الإسـلام الـذي لـم يفـرض حكمـا استبداديا، ولـم يـستعبد الـشعوب البربريـة [2]، كمـا يـذكر أن الإسـلام لـم يكـن دينـا فحسب إنّمـا كـان دينـا وثقافـة ومتـآلفين غيـر متنـــافرين كالتنافـر بـين المـسيحية والنزعة المادية للحضارة الغربية [3].

وهذا ما لاحظناه في تلك الفتوحـات الأولـى لعمـر بـن العـاص الـذي صـالح أهل برقـة [4] علـى جزيـة [5] يؤدونـها إليـه إن لـم يـدخلوا فـي الإسـلام،كما بعثـوا بخـراجهم [6] إلــى والــي مـصر مـن غيـر أن يـأتيهم حـاث، فكـانوا علــى ذكـر البلاذري أخصب قوم بالمغرب، ولم تدخلها فتنة [7].

وقد ورد تعليق الدكتور موسى لقبال في كتابه تاريخ المغرب الإسلامي على نوعية

(1) نفسه، و: 239.
(2) يذكر الدكتور حسن أحمد محمود ملاحظة طريفة أضافها المستشرق ترمنجهام مبينا الفرق بين توقف انتشار المسيحية، وبين ذيوع الإسلام، وهي أن رجال الدين المسلمين يمكن إعدادهم بعد تدريب بسيط، بحفظ سور من القرآن أو معرفة أصول الدين، ثم هم لا يختلفون عن أهل البلاد الأصليين في شيء، على حين نجد الكهنوت برسومه وتقاليده معقدًا غاية في التعقيد، حسن محمود، المرجع السابق، ص: 44.
(3) نفسه، ص: 42 - 43.
(4) برقة: هو الاسم العربي لولاية سيراناياك Ceranaique القديمة وعاصمتها الحالية بنغازي، افتتحها عمرو بن العاص سنة 23 هـ (644م) وفرض الجزية على أهلها قبيلة لواتة، ابن الخطيب، تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص:1.
(5) الجزية: هي مال يؤخذ من أهل الذمة في مقابل الزكاة التي تؤخذ من المسلمين، وهي ضريبة رؤوس، وقد وقعت التفرقة بين مصطلح الجزية والخراج فيما بعد وكانت الجزية أسبق ظهورا، وقد وردت في القرآن الكريم " حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " سورة التوبة، الآية 28 د. موسى لقبال، **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط الجزائر، 2001، ص: 162.1
(6) الخراج، مقدار معين من النقد أو من الحاصلات يفرض على الأراضي التي فتحت عنوة، إذا لم تقسم بين الفاتحين وتركت بيد أهلها، وعلى الأراضي التي استحوذ عليها المسلمون دون قتال، إذا اتفقوا مع أهلها وهذا الوجه المالي، لا يتأثر بالإسلام ، لأنه ضريبة عقارية، تتعلق بالأرض؟، لقبال، نفسه، ص: 162.
(7) البلاذري، **فتوح البلدان**، تعليق رضوان محمد رضوان، المطبعة المصرية بالأزهر، ط1 ، 1350 هـ ، 1932م ص:225 - 226.

الخراج ومقاديره، إذ يذكر أن المصادر التاريخية لم توضح لنا نوعية هذه الجزية ومقاديرها [1].

وعلى الرغم من إتباع المسلمين في فتوحاتهم عرض المبدأين (الإسلام أم الجزية والخراج) بمواثيق إلا أنهم لا قوا مرارة الغدر، ورفض العهود من قبل البربر البرانس وحلفائهم الروم (التحالف الديني والمصلحي) كوقعة تهودة [2]. التي استشهد فيها الفاتح العربي عقبن بن نافع الفهري.

وكانت نتيجة لهذه الوقعة أن أصبح المسلمون يهتمون باستيلاء على الحصون والمحارس الرومية الساحلية، واحتلال قرطاجنة [3] كبرى هذه المحارس في إفريقية خير دليل على ذلك[4].

لكن بالمقابل أنشأ المسلمون بدلها وعلى أنقاضها مدينة تونس بقرية برشيش [5].

وقد تطلبت سياسة بناء المدن والمواقع من الولاة تغيرا في السياسة الداخلية خاصة المالية منها أين أطلق الخلفاء أيدي الولاة للتصرف في أموال مصر والمغرب [6] من ذلك ما كتبه الخليفة عمر بن الخطاب إلى والي مصر عمرو بن العاص " أن تحتم في رقاب أهل الذمة الرصاص " .

(1) للتوضيح أنظر البلاذري الذي تحدث عن الجزية والخراج، وهو أقدم نص إسلامي جامع يفيد تطبيق الجوانب المالية، البلاذري، نفسه، ص:225 - 226، أرجع كذلك السلاوي، المصدر السابق،ج1، ص:45 كذلك المالكي،المصدر السابق، ج1، ص:10، الحموي، المصدر السابق، ج2، ص: 64.

(2) ذكرها البكري في كتابه على أنها مدينة تعرف بمدينة السحر وهي آهلة كثيرة الثمار، البكري، المصدر السابق، ص:72.

(3) كما ذكر بأن قرطاجنة بناها ديدون الملك زمن داود عليه السلام ويقال أن بين بنائها وبناء مدينة رومية اثنتان وسبعون سنة،نفسه، ص:41، أنظر كذلك الحموي، المصدر السابق، ج4، ص: 323.

(4) لقبال، المرجع السابق، ص:66.

(5) ذكر البكري أن مدينة تونس دار علم وفقه، ولي منها قضاة إفريقية جماعة كثيرة، البكري، المصدر السابق، ص:40، أرجع كذلك إلى المالكي الذي نقل عن ياقوت الحموي عن ابن رشيق القيرواني أن " ترشيش " اسم مدينة تونس بالرومية وهي على شاطئ البحر وعلى مدينة القيروان مائة ميل، المالكي، المصدر السابق، ص: 48، وزيادة من المعالم وجاء فيها تحديد المسافة بمائة ميل وميل، ولكننا نميل إلى رواية مسالك الكبرى، ص: 36 ونص جديد عن فتح المغرب، أنظر كذلك الرقيق، والموسوعة، ولقبال تاريخ المغرب الإسلامي، ص: 80 - 81.

(6) نفسه، ص: 67.

ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الأكف عرضا، ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت على الموسى [1] ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان ولا تدعوهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم [2].

كما يذكر أحد العمال ويدعى حيان بن شريح استأذن عمر بن عبد العزيز[3] بتعميم ضرب الجزية حتى تعطى لأهل الديون، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز موبّخا ومعاقبا إياه ومذكرا بأن الله بعث محمدا صلّى الله عليه وسلّم هاديا ولم يبعثه جابيا .

كما يورد إلينا المقريزي تلك الرسائل التي كانت بين الخليفة عمر بن الخطاب ووالي مصر عمرو بن العاص، والتي كلب من خلالها أمير المؤمنين بتعجيل الخراج ، لكن والي مصر ولرأفة في قلبه وحسن تدبير بمحاولة كسب السكان الأصليين إلى الإسلام، رفض طلب الخليفة وطلب منه الصبر [4].

ومن هنا نستنتج تلك الجهود التي كان يبذلها رجال ولاية إفريقية في خدمة الرابطة الإسلامية، والمجتمع الجديد، وفي منطقة كانت حتى هذا الوقت خليطا دينيا عجيبا، وانحصرت هذه الجهود في خدمة الجانب الروحي الثقافي، بين سكان أغلبهم وثنيون وأقلهم مسيحيون أو يهود [5].

(1) ومن حديث عمر رضي الله عنه: كتب أن يقتلوا من جرت عليه المواسي أي من نبتت عانته لأن المواسي أنما تجري على من أنبتت، وأراد من بلغ الحلم من الكفار، ابن المنظور، لسان العرب، المجلد السادس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان 1375 هـ / 1956م، ص: 223.

(2) المقريزي، المصدر السابق، ص: 137.

(3) ولى عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمه أم عاصم بن عاصم عمر بن الخطاب وبويع بدابق،وكان الكتاب الذي كتبه سليمان، :" هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز ... إني وليتك الخلافة بعدي فاسمعوا وأطيعوا، واتقوا الله، ولا تختلفوا "، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، دار بيروت للطابعة والنشر ، بيروت 1390 هـ/ 1970م، ص: 301.

(4) ملاحق رقم :

(5) يذكر بعض المؤرخين أن دخول الوثنيين في الإسلام بإفريقية والمغرب من البربر، كان أكثر وأسرع من إخوانهم المسيحيين أو اليهود (أهل الكتاب)، لكن بالمقابل يذكر الدكتور لقبال أنه لا يمكن بسهولة قبول الزعم بأن البتر كانوا أكثر إقبالا على الإسلام من البرانس، لقبال، المرجع السابق، ص: 151.

من خلال هذا نستشف تلك الأهمية التي كان يوليها الخفاء بشؤون إفريقية ، حتى أنهم (أي الخلفاء) لم يولوا شؤون إفريقية إلا من سبقت لهم ممارسة إدارية أو مالية في مصر، وهذا نظرا لقربها من إفريقية، ولتشابه الأنظمة البيزنطية الموروثة في كلا الإقليمين [1].

حتى أن ابن عذاري، في حديثه عن طارق بن زياد وهو بالصحراء على مقربة من سجلماسة ذكر أن " سلا وفاس وطنجة وسبته كانت للنصارى " وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنه مع انتهاء القرن الهجري الأول، ما زالت المسيحية ضاربة في أعماق المغرب[2].

وقد خلق طارق بن زياد أسلوبا رائدا في سياسة المهادنة التي انتهجها مع حاكم سبته يليان وما لبث هذا الحاكم تحت ضغط أحداث داخلية في إسبانيا ومحاولة منه استرجاع الحكم لأبناء غيطشة [3]. من مغتصبهç " لذريق "[4]. فبعد أن كان صراعا بين دانيتين وحضارتين أصبح انتصارا من طارق بن زياد،في أن يمضي لهم ضياع أبيهم بالأندلس وكان عددها ثلاثة آلاف ضيعة سميت بعد ذلك " صفايا الملوك " [5].

---

(1) يذكر أن حسان بن النعمان عندما أراد إعادة بناء مسجد القيروان اعتمد في عمله على بقايا كنيسة قديمة، وحمل إليها الساريتين الحمراوين الموشاتين بصفرة ، ورفض تسليمها مقابل زينتها ذهبا لصاحب القسطنطينية، البكري المصدر السابق، ص:22.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق، ص 44، ينقل ابن عذاري هذه المعلومة عن ابن القطان ويقول أن: الأكثرون يقولون أن مستقر طارق قبل محاولة الأندلس كان بطنجة. ومنهم من يقول كان بموضع سجلماسة ، وكانت ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى سنة 85 هـ ، وهي السنة التي تم فيها إسلام أهل المغرب الأقصى وحوّلت الكنائس إلى مساجد، وجعلت بها المنابر، وفيها بنى مسجد أغمات هيلانة ، نفسه، ص/: 43، 44.

(3) ذكره ابن القوطية في كتابه نقلا عن محمد بن عمر بن لبابه ومحمد سعيد المرادي على أنه آخر ملوك القوط بالأندلس، توفي وترك بعده ثلاثة أبناء هم: المند، رمله وأرطباس فضبطت عليهم أمهم ملك أبيهم بطليطلة ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس تح، إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص: 19.

(4) هو رودريغو الذي تولى عرش إسبانيا سنة 91 هـ/709م/ وترسمه أغلب مراجع الفترة " أذريق " عدا الطبري الذي يسميه : " أذرينوق " وينسبه إلى إصفهان ، أما ابن الأثير فيسميه " أذريق " ج4، ص: 267، أما اليعقوبي فيسمية " الأذريق "، ويذكر أنه رجلا من أهل أصبهان ج2/ ص: 285.

(5) ابن القوطية: المصدر السابق، ص: 19، 20.

وهذا ما حدث سنة 92 - 93 هـ/ 711م عندما دخلت الجيوش الإسلامية بقيادة طارق بن زياد إلى الأندلس، ولم يكن على حدّ تعبير أحد المستشرقين أي أحد قادرا للدفاع عن السواحل الأندلسية، أما الملك القوطي فقد قتل في الجنوب الأندلسي [1] ورغم سيطرة الإسلام السريعة على الأندلس، إلا أن مقاومة المسيحيين تواصلت خاصة بعدما تأسست مدرسة للدراسات الشرقية بطليطلة، من أهم أعمالها تعليم اللغتين العربية والعبرية لإعداد مبشرين للنصرانية وكذا ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية [2].

لكن هذا لم يقف في وجه سياسة الإسلام السمحاء التي طبقها الحكام المسلمون بالأندلس، وحتى في المدن الصغيرة عن طريق القضاء العادل بين المسلم والمسيحي على الرغم من خضوع المسيحي للقضاء الإسلامي [3].

وهذا ما جعل أحد المؤلفين الأسبان وهو مسلم يقول:" فرحت بما نزل بهم أي (الإسبان) من العذاب المهين، وقد أصبحنا نؤذن لصلاتنا بعد أن كنا نخفيها، ونجهر بقراءتنا بعد سرنا، فلا ينكر علينا أحد من الروم،وأقول يا ليت هذا يدون فكان من النصارى إذا سمعوا الآذان يقولون صدقت والحق فيما نطقت فإنا رأينا لذلك برهانا [4].

بعد كل هذا نستطيع أن نؤكد ما قاله أحد المستشرقين من أن سيطرة العرب على سوريا وعلى مصر ،تعتبر كجولات سياسية عسكرية،إذا ما قورنت بالصعاب التي واجهتهم في المغرب[1].

---

(1) Terrasse (H)L'Espagne du moyen age- civilisation et arts librairie arthème fayord paris 1996,p:20.

(2) مسعود مواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور عبد الحميد جاجيات، جامعة الجزائر، 1992، ص: 194.

(3) Wiet (G), Grandeur de l'islam de mohamet a François 1er imprimerie Floch, 1961,P: 54

(4) مخطوط مجهول مفتاح الدين والمجادلة بين النصارى والمسلمين من قول الأنبياء والمرسلين والعلماء الراشدين الذين قرؤوا الأناجيل رقم 1557، 836م، ص: 79 - 80.

(5) Wiet (G),op-cit,p:46.

أ - الهجرات العربية إلى بلاد المغرب في أعقاب الفتح الإسلامي :

لقد عرفت البشرية الهجرات منذ القدم، وهي تدخل في سيرورة الحضارات والثقافات الإنسانية المتعاقبة، منذ فجر التاريخ كهجرات الفينيقيين والعبرانيين والكلدانيين ، والبابليين والآراميين، ومنها كذلك هجرة العرب في القرن الأول الهجري ، السابع للميلاد من صحرائهم أو من شبه الجزيرة العربية [1].

وتعتبر هجرة العرب إلى المغرب من أهم الهجرات التي عرفتها البشرية وكان لها أثر حضاري، ذلك من خلال رسالتها في نشر الدين الجديد (الإسلام) وكان دخولها إلى مصر في أعقاب الفتح العربي لهذه البلاد، ليليها فيما بعد دخول المغرب مع الجيوش الإسلامية.

وكانت للهجرة العربية إلى المغرب عدة أبعاد، كنشر الدين ونشر اللغة العربية، وتوسيع الدم العربي من خلال الاختلاط بالشعوب [2].

وقد تعرف المغاربة أهل شمال إفريقيا على الرسالة الإسلامية حتى قبل الفتح العربي لبلادهم، وذلك أنه في خلافة عمر بن الخطاب الذي أخرج يهود خيبر عن الجزيرة العربية، لجأ معظمهم إلى شمال إفريقيا فكانت بهذا التيارات الفكرية المشرقية تؤثر بشكل أو بآخر على المغرب 3الذي عرف اللغة العربية مع يهود خيبر قبل أن يعرف الإسلام [1] كما يؤكد الدكتور " عبد العزيز الدوري " على وجود مجموعات عربية في المنطقة الشرقية (ما بين النيل والبحر الأحمر) منذ القرن الخامس قبل الميلاد وقد كانت تجمع تلك الشعوب علاقات تجارية.

ذلك أن قرب المسافة بين الجزيرة العربية ومصر عبر شبه جزيرة سيناء المعبر الطبيعي لتلك القبائل البدوية، التي كانت توقفها الدولة إلا في حالة قوة ، وهذا ما يوضح ضغط تلك القبائل العربية على مصر منذ القدم .

---

(1) الفرد بل، المرجع السابق، ص: 68.
(2) حسن محمود، الإسلام، المرجع السابق، ص: 61.
(3) الحسن السائح، دفاعا عن الثقافة المغربية، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1968، ص:45.

ولهذا وجدنا قبيل الفتح الإسلامي تجمعات عربية من خزاعة وجذام [1] على طول الساحل مصر [2].

وقد شجعت الخلافة الإسلامية سياسة الهجرة من الجزيرة إلى الأمصار المفتوحة، واعتبرت ذلك انتماء كلي للأمة، كما اعتبرت الرجوع إلى

البادية بعد الهجرة أمرا مكروه[3] وهذا ما أدى إلى انتشار العرب واستمرار تدفقهم من الجزيرة، وإنشائهم لعدة مراكز ومدن عربية جديدة [4].وهي النقطة بالذات التي كان قد روّج لها بعض المستشرقين غير الموضوعيين والمغرضين في اعتبار الفتوح الإسلامية فتوح تخريبية قادها جنود مسلمون مغامرون، بداة فقراء ضد مراكز الحضارة والاستقرار، لتحقيق أهداف مادية بحتة، رغم أن تاريخ الفتح وتاريخ الولاة والقادة حافل بالإنجازات الحضارية والثقافية التي كشفت عن الأهداف السامية للدين الإسلامي، وما هجرة القبائل العربية واستقرارها بالبلاد واختلاطها بالسكان لدليل قاطع على السياسة الحكيمة التي انتهجتها الدولة الإسلامية .

وقد كانت تتداول في وسط القبائل العربية أحاديث نبوية [5]. تحبب الهجرة إلى إفريقية، وتجعلها في منزلة الجهاد والمرابطة وهذا ما أعطى أهمية لمجيء العرب إلى أفريقية وجعلها دار هجرة [6].

---

(1) لا يعرف أهلها على وجه التحقيق فيقال أنها قبيلة يمينة الأصل، ويقال أنها مضرية، هاجرت اليمن، إلا أنها كانت في العهد السفياني حلفا من البدو ينزلون الصحاري فيما بين الحجاز الشام ومصر، لما تمت غلبة المسلمين على الروم أثبت بنو جذام أنهم حلفاء أوفياء للعرب، وعونوهم في فتح الشام: غربال المرجع السابق، م1، ص: 616.

(2) الدوري، المرجع السابق، ص: 77.

(3) هذا ما جعل المستشرق أفرد بل يبالغ في ذم واحتقار الجنود المسلمين من أهل البدو الفاتحين لبلاد المغرب، إذ يقول: " يبدو لنا البدو بمظهر قلة التقوى، وبالعجز تقريبا عن الارتفاع إلى عقيدة التوحيد، لجهلهم بالتدقيقات الكلامية، ولقلة ميلهم إلى الاستشهاد...وقد كان الجهاد مغريا للبدو والجياع الذين كانوا يعيشون عيشة حرمان وعم استقرار؟ ألفرد بل، المرجع السابق، ص: 79.

(4) الدوري، المرجع السابق، ص: 62.

(5) ورد في فصلنا الأول بعض تلك الأحاديث النبوية التي تحدثت عن المغرب وفضائله، لكن على ذكر أحد العلماء أنه يغلب الظن أن هذه الأحاديث موضوعة وقصدوا من وضعها تحبيبها لسكانها، ويدلك على هذا أن فيها رونق الأحاديث الموضوعة " الدباغ، المصدر السابق، ص: 6.

(6) لقبال، المرجع السابق، ص: 150.

وما يدحض افتراءات بعض المستشرقين حول الهجرات العربية هي تلك السياسة العامة التي انتهجها الخلفاء وولاتهم، في تلك البعثات العلمية الدينية المتتالية للمغرب [1] والتي حملت لواء التبشير والتعليم في صفوف البربر، الذين استرشدوا بهم في أمور دينهم ودنياهم.

حتى قيل أن مسلمي إفريقية الجدد كانوا يشربون الخمر جهلا بحرمتها، حتى جاءت تلك البعثات الدينية التي بينت حرمتها [2].

وما كان هذا ليكون لو لم تكن هناك أفواج من المهاجرة ومن الجند، ويرجع الفضل في نقل التيارات الثقافية من المشرق إلى المغرب من مذهب المدنيين وطرق الاجتهاد وحياة الزهد إلى هؤلاء الفقهاء [3].

وعلى الرغم من أن رسالة الفقهاء كانت دينية في ظاهرها إلا أننا وجدنا آثارهم السياسية واضحة بالمغرب الإسلامي [4].

ذلك أن الفاتحين الأوائل برغم الصبغة العسكرية التي انصبغوا بها إلا أنهم كانت بالمقابل علماء أجلاء،وتعطينا بعض المصادر أعداد هؤلاء الصحابة والتابعين الذين توافدوا على أفريقية[5].

ولقد لعبت كل هذا " القيروان" عاصمة المغرب دورا رياديا في توسيع نشر الإسلام ودورا تنسيقيا بين مختلف القبائل التي سكنتها،وقد انحصرت في أقليات عربية ذات نفوذ سياسي، من جنود عرب، ومن تجار، ومثقفين، إلى جانب قبائل بربرية حديثة الإسلام، مع أقليات أندلسية وبقايا مسيحيين من سكان صقلية، إضافة إلى أقلية يهودية [6].

---

(1) منها بعثة الفقهاء العشرة التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى المغرب لتفقيه البربر، وتعليمهم اللغة وغيرها.

(2) يعقب الدكتور لقبال على هذه النقطة إذ يقول:" ويظهر لي أن استمرار الناس على شرب الخمر كان تطبعا، وألفا لا عن جهل بحرمتها، لأن هؤلاء مسلمون كغيرهم يقرؤون القرآن وآية التحريم فيه واضحة وصريحة، المائدة: الآية 90

(3) لقبال، المرجع السابق، ص: 154.

(4) وقد تعطينا هذه العلاقة أكثر من دلالة على صلة الدين بالسياسة، لمزيد من التفصيل في هذه القضية أرجع إلى المالكي، رياض النفوس.

(5) أنظر المالكي، المصدر السابق، ص: 60 وما بعدها، وذكر منهم تسعة وعشرين صحابيا كذلك الدباغ، المصدر السابق، ص: 71 وما يليها وذكر منهم اثنان وأربعون صحابيا .

(6) يذكر الدكتور الجنحاني، أنه لحد الآن لم نتمكن من الوصول إلى نتيجة إيجابية حول منحدر اليهود إلى المغرب، الحبيب الجنحاني، القيروان عبر العصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي ، الدار التونسية للنشر، 1968، ص:146.

وقد قسم بعض المؤرخون المجتمع القيرواني إلى خمس طبقات ذات أثر واضح وهي:

1 ـ **طبقة الحكام وذوي السلطان** :وتمثلت في الولاة وقادة الجيش وبعض الإقطاعيين.

2 ـ **طبقة الخواص**:وانحصرت في كبار رجال الدولة والقادة ، والموالي والحرس بمن فيهم الحرس البربري.

3 ـ **طبقة التجار**:التي فرضت نفسها في المجتمع القيرواني، بفضل دورها الاقتصادي والاجتماعي [1].

4 ـ **طبقة النخبة**: أو المثقفين الذين كانت لهم كلمة مسموعة في عالم السياسة.

5 ـ **الطبقة الشعبية**:وهي آخر الطبقات وفيها، الجند وأصحاب الحرف والفلاحين [2].

ومما زاد في سرعة تثبيت الإسلام بالمغرب هو دخول الفقه الإسلامي إلى إفريقية بداية من القرن الأول الهجري/ السابع للميلاد، وهذا تماشيا من بواكير الفتوحات الأولى للمغرب[3].

ورغم أن البربر في هذا المرحلة لم يهضموا بعد أصول الدين، ولم يتقنوا حتى مبادئ اللغة العربية،إلا أن دور المساجد والربط التي كانت تقام مع كل فتح لعبت دورا رائدا في تبسيط القواعد، ومن هذه الربط رباط المنستير[4]، ومسجد عقبة بن نافع بالقيروان [5].

---

(1) لقد أفردنا عنصرا خاصا بالتجارة والتجار ودروهم في حركة تقدم الإسلام بالمغرب، وهذا في فصلنا الثالث.

(2) نفسه، ص: 149.

(3) الطيب بوسعد **الحياة العلمية والثقافية في الإمارة الأغلبية وعلاقتها بالخلافة العباسية** 184 - 296 هـ/ 800 - 909م، رسالة ماجستير، تحت إشراف د.عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر 2001 - 2002، ص: 147.

(4) المنستير، ذكره ابن عذاري في معرض حديثة عن ولاية هرثمة بن أعين على إفريقية حيث نقل عن الرقيق أن هرثمة بن أعين هو الذي بني القصر الكبير المعروف بمنستير، وكانت ولايته من قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد في غرة ربيع الآخر من سنة 180 هـ، ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 89، وذكر إسماعيل النحوي الأندلسي المعروف بابن سيدة أن الرباط :الخمسة من الخيل فما فوقها، ومنه الرباط والمرابطة الملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ، وقوله تعالى:" وصابروا ورابطوا " وذكرها المقريزي على أن أصل الرباط ما تربط فيه الخيول " والمقيم في الرباط مع طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد، وقال الدكتور محمد حلبي محمد أحمد، الرباط في الأصل مكان تجمع المجاهدين المتطوعين لقتال العدو على الحدود، ثم صار في أيام الأيوبيين مكانا يتفرغ فيه للعبادة، الوالي، المرجع السابق، ص: 104.

(5) كما خصصنا عنوانا للحواضر الإسلامية بالمغرب في فصلنا هذا، وعن دور المساجد والمدن في نشر الإسلام .

ومع نهاية القرن الأول للهجرة بدأ المغرب يعرف فقهاء من أبنائه كالعلامة خالد بن أبي عمران التجيبي (ت 127 هـ/744م)، قاضي إفريقية وفقيه تونس، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، تابعي، ويعتبر أحد الفقهاء السبعة (ت 106 هـ/ 724م). [1].

وبالإضافة على هجرة التابعين والصحابة إلى المغرب، وظهور محدثين محليين أضافت حركة جلب الكتب الجامعة للأحاديث من المشرق إلى المغرب

، دفعا قويا لنشر وتثبيت الإسلام بالمغرب، وهي التي وجد بها البربر كل تساؤلاتهم الدينية والدنيوية [2].وقد تواصلت الهجرات العربية إلى المغرب في القرن الثاني للهجرة حتى قال المؤرخ ليفي بروفنسال،أن إدريس الثاني [3] سنة 190 هـ وجد أفواجا من الهجرات العربية تنهال عليه ، حتى ضاق مقامه بوليلة عن استيعاب هذا النمو المطرد من السكان [4].

(1) نفسه، ص: 150، للتفصيل حول أمساء هؤلاء العلماء البربر أنظر مجهول، مفاخر البربر، المصدر السابق ص:72، أنظر كذلك ابن خلدون، ج12، ص: 205 وما يليها .

(2) أحمد بن بدر، **هجرة الثقافة من المشرق إلى المغرب**، المطبعة الجديد دمشق، 1980 /1981، ص: 89.

(3) بالرغم من أن تلك السنة خارجة عن نطاق بحثنا، ألا أنها تبين بوضوح مواصلة سياسة الهجرات العربية، وتعمير المغرب الإسلامي بالعنصر العربي .

(4) بروفنسال، المرجع السابق، ص: 55.

ب ـ أثر الدعوة السلمية ودور الدعاة في نشر الإسلام :

بقد جاءت عدة آيات قرآنية تدعو للسلم والسماحة في المعاملات فلم تمنع المسلمين من البر بغير المسلمين ما داموا في سلم حسن صلة، ومن تلك الآيات قوله تعالى " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إنّ الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولاهم فأولئك هم الظالمون" [1].

كما أمرنا القرآن بمناقشة المخالفين له فقال تعالى:" أدع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنّ ربك هو أعلم بمن ظلّ عن سبيله،وهو أعلم بالمهتدين"[2].

كما قال تعالى:" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن، ألاّ الذين ظلموا منهم، وقالوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون "[3].

وقال:" لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم "[4].

كما أمر القرآن الرسول محمد صلّى الله عليم وسلّم أن يجير المشرك إذا لجأ إليه وطلب الحماية، وهي أسمى عبارات السلم والسماحة في الدين الإسلامي .

كما ترك الرسول أحاديث نبوية شريفة تدعو المسلمين للتسامح، منها قوله عليه الصلاة والسلام " من ظلم معاهدا أو أنتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة " .

وهذه سنّة الإسلام الفريدة التي كسرت العادات القديمة أين كان المنتصر يملي شروطه بدافع الغيظ أو الانتقام ، لكن المسلمين كانوا كراما سالمين في معاهداتهم مع الشعوب المغلوبة [4].

---

(1) سورة الممتحنة ، الآية، 9،8 .
(2) سورة النحل، الآية ، 125.
(3) سورة العنكبوت، الآية، 46.
(4) سورة البقرة، الآية، 256.
(5) أحمد محمد الحوفي، سماحة الإسلام، مطابع الأهرام التجارية 1391 هـ/ 1971م، ص: 172 - 174.

ولم تكن مبادئ الإسلام في المساواة والإخاء نظرية في الكتاب والسنة فقط ، بل كانت عملية من خلال تجاربهم السابقة بالمشرق أو المغرب والتي لمسوا من خلالها المساواة لمسًا ،ولم تقم دولتهم الإسلامية إلاّ حين كان ينادي أحدهم الخليفة فوق المنبر فيقول له" : لو وجدنا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا " [1].

والإسلام هذا كما يقول الأستاذ علي عبد الرزاق هو دعوة سامية ووحدة دينية، أرسله الله لهذا العالم كله شرقيه وغربيه عربيه وأعجميه، رجاله ونساؤه، وهو رابطة البشر في كل أقطار الأرض، ورسالتهم بالتقوى[2].

ولقد واصل الخلفاء والمسلمون بعد دولة الرسول (ص) نفس السياسة الثابتة من الأراضي في البلاد المفتوحة، حيث تركت الأرض بأيدي أهلها ووقفا للأمة الإسلامية؟، وتصرف واردتها على نفقات الدولة وهناك أراض كانت تابعة للأسر الحاكمة السابقة والنبلاء، كما عرفت الدولة الإسلامية أراضي بدون مالك أثناء الفتح، وهي التي أصبحت تعرف بالصوافي [3].

كما اعتبر المسلمون أهل البلاد المفتوحة أحرارًا ، وقد ساعد ذلك مع الظروف الاقتصادية على تقبل الإسلام [4].

وقد أسس الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سياسة القواعد السلمية حين اعتق الجماعات الأولى من الموالي الذين كانوا أرقاء، وقد أوقف سبي العرب، حين أصبحت كلمة "الموالي"تعني المسلمين من غير العرب الذين اعتقوا،بينما أعطيت كلمة " حليف" إلى العرب[5].

والمهم في هذا العرض التاريخي كما يقول أحد المؤرخين هو معرفة طريقة الاتصال بين البربر والثقافة الإسلامية، التي تبنوها وانصبغوا بها واندمجوا مع إخوانهم العرب، الذين

(1) علي عبد الرزاق، **الإسلام وأصول الحكم**، تقديم، عروس الزبير سلسلة العلوم الإنسانية، موفر للنشر ، 1988، ص:35.

(2) نفسه، ص: 100.

(3) الصوافي، وتعني الأراضي الخصبة .

(4) الدوري، المرجع السابق، ص: 63.

(5) لمزيد من التفصيل حول قضية أو سياسة الولاء بالعتق أو الحلف أو الحماية أرجع إلى البلاذري، أنساب الأشراف، الجزء الأول، تح، د.محمد عبد الله، دار المعارف مصر، 1959، ص: 180 إلى 193.

تجمعهم ميول وعواطف ومبادئ مشتركة كحب الفخر والحرية وإكرام الضيف، بالإضافة إلى وحدة التاريخ ، وعلاقة نسب البربر وصلته بالعرب [1].

وقد ساعدت سياسة بعض ولاة المغرب تجاه البربر في سرعة انتشار الإسلام، منها ما قام به الولي حسّان بن النّعمان الذي اعتمد سياسة الاستمالة والتحالف مع بربر الأوراس، حينما أسند قيادة الجيش الإسلامي إلى أحد أبناء الكاهنة .

وهذه سابقة إذ كانت من قبل القيادة إلا للعنصر العربي، وهي المرحلة التي يعتبرها المؤرخون مرحلة تغيير الأوضاع السياسية والدينية والحضارية بولاية أفريقية ومرحلة قيام النظام الإداري [2]كما يعتبر حسّان بن النّعمان المطبق الفعلي لسياسة المساواة بين العرب والبربر،وبفضله حبب الإسلام في نفوس البربر،وانتشرت بينهم العادات والتقاليد العربية جنبًا إلى جبن مع الإسلام، وتوسعوا في بناء المساجد من رقعة إلى رقعة ومن أعماله أنه عين أحد مواليه يدعى أبا صالح نائبًا له عن القيروان كما استعمل على خراج برقة رجلاً قبطيًا يدعى إبراهيم بن النصراني.

وتعتبر أهم ميزة في اعتقادنا والتي عبدت الطريق جيّدًا لنشر الإسلام طواعية، هي اعتبار أرض المغرب مفتوحة صلحًا، لا عنوة وإقرار ما للبربر من أراض[3].

ويورد الدكتور حسن محمود فكرة، نتحفظ بشأنها مفادها أنّ حسّان بن النّعمان الغساني ميّز البربر على سائر أهل المغرب، حين اعتبر الروم والأفارقة موالي للبربر لا يتساوون مع البربر ولو أسلموا [4].

---

(1) السائح، المرجع السابق، ص: 50.

(2) لقبال، المرجع السابق، ص:78، أنظر كذلك بن قربة، الذي يذكر أن حسّان بن النّعمان لعب دورًا بعيد الأثر في تغيير الأوضاع السياسية الدينية، والحضارية بولاية أفريقية، وبفضله تم الفتح النهائي للمغرب، واستقر النفوذ الإسلامي على الساحل، بفضل نمو البحرية الإسلامية.. لمزيد من التفصيل أنظر مقال الدكتور بن قربة السابق، مجلة الأصالة، ص: 91 - 92.

(3) وهي النقطة التي اختلف فيها وكادت أن تسبب أزمات، حتى أنه يقع عند المؤرخين سوء تفاهم وعدم التحديد الجيد للأراضي التي فتحت عنوة أو صلحًا بالمغرب، أنظر أحمد محمود، المرجع السابق، ص: 159.

(4) (فرق بين عربي ولا أعجمي إلاّ بالتقوى) وهذا ما يعمله الوالي التقي جيدًا والإسلام لا يفرق بين الأجناس المسلمة، كما يذكر أن البربر الذين استعبدوا بالأمس وجدوا أنفسهم مع الإسلام ارفع شأنًا من سادة الأمس الأفارقة...؟ رغم أننا نظن أن الأفارقة لم يتسيدوا إطلاقًا .

وتعود بداية هذه السياسة السلمية التي أمر بها الخلفاء قبل الولاية إلى زمن عقبة بن نافع الذي يرجع بعض المؤرخين سبب عزله إلى سياسة الشدة التي لم يفلح فيها في استمالة البربر لصالح المسلمين، والت كانت محل إنكار الخليفة .

رغم أن المالكي يورد عكس ذلك، حيث يذكر أن عقبة بن نافع ترك ثلاث وصايا لأبنائه عند خروجه للجهاد بالمغرب الأقصى وتلك الوصايا هي (القرآن، الدين، والعلم) [1]، لتكون نبراسًا لهم في نشر الإسلام [2].

كما يرجع بعض المؤرخين تدخل الخليفة سليمان في عزله لموسى بن نصير إلى سياسته التي تمثلت في السبي والتقتيل وترويع الآمنين وتعيينه لوالي جديد هو محمد بن يزيد، وتزويده بوصايا الرفق[3] واللين تجاه السكان، والتي امتلأت بها نفوس الخلفاء [4].

---

(1) الوصايا كاملة : أنظر، المالكي، المصدر السابق، ص: 34، أرجع كذلك إلى لقبال، المرجع السابق، ص:141، ولقد انفرد المالكي في وصف عقبة بن نافع بالمدح الذي تصفه أغلب المصادر التاريخية بالخشونة والسيف في كل أعماله،رغم أن الرجل مؤسس عاصمة المغرب القيروان، والتي أسسها كما يقول ابن عذاري لكي تكون " عزًا للإسلام " ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 19.
أرجع كذلك فعاليات الملتقى الخامس للفتوحات الإسلامية، الذي نظمته الجمعية الثقافية سيدي التومي بسيدي عقبة، ولاية بسكرة، ومداخلات د.موسى لقبال، جريدة الخبر عدد 3465، 06 مارس 2002، ص: 19.

(2) تعتبر فترة ولاية عقبة بن نافع الفهري لإفريقية الأولى -50 - 55 هـ) أو الثانية (62 هـ/64 هـ) من أبرز القضايا التي تطرق إليها المؤرخون باختلاف آرائهم في تقييمها إيجابًا أو سلبًا ورغم أن كثير من المؤرخين خاصة المستشرقين انتقدوا سياسته التي اعتبروها قاسية تجاه البربر، ألاّ أن الحقيقة التي

لا يمكن نسيانها أن عقبة بن نافع رسم لنفسه برنامجًا للعمل يرمي إلى تحقيق أهداف أبعد من كل أهداف سابقيه، وهي تثبيت أقدام العرب بإفريقية، ونشر الإسلام وأن لا يعبد في الأرض سوى الله، سعد زغلول ، المرجع السابق، ص: 175 - 176.

(3) رغم أن موسى بن نصير هو من استعمل القائد البربري طارق بن زياد على طنجة وهو من أمر العرب أن يعلموا البربر القرآن وأن يفقهوهم في الدين وهو الذي ترك فيهم سبعة عشر رجلاً من الفقهاء يعلمون القرآن وشرائع الإسلام، ابن عذاري، نفسه، ص: 42.

(4) ينقل ابن عذاري عن الواقدي محاورة بين أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك، ورجاء بن حيوة مع محمد بن يزيد القرشي الوالي الجديد على إفريقية والمغرب، لمزيد من التفصيل أرجع إلى البيان، ص: 47.

وبإجماع المؤرخين فإن خلافة سليمان بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز هي فترة العدل وإتباع الشريعة، حيث أعفى عمر من يسلم من الجزية وتعتبر بعثته الفقهية إلى المغرب ذات أثر في نشر الإسلام وتعليم السكان مبادئ الفقه الإسلامي، وتتألف هذه البعثة من عشرة تابعين ذكرهم الواقدي في كتابه [1].

حيث أقام غالبيتهم بالقيروان، وقد شيد المساجد بالمدن المغربية وأسسوا المدارس ، وقد لعبت هذه البعثة دور إنعاش الدعوة الإسلامية وترسيخ الثقافة الإسلامية [2].

وهذا الوالي إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الذي حرص على تنفيذ سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز،"فكان خير والي لخير أمير"على ذكر أحد المؤرخين فمازال حريصًا على دعاء البربر للإسلام حتى أسلم بقية البربر على يديه،وكان الخليفة عمر" أحسن ممن سبقه أو لحقه"[3].

وهي النقطة التي تتفق حولها أغلب المصادر في أنه أي إسماعيل بن عبيد الله بث فيها علمًا وخيرًا حتى خرج منهم عبد الرحمن الجبلي وعبد الرحمن بن رافع التنوخي، وموهب بن حبي المعافري[4].

كما أنه ينبغي علينا أن لا ننسى دور " الرباط "[5] في وسائل نشر الإسلام في المغرب بسواحله ودواخله رغم أن المستشرقين أفرد بل يؤاخذ على تلك البعثات العلمية التي يرى أنها منحصرة في مدينة القيروان ولم تمتد بتأثيرها إلى المناطق الداخلية [6] رغم أنه يعود مرة أخرى ويذكر أن الرباط والبعثات العلمية كان يقصد منها الدافع عن الثغور الإسلامية ضد هجومات النصارى من البحر وكذلك لصد وهداية البربر المنشقين عن الدين ويعطي مثالاً للمقارنة حيث

---

(1) الواقدي، المصدر السابق، ص: 84 - 87.

(2) بوالسعد، المصدر السابق، ص: 182.

(3) لقبال، المرجع السابق، ص: 143، أنظر كذلك الدوري، المرجع السابق، ص: 82، أنظر كذلك أحمد محمود، المرجع السابق، ص، 161.

(4) بوالسعد ، المرجع السابق، ص: 149.

(5) نوع من المباني العسكرية يأوي إليها المهاجرون وكانت الأربطة منتشرة في صدر الإسلام وخاصة في شمال إفريقيا وهي عبارة عن مبان ذات تخطيط مزودة بأبراج في الأركان يتوسطها فناء، في الداخل تحف به حجرات صغيرة بنوافذ، ويلحق به مسجد صغير ومن أقدمها " قصر الرباط " بسوسة الذي يعود إلى أول القرن التاسع، غربال، المرجع السابق،م1،ص: 861.
(6) ألفرد بل، المرجع السابق، ص:94.

يذكر أن الرباط نوع من الخانقاه [1](الدير) يتولاه شيخ زاهد ويحيا حياة التقوى [2].

وقد عرف المغرب بكثرة الزوايا التي كان ينشئها رجال الطرق الدينية الصوفية والفقهاء والتجار أينما حلوا، وقد عرفت تلك الزوايا بتعدد خدماتها الدينية والاجتماعية [3].

هذا وتذكر أحد المخطوطات ما يفند آراء بعض المستشرقين من أن البربر اعتنقوا الإسلام عن غير قناعة، ذلك أن هؤلاء المغاربة قصدوا المدينة المنورة " دار الهجرة " ومهبط الوحي لمقابلة مالك بن أنس، الذي كان أعلم أهل زمانه بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والقياس والإجماع ، فكان لهم ذلك وأخذوا عنه العلم ورجعوا إلى بلادهم المغرب.

هذا ويذكر أن علماء الحنفية يدّعون أن مالكا مدفون بالمغرب [4] كما يذكر أن أسد بن الفرات الأندلسي نزيل القيروان قرأ الفقه على طريقة أهل العراق، ثم رحل إلى مالك فأقام عنده أيامًا وقد كانت هناك رسائل مالك بن أنس إلى الليث بن سعد، وفيها من التنبيه والنصح بدل التهديد أو التعزير [5].

---

(1) الخانقاه: أهل الخانقاه بقعة يسكنها أهلا الصلاح والخير والصوفية، معربة حدثت في الإسلام في حدود الأربع مئة ، وجعلت لمتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى... والخناق كشداد من كان شأنه الخنق والخناق، وخنق الوقت يخنقه، إذ أخره وضيقه، وفي الحديث": سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن ميقاتها، ويخنقونها إلى الشرق الموتى" أي يضيقون وقتها بتأخيرها وهم في خناق من الموت أي في ضيق، العرقسوسي الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط6، 1998/1419، ص: 881، وعرفها الشيخ طه الولي،" النانكاه " وذكرها الخفاجي " خانقاه " بالقاف رباط الصوفية معرّب مولد استعمله المتأخرون وجمعه خوانق، وقال ابن طولون " الخوانق والرباط في الإسلام كالأديرة في النصرانية " ويقصد بالنزول في الخوانق التقشف والعبادة والهدوء والبعد عن الناس، وكثيرًا ما ينزلها العلماء والوزراء المتزهدون، الشيخ طه الولي،**المساجد في الإسلام**، دار العلم للملايين ط1، محرم 1409 هـ / 1988م ، ص:89.
(2) يذكر الفرد بل بعض الأحكام تناقض أحكام أخرى لا ندري إن هي متعمدة من مؤلف مستشرق أم لا، مثل فكرته أنه "كلما أوغل الفتح الإسلامي بالمغرب اضطرت هذه الشعوب التي خضعت راضية أو عنوة إلى الامتثال إلى شريعة المنتصر، ويورد الآية:" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله" ولا يكمل الآية " فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين" البقرة 193، وكأن يريد أن يقول أن الشعوب البربرية كانت تعتنق الإسلام عن غير قناعة، نفسه، ص: 99.
(3) عباس عبد الله، المرجع السابق،و : 72.
(4) الغرناطي (839 هـ) انتصار الفقير ، المخطوط السابق:و 14.
(5) نفسه ، و: 27، ملحق رقم:

كما ترجع أحد المخطوطات إسلام البربر إلى زمن عمر بن الخطاب، الذي أسلم على يديه " الستة نفر " من البربر، كما أسلم بعضهم زمن الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان، وأسلم البقية زمن الفتوحات [1].

وقد كانت لآثار سماحة الإسلام عظيمة على جميع الشعوب والديانات حتى اليهودية منها، التي يعترف أحد باحثيها المعاصرين بذلك وبأن الإسلام قد جاء بعهد جديد لليهود الذين اضطهدوا وتشتتوا في الأرض،قبل مجيء الوحي، وقد أعطى الإسلام لليهود فرصة للاحتكاك به، والأخذ من ثقافته وكان نتيجة لذلك أن تأثر الفكر اليهودي بالفكر الإسلامي [2].

فكان الإسلام بهذا دين الوحدة بين العبادة والمعاملة، العقيدة والشريعة وبين الروحيات والماديات، وبين القيم الاقتصادية والقيم المعنوية ومن خلال تلك الوحدة، يصدر الإسلام تشريعاته وفرائضه وتوجهاته وحدوده وقواعده [3].

وعلى الرغم من كل هذه الأدلة والبراهين إلا أننا نجد بعض الكتابات لبعض المؤرخين المستشرقين ينفون عظمة الإسلام، وسماحته بالشرق أو بالغرب، ويدّعُون على سبيل المثال بالمغرب أن العرب أدخلوا الإسلام إليه لكنهم لم يتمكنوا من فتحه[4]، على الرغم من أن الماضي والحاضر ينفي ذلك. وكما يقول أحد المفكرين الجزائريين أن العقيدة الإسلامية لن تفرض وإذا فرضت فلن يكتب لها البقاء، لأن العقيدة إيمان والإيمان لم يكون إلا على اقتناع [5].

(1) الشطيبي الأندلسي (1030 هـ)، كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان، رقم المخطوط 1575، و:240.

(2) كواتي: المرجع السابق، ص: 183.

(3) تغاريد بيضون، **المرأة والحياة الاجتماعية في الإسلام**، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان 1405 هـ/ 1985م، ص: 47.

(4) Gautier, op-cit, p:236.

(5) محمد الصغير بن لعلام، **بين الإسلام والأديان الأخرى**، مقال في مجلة الدراسات الإسلامية ، مجلة يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر، العدد الأول، 1423 هـ ـ 2002، ص: 145.

ج ـ دور الحواضر العربية في نشر الإسلام والثقافة العربية بالمغرب:

بعد أن تطرقنا لموجة الهجرات وأثر الدعوة السلمية في نشر الإسلام بالمغرب، وجدنا أنفسنا مضطرين لمناقشة ميزة أخرى من مزايا تثبيت

الإسلام بالمغرب، ألا وهي الحواضر والمنشآت والحصون الإسلامية بالمغرب، ودورها في استقرار وتقدم الإسلام إذ تعتبر المراكز الثقافية من أهم جوانب دراسة الحضارة الإسلامية ومن خلالها يمكن التعرف على حالة المجتمعات الإسلامية، لذلك كانت العلاقة متميزة ومتكاملة ما بين التاريخ السياسي والتاريخ الاقتصادي الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، رغم أن هذه الناحية لم تحظ لحد اليوم بدراسات عميقة منفصلة، ولم يوليها المختصون في التاريخ الإسلامي عناية خاصة بها [1].

وإذا قلنا المراكز الثقافية، فإننا لا نقصد بها في هذه الفترة المبكرة المراكز الثقافية الحضارية التي نعرفها اليوم، بل كانت في بدايتها عبارة عن كتاتيب[2] وهذه الكتاتيب بالمغرب كانت عبارة عن خياما ثم بعد مرحلة الاستقرار التي يحددها المؤرخون في بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري أصبحت دورا [3].

ولما كان القرن الأول الهجري بالمغرب قرن الفتوحات والمعارك العسكرية، اضطر المسلمون إلى إنشاء مجموعة من الحصون والمعسكرات التي تتطلبها الحروب، لكن كما يذكر الدكتور لقبال بالتفاهم مع أهل المنطقة سكانها الأصليون .

فكانت أول قاعدة للمسلمين بالمغرب قاعدة برقة، ثم أقام المسلمون قاعدة عسكرية ثانية في الغرب هي طرابلس، ثم بعدها أنشأوا قاعدة أخرى بالقرن، والتي عرفت في كتب التاريخ بمعسكر القرن بضواحي تونس حاليا، وهذا قبل تأسيس،الوالي عقبة حاضرة المغرب بالقيروان[4].

---

(1) الجنحاني، المرجع السابق، ص:122.

(2) يذكر الدباغ رواية عن غياث بن أبي شبيب قال: كان سفيان ابن أبي وهب صاحب رسول الله (ص)، يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان، فيسلم علينا ونحن في الكتاب. وهو دليل على أن الحواضر الإسلامية بالمغرب، وخاصة بالقيروان كانت تثبّت العقيدة في نفوس مسلمي البربر منذ القرن الأول للهجرة وهذا زمن عبد العزيز بن مروان سنة ثمان وسبعين، الدباغ، المصدر السابق، ص:151.

(3) لقبال، المرجع السابق، ص:155.

(4) نفسه، ص:156.

وإلى جانب هذه القواعد العسكرية، عرف المغرب مراكز كانت تقام بها أسواق وكانت قريبة من الريف، وكانت هذه المراكز نقطة التقاء تجاري في بداياته، لتتحول تدريجيا إلى التقاء حضاري عن طريق الاحتكاك .

ومنها انطلق العرب إلى الفعاليات المدنية، وتطورت العلاقات الريفية إلى علاقات مدنية، وتحولت تلك المراكز وتلك الأسواق إلى مراكز حضرية [1].

لكن بإجماع جل المصادر فإن تاريخ المغرب الإسلامي عرف تحولاً جذرياً في طريق نشر الإسلام بداية من تأسيس مدينة القيروان[2] عاصمة المغرب على يد الوالي عقبة بن نافع 50 هـ - 55هـ/ 670 م – 674 م وفي ولايته الثانية 62 هـ-64 هـ / 681م– 683م وهو تاريخ بدء الحضارة الإسلامية المغربية، فإلى جانب الجيوش والبعوث التي كانت تخرج منها للفتح، فإنها كانت مستقر الفقهاء، ومنها كذلك كانوا يخرجون لنشر الإسلام وتعليم العربية، لذلك كان دور مدرسة القيروان يضاهي دور الفاتحين الأوائل[3].

ولقد كانت القيروان منذ نشأتها مدينة إسلامية حتى في هندستها المعمارية، وبما أنها قاعدة للمسلمين بالمغرب فإنها كانت نموذجًا لكل المدن المغربية فيما بعد.

ومن هنا صنف المؤرخون القيروان كعاصمة دينية ثقافية، إلى جانب أنها عاصمة الفن المعماري الإسلامي بالمغرب، وإليها يرجع تطوره وانتشاره، ومنها انطلق الإشعاع الحضاري الإسلامي إلى باقي المناطق [4].

وذكر المراكشي القيروان على أنها دار العلم بالمغرب منذ الفتح إلى أن خربتها الأعراب، وفي خرابها يقول أبو عبد الله بن محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي:

ترى سيئات القيروان تعاظمت   فجلت عن الغفران والله غافر

تراها أصيبت بالكبائر وحدها   ألم تك قدما في البلاد الكبائر.

---

(1)الدوري، المرجع السابق، ص:73 – 74.

(2) يذكر أحد المستشرفين أن القيروان أسست لمراقبة الأعداد الحقيقيين البربر، وليس البيزنطيين، وهو حكم ارتجالي من أحد المفكرين البارزين أنظر: Joseph cuoq, les musulmans en Afrique Edition G- P Maisonneuve et larose, paris- 1975- P:40.

(3) أحمد محمود، المرجع السابق، ص:93.

(4) الجنحاني، المرجع السابق، ص:121.

ومن القيروان كان العلماء والزهاد والصالحين والفضلاء، ولكل هؤلاء كتب وآثار معروفة، ككتاب أبي محمد بن عفيف، وكتاب بن زيادة الله الصبني وغيرهما [1] وقد زاد صيت القيروان إلى حد اعتبارها عاصمة علمية ثالثة بعد المدينة والكوفة[2]. وما زادها هذه الصفة أن كان لها أخلاط من قريش ومن مضر وربيعة وقحطان، وبها عجم من خرسان ومن عجم البلد ومن بربر وروم وغيرهم [3].

وكان من آثار انتشار الثقافة الإسلامية بالقيروان والتي رعاها رجال الفتح والدعوة، أ، غدت القيروان مركزًا يشع بالدراسات وتعدد المذاهب، فتنوعت حلقات البحث في مساجد القيروان السبعة القديمة التي ذكرها الدباغ في تأليفه، فكان أول المساجد :

أ- **مسجد الأنصار:** فكان الأول في الوضع والفضل، وضع أسسه فيما ذكر رويفع بن ثابت الأنصاري، صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم سنة سبع وأربعين (4).بمحرس الأنصار

ب- **جامع الزيتونة:** وهو ثاني المساجد اختطه إسماعيل بن عبيد الأنصاري، تاجر الله(5). سنة ثلاث وتسعين.

---

(1) المراكشي، المصدر السابق، ص:356-357 وللمزيد من التفصيل أنظر كذلك القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك تحقيق**، أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر،طرابلس، ليبيا،1967 ، ص:20.

(2) بوالسعد، المرجع السابق، ص:20.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق، ص:19 - 20 – 21، أنظر كذلك إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1984، ص:240.

(4) يبدو أن الدباغ: أتفرد بهذه المعلومة وبهذا التاريخ الذي يرجع إلى قبل تأسيس مدينة القيروان في الأصل، وحتى أنه يذكر بأن المسجد بني قبل بناء القيروان رغم أن جل المصادر، تذكر بأن مسجد عقبة هو أول بناء إسلامي بالمغرب سنة 50هـ وهذا ما ذهب إليه الشيخ طه الولي في كتابه المساجد في الإسلام، إذ ذكر أن أول مسجد بإفريقية هو مسجد القيروان الذي اختطه القائد العربي عقبة بن نافع سنة (51هـ - 671م) عندما افتتح إفريقية، الولي، المرجع السابق، ص:558.

(5) يذكر الدكتور لقبال أن مسجد الزيتونة وضع أساسه حسان وأتمه عبد الله بن الحبحاب، لقبال، المرجع السابق، ص:85، كما نجده في موضع آخر ينسب المسجد إلى إسماعيل ابن أبي المهاجر، نفسه، ص:154، بينما يرجع مؤلف كتاب المساجد في الإسلام إلى أن مسجد الزيتونة هو ثاني المساجد بإفريقية ، وقد بدأ تأسيسه حسان بن النعمان والي إفريقية والمغرب سنة 80هـ / 699م . ثم أعاد بنائه من جديد عبيد الله بن الحبحاب سنة 116هـ / 734م، الولي، نفسه، ص:558.

جـ - **مسجد أبي ميسرة** :وهو المسجد الثالث منسوب إلى أبي ميسرة الفقيه أحمد بن نزار الزاهد ثم جدده حسن ابن محمد بن واصل التميمي، وهذا المسجد يعرفه العامة بمسجد ابن غلاب (1).

أما بقية المساجد فإنها غير معروفة المكان الآن لاستيلاء الخراب على إفريقية وهي:

مسجد الحبلي: بناه أبو عبد الرحمن سنة مئة للهجرة.

ومسجد حنش الصنعاني، بباب الريح .

ومسجد علي بن رياح اللخمي.

وأخيرا **مسجد السبت** ويعرف بمسجد الدمنة.

وهذه المساجد السبعة المشهورة بالفضل لأنها خطت في أول خطة (2).

وقد انتهج البربر سياسة بناء المساجد وأهم ما بني في هذه الفترة مسجد أغمات هيلانة [3] كما لجأ البربر المسلمون إلى تحويل بعض الكنائس إلى مساجد، وكان دور المساجد إلى جانب الصلاة دورًا تعليميًا ثقافيًا اجتماعيًا مجسدًا في حلقات التدريس والإفتاء، والفصل في النزاعات، والاجتهاد وغيرها، فكان المسجد بذلك نواة التواصل والالتقاء.

وما يؤكد سياسة بناء المؤسسات الدينية والثقافية على ذكر الدكتور لقبال هي العبارة المتكررة في أغلب المصادر "سكن إفريقية واستوطنها " [4].

كما توسعت المساجد مع نهاية القرن الأول الهجري،وأصبحت تعرف بالمساجد الجامعة، كجامع القيروان[5] وجامع تلمسان،الذي بناه موسى بن نصير إلى جانب المساجد الخاصة التي أسست احتسابا لوجه الله وهي على كثرتها.

---

(1) وهنا اختلاف بين المؤرخين، إذ يرجع المؤلف الولي ثالث المساجد بإفريقية إلى مسجد القرويين في مدينة فاس الذي أنشىء سنة 245هـ/ 859م على نفقة أم البنين فاطمة الفهرية بنت الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله الفهري، القيروانية الأصل الفاسية الموطن/ ص:558.

(2) الدباغ، المصدر السابق، ص:27 إلى 32.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق، ص:43 أنظر، حسن محمود، المرجع السابق، ص:55.

(4) لقبال، المرجع السابق، ص:154.

(5) ملاحق رقم:

كما عرف المغرب الإسلامي الرباطات والمحارس على طول ساحل الولاية من الإسكندرية إلى طنجة، حتى قال ابن عذاري "أن إفريقية كانت ظلا واحدًا من طرابلس إلى طنجة، وقرى متصلة، ومدائن منتظمة، حتى لم يكن في أقاليم الدنيا، أكثر خيرات، ولا أوصل بركات، ولا أكثر مدائن وحصونا من إقليم إفريقية والمغرب مسيرة ألفي ميل في مثله..." [1].

لكن الكاهنة زعيمة جبل أوراس خربت ذلك كله، وفي خبر ذلك روايات متفق عليها.

فيذكر ابن عذاري أن الكاهنة لما ملكت المغرب بعد هزيمة حسّان بن النّعمان في المعركة الأولى قالت لقومها: " إن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلاّ غراب بلاد إفريقية كلها حتى ييأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر [2].

وعلى ذكر الدكتور لقبال فإن قوم الكاهنة هم جراوة من البربر البتر أهل الظغن والنجعة لا يقيمون للمدن والحواضر وزنًا لهذا فإنهم طبقوا ما أمرت به ملكتهم، لكنهم بعدما أفاقوا ندموا على عملهم هذا وبدأوا ينفضون من حولها،ولجأ الكثير منهم إلى حسّان مستغيثين ما جرى لهم[3] وهو ما جعل أحد المستشرقين يذكر أن الكاهنة هي مؤسسة سياسة الأرض المحروقة وهي

السياسة التي لقيت استياءًا كبيرًا من قبل المسيحيين أنفسهم ومن قبل الأهالي ما جعلهم ينتقمون ويهجرون منها [4].

وما يدل على نفور البربر من الكاهنة ما ذكره الدكتور بن قربة استدلالا من الأحوال السياسية على أن حسّان بن النّعمان لم يجد في طريقه إلى القيروان أي مقاومة بربرية وهذا الذي ______________

(1) ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 36 أنظر كذلك المالكي، المصدر السابق،ص:33، وعلى ذكر تقارب تلك الحصون يذكر المراكشي فكرة طريفة مفادها أنه إذا ظهر في البحر عدوًا نور كل حصن للحصن الذي يليه، واتصل التنوير فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية ، أو من الإسكندرية إلى طرابلس، في ثلاث ساعات أو أربع من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم، المراكشي، المصدر السابق، ص: 347.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 36، أنظر كذلك المراكشي، المصدر السابق، ص:356، أنظر كذلك الدباغ، المصدر السابق، ص: 151.

(3) لقبال ، المرجع السابق، ص: 76.

(4) Wiet (G) op-cit, p: 48.

يعكس ما ذهب إليه المستشرق الفرنسي (ديل Diehl) الذي ذكر بأن البيزنطيين عندما استولوا على برقة كانت لهم كل الأقاليم الداخلية [1].

ويلاحظ من عمل الكاهنة وقومها أنه عمل بربري بدوي، ذلك أن كسيلة زعيم قبيلة أروبة البرنسية أهل المدن ورغم إصرارهم على طرد العرب إلاّ أنهم لم يلجأوا إلى هذه السياسية التخريبية، كما أن أول من لجأ إلى حسّان فرارًا من الكاهنة كانوا برانس.

وهذا ما يؤكد استنتاج الدكتور بن قربة أن الكاهنة كانت بعيدة عن فهم أحداث الفتح، والصراع الحضاري الإسلامي في بلاد المغرب ورسالة الإسلام [2].

رغم هذا إلاّ أن المسلمين أعادوا بناء كل ما هدم، كما بنوا مدينة جديدة وهي " قرية " تونس،وعمّروها إلى أن أصبحت مصرًا، وبنوا بها قاعدة بحرية، ودار الصناعة، ومن هذه القاعدة أصبح للعرب قوة بحرية عظيمة الشأن، ومنها سيكون الغزو البحري نحو صقلية ، وجنوب إيطاليا بداية من القرن الثاني الهجري [3].

كما استولى المسلمون على طنجة قاعدة بلاد المغرب الأقصى، وحولت كنائسها إلى مساجد للمسلمين [4]،وجعلت بها المنابر ذات الفن المعماري القيرواني[5] وهي نتيجة تاريخية منتظرة، لأن القيروان أقدم مدينة إسلامية بالمغرب [6].

(1) بن قربة، الأصـالة ، ص: 70.
(2) بن قربة ، نفسه، ص: 80، لقبال، المرجع السابق، ص: 76.
(3) نفسه، ص: 85.
(4) ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 43.
(5) لمزيد من التفصيل في آثار الفن المعماري الإسلامي بالقيروان، أنظر، مطروح أم الخير، **تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي**، منذ بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين (دراسة تاريخية وأثرية بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية تحت إشراف الأستاذ صالح بن قربة، جامعة الجزائر، 1994/1993، ص:34 -35
(6) الجنحاني، المرجع السابق، ص: 122.

د ـ أثر اللغة في التعريف بقواعد الإسلام ونشر الثقافة بين السكان:

قد يتخيل للمرء من الوهلة الأولى أن قدوم العربية إلى المغرب مرتبط أساسًا بدخول الإسلام، غير أن الواقع التاريخي ينفي ذلك، إذ تعود جذور اللغة العربية بالمغرب إلى أحقاب زمنية بعيدة،تزامنت مع تلك الهجرات العربية التي عرفها المغرب (أو شمال إفريقيا) عبر عصور زمنية غابرة، مما أدى إلى احتكاكها بالسكان الأصليين وتفاعلها معهم في مجالات عدة سياسية اقتصادية اجتماعية وثقافية [1].

وقد كانت " الليبية " وهي لغة الليبيين ، لغة البربر الحاليين ، وقد تم اكتشافها من خلال آثارها المادية الضئيلة، وهذا راجع لمحدودية انتشارها في المنطقة من جهة ، ولصعوبة تفكيك رموزها من جهة أخرى، وقد قسمها الباحثون إلى قسمين أو إلى لغتين: لغة بونية وأخرى بربرية، إضافة إلى بعض النقوش القصيرة التي وجدت في الكهوف والجدران والتي يطلق عليها اسم " تفنغ " [2].

ويمكن اعتبار اللغة البربرية ذات حيوية، ودليلها على ذلك هو امتدادها عبر التاريخ وعدم تفسخها أو احتوائها كليًا من طرف لغة أخرى.

وامتدادها الشائع من حدود مصر شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوبًا [3].

لكن هذا لا يكسبها قدسية في ذاتها وكراهية للعربية وللعرب على ذكر أحد المستشرقين ــــــــــــــــــــ

(1) بوالسعد، المرجع السابق، ص: 33، أنظر كذلك، عثمان سعدي، **خلق ضرة للعربية معناه تدمير الجزائر**، مقال في جريدة الشروق اليومي، العدد 434، 08 أفريل 2002، ص: 07.
(2) التفنغ، والمفرد تفتق بوني، كتابة يستعملها التوارق لنقش نصوص قصيرة على الصخور أو الأساور أو غيرها، وكذلك لتبادل رسائل الغرام الموجزة، وهي كتابة هجائية تستعمل الحروف

الساكنة في بنية الكلمة، والحروف المتحركة في نهايتها. ولا يميز فيها بين الأصوات الطويلة والقصيرة، والكلمات فيها غير مفصولة، ويمكن الكتابة فيها أفقيًا أو عموديًا من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين ومن أعلى إلى الأسفل أو من الأسفل إلى الأعلى، الفرد بل، المرجع السابق، ص:46.

(3) نفسه، ص: 47.، حسن محمود ، المرجع السبق، ص: 49.

في أن البربر حافظوا على لهجتهم البربرية كراهية في الرجال العرب [1].

هذا رغم أن عدد كبير من المؤرخين وعلماء اللغة يرجعون البربرية إلى الأصول الحامية السامية والتي فيها من الانسجام والبابلية للتفاعل مع العربية إضافة إلى أن الكثير من ألفاظها عربية محضة . بل إن المؤرخ الليبي محمد فهمي خشيم ذهل إلى أبعد من ذلك ، حين اعتبر الأمازيغ عرب وذكر أنهم أي الأمازيغ هم أعرب من عرب الجزيرة العربية،إلاّ أنه يرى أن مقياس العربية هو اللغة[2]،وإذا ثبت حسبه دائمًا ما يسمى الأمازيغية البربرية لغة عربية ولهجة من لهجاتها، أخت للهجة العربية "العدوانية الجزيرية" فالأمازيغ هم الليبيون وهم أهل الشمال الإفريقي الأولون [3].

ورغم هذا فإن المستشرق الفرد بل ينفي ذلك، ويقر بأنه لم يكن من الممكن حتى يومنا هذا تحديد أصل اللغة البربرية، كما لم يكن تحديد أصل البربر [4].

لأنه في رأيه أن اللهجات البربرية لا يمكن نسبها إلى البونية ولا إلى العربية ولا حتى إلى لغة سامية أو هندو أوروبية بل يرى إنها ترجع إلى الأصول القبطية،وانحدارها من اللغة المصرية القديمة [5].

حتى أن اللغة العربية في ذاتها عرفت انقسامًا قبيل الإسلام لغة الدولة الشمالية ولغة الدولة العربية الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، ربما أن الثقافة تسير وفق السياسة والاقتصاد فإن الغلبة السياسية كانت لدولة الشمال، وهذا ما أدى إلى اضمحلال لغة الجنوب بدولتها.

---

(1) Marçais (W),comment l'Afrique du nord à été arabisées, faculté de lettres de l'université d'Alger, annales de l'institut d'études orientales année, 1938, T4,P:21. Voir Gautier, op-cit, p: 245.

(2) سأل أبو جعفر المنصور مولى لهشام بن عبد الملك سنة 132 هـ عن هويته فقال:" إن كانت العربية لسانًا فقد نطقنا بها، وإن كانت دينًا فقد دخلنا فيه " القومية العربية للإسلام" ص: 66.

'3) محمد فهمي خشيم، مقال في جريدة الشروق اليومي عدد 325 كما يعتبر المؤرخ والباحث الليبي محمد فهمي خشيم صاحب **معجم لغوي في علاقة اللغة الأمازيغية باللغة العربية** .

(4) ردًّا على افتراء المستشرق الفرد بل، أنظر إلى مقال الدكتور علاوة عمارة البربر والهوية الجزائرية، جريدة الشروق اليومي، عدد 1135،25 جويلية 2004، ص: 07 ، حيث جمع كل النظريات والأصول الأولى للبربر.

(5) يبدوا أن المستشرق خالف برأيه هذا أغلب المؤرخين وحتى اللغويين، ألفرد بل، المرجع السابق، ص: 44.

وقد تفوقت لغة الدولة العربية الشمالية على لغات قديمة وعريقة كالفارسية، والإغريقية والقبطية والقوطية وعلى لغاب إفريقية ومنها لغة البربر في الشّمال [1].

لأن اللغة العربية كانت لغة الدين الإسلامي،وهذا ما اكسبها قدسية وصلابة،افتقدتها من قبل اليونانية أو اللاتينية في شمال إفريقية، والتي هاجر أهلها إلى إسبانيا وصقلية، بعد انتصار المسلمين، وهو ما أدى بأحد المستشرقين إلى الإعتراف بذلك، وجعلهما أي اللاتينية والإغريقية دخيلتان على المجتمع الإفريقي، وليست لها جذور عريقة، وهذا ما ساعد على اضمحلالهما [2].

لكن انتشار العربية بإفريقية عرف تدرجًا مع بدايات الفتح الإسلامي فكان بذلك أول احتكاك، وكانت الفتوحات إحدى منافذ تغلغل العربية إلى المغرب.

ولذلك اعتبر المؤرخون حركة التعريب بالمغرب حركة شاملة في تكوين الثقافة العربية متعددة الجوانب ثقافة اجتماعية، سياسية وما ساعد العرب في ذلك، لغتهم المتطورة التي خرجوا بها من شبه الجزيرة العربية بالمغرب وهي معززة بالقرآن الكريم [3].

والعربية لغة أولاً وثقافة ثانيًا، وصارت الهوية ترتبط أساسًا باللغة [4].

وقد عزز انتشار الإسلام، مجالاً أوسع لانتشار العربية بالمغرب ذلك أن دخول الإسلام يعني تعلم العربية وقد أشار القرآن إلى العربية في أكثر من موضع.

كما وردت أحاديث في حب العرب عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليهم وسلّم " أحب العرب لثلاث، فإني عربي، والقرآن عربي وكلام أهل الجنة في الجنة عربي" رواه البيهقي، إضافة إلى أن أسباب الحب منحصرة في ثلاث أشياء وهي الأفضال الكمال والجمال [5].

---

(1)حسن محمود، المرجع السابق، ص:49. إلى جانب لغات فرعي أخرى لهذه اللغة ذكرها المؤرخ توكر.

(2) بن قربة، الأصالة، المرجع السابق، ص:100.

(3) يقول الجاحظ ": وأهل الأمصار إنما يتكلمون عن لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك يجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر " البيان والتبيان ج1، تح، عبد السلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة، 1960، ص:18.

(4) القومية العربية والإسلام، نفس المقال، ص: 65.

(5) السماني، المنتخب في تحذير من يبغض العرب 1099م/1101، رقم المخطوط، 561، و: 29.

كما ساعدت سياسة الولاء التي انتهجها المسلمون في حركة تعريب المغرب[1] إلى الاندماج العربي، وإلى اتساع ظاهرة الموالي ولأن الولاء كان يحمل معنى الإسلام والعربية معًا .

وكان الموالي أسرع في الاندماج إلى الحضارة، والثقافة الإسلامية العربية خاصة الموالي الذين ارتبطوا بشخصيات، سواء كانوا موالي عتق أو موالي رحم [2] فاكتسبوا بذلك هوية ثقافية إسلامية [3].

إضافة إلى عامل هام آخر ساعد على انتشار التعريب بالمغرب، هي تلك الفتوى التي أصدرها الأئمة المسلمون في عدم إجازة ترجمة القرآن، فكان على الذي يريد أن يتعلم القرآن فعليه باللغة العربية .

كما أن للعامل الحضاري دورًا هامًا آخر، إذ يرجع علماء اللغة تفوق اللغة صاحبة الإرث الحضاري على لغة لم تتشبع بموروث حضاري، فتحتويها وهو ما حصل للغة العربية على اللغة البربرية [4].

وقد يبدو لدراس تاريخ المغرب أن العربية قد وجدت مجالاً أوسع في الانتشار منه في مصر، وهو الذي يرجعه الباحثون إلى أن العربية وجدت في مصر لغة قبطية وإغريقية متأصلة وعريقة ونافذة في السلطة وفي العامة، وعلى العكس من ذلك في المغرب أين كانت اللغة اللاتينية اللغة الإدارية، وبعض سكان السواحل ولم تتجذر بالمغرب أو بدواخله أين حافظ السكان لهجاتهم وتقاليدهم [5].

---

(1) التعريب كما عرفه أحد الباحثين "هو قبل كل شيء اتخاذ العربية أداة للتخاطب ومصطلحا للحضارة، وهو بعد ذلك، الأخذ بالثقافة التي تعبر عن ذاتها العربية، والتعريب بعني رابطة بين وضع لغوي ومجموعة أساليب أذواق وعادات فكرية لا علاقة لها بالتكوين البشري" .

(2) القومية العربية، المقال السابق، ص:70.

(3) الهوية الثقافية كما عرفها الدكتور محمد الصغير غانم هي اللحمة التاريخية الروحية والفكرية التي تربط بين أفراد مجتمع ما، وهي الخلفية الحضارية المتينة التي تستند إليها الشعوب كلما أن تراجع ماضيها وتستشرف حاضرها ومستقبلها، محمد الصغير غانم، **التسلسل التاريخي في هويتها الثقافية عبر العصور**،مقال جريدة الشروق اليومي، عدد370، لـ 22 جانفي 2002، ص:07 .

(4) حسن محمود، المرجع السابق، ص:52.

(5) نفسه، ص:53.

ومن العوامل التي دفعت بحركة التعريب للأمام على ذكر الدكتور الجنحاني هي هجرة البربر من الريف إلى المدينة، ورغم شيوع هذه الظاهرة في القرن الهجري الثاني إلا أن بوادرها كانت في العهد الأول أو عهد الفتوحات إلى جانب مساهمة السياسة الاقتصادية، التي انتهجها المسلمون بأرض المغرب، والتي تمثلت في استصلاح الأراضي الموات[1] وهو ما أعطى علاقة، جديدة للإنسان البربري بالأرض . إلى جانب ربط حركة التعريب بالتجارة

الصحراوية،رغم أنها   كانت مع بداية القرن الهجري الثاني، وأين وصل فيها التعريب إلى واحات الجنوب[2].

كما كانت حركة تعريب العدوة الأندلسية ودور القبائل البربرية في جهادها، وفي التخفيف من حدة اللهجات المحلية المختلفة [3] ودور اليهود بالأندلس الذي آثروا الكتابة العربية على الرغم من إجادتهم للغة العربية ، التي لم تكن تسمح لهم في التعبير عن وعائهم الحضاري إلى جانب دورهم في الأندلس كوسطاء بين الثقافتين الإسلامية والمسيحية ومساهمتهم في حركة الترجمة، وهو ما آثار حفيظة أحد مفكريهم ويدعى ابن جبرول فلام، وهذا رغم إجادته للعربية [4].

من خلال ما سبق يمكننا الجزم أن اللغة العربية بأرض المغرب قد كسبت جولتها التمهيدية خلال القرن الأول الهجري خاصة بعد تعريب حسّان بن النّعمان للدواوين، وصبغه للدولة الإسلامية الصبغة العربية بإفريقية [5].

ما يمكن استخلاصه في هذا الباب من صراع حضاري لغوي بأرض المغرب، هو أن لا يمكن بأي حال من الأحوال، جعل ثقافة مغربية محلية بعيدة عن الأسس الثقافية الإسلامية ، لأن الحقائق التاريخية تؤكد ذلك، وهذا رغم ما نراه اليوم من افتراء محاولات التضليل والتفريق، ولإثارة مسائل أثنية عرقية من المفروض أنها طويت منذ أربعة عشر قرنًا ولكن هذه السموم تُبَثُّ

---

(1) هي الأراضي البور، وعكسها الأراضي الصوافي، والتي تعني الأراضي الخصبة .

(2) الجنحاني،مقال، كتاب القومية العربية والإسلام، نفي المرجع السابق،ص:96، أنظر كذلك رسالة عباس،ص:111.

(3) محمود خياري، تمرد القبائل العربية بمنطقة أشبيلية، مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية للبحوث والدراسات الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الثالثة، ع6، رجب 1423 هـ/ 2002م / ص: 78.

(4) كواتي، المرجع السابق، ص: 187 - 188 .

(5) بن قربة ، الأصالة، ض: 100، أنظر كذلك لقبال، المرجع السابق، ص: 86.

إلينا من أنصار المدرسة الأسطوغرافية الاستعمارية وعلى رأسها الأكاديمية البربرية بفرنسا التي أسست سنة 1967 والتي راحت كما ذكر الدكتور عثمان سعدي[1] تؤثر في منطقة القبائل وتوجه الحركة البربرية وتمولها رغم أن البربرية لهجة من اللهجاب العربية القديمة ، بطل استعمالها بالمشرق ولا زالت تستعمل بالمغرب على ذكر المستشرق الألماني روسلر O.ROSLER.

وما نختم به هذه النقطة ما ذكره المؤرخ التونسي عثمان الكعاك،الذي لخص وضع البربر منذ آلاف السنين، إذ قال: إن البربر قدموا من الجزيرة العربية، في زمن لا يقل عن ثلاثين قرنًا قبل الميلاد [1].

(1) عثمـان سـعدي رئـيس الجمعيـة الجزائريـة للـدفاع عـن اللغـة العربيـة، وصـاحب كتـاب البربـر، الأمازيغ، عرب عاربة وعروبة الشمال الأفريقي عبر التاريخ .
(2) لمزيد من التفاصيل في هذه النقطة أرجع إلى مقال الدكتور عثمان سعدي السابق، البربر الأمازيغ، عرب عاربة وعروبة الشمال الأفريقي عبر التاريخ، أنظر كذلك مقال **أطروحة الأصل الشرقي للبربر على ضوء المعطيات المصدرية القديمة**،مجلة المناهل المغربية، عدد 68، جمادي الأول 1424 يوليو 2003، ص: 2323/199

هــ ـ مساهمة المرأة في نشر الإسلام من خلال التربية الاجتماعية :

كما يجب أن لا يكون موضوع الأسرة في الإسلام يحتاج إلى دفاع أو شرح أو نقاش، الذي يعتبر قد عفا عنه الزمن، لولا افتراءات ومزايدات البعض على الأسرة وخصوصًا على حرية المرأة، التي عنى بها الإسلام عناية، لم يكفلها بها أي قانون مدني أو ديني آخر، وهو ما جعل المرأة في الإسلام عزيزة كريمة، في أسرة جعل رياستها إلى الأب لقدرته وقوامته على المرأة [1] وجعل نفقة الأسرة وحمايتها ورعايتها عليه، وجعل الإسلام لهذا الرجل امرأة لها حق تدبير أمور الأسرة، وحفظ مالها، وعرضها، وفي هذا يقول الرسول صلّى الله عليه وسلّم " المرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها "[1] ولقد تبوأت المرأة في كنف الإسلام مكانًا ساميًا جعل فضيلة الشيخ الغزالي رحمه الله يقول:" إن الذي لا شك فيه أن الإسلام يتضمن أصولا تكفل للنساء أفضل ما يعشن به وافرات كريمات، ولو رجعنا البصر إلى أحوال المرأة المسلمة، قبل ألف سنة، لرأيناها استمتعت بميزات مادية وأدبية لم تعرفها النساء في القارات الخمس، ونحن نؤكد أن هذه المرأة قبل ألف سنة كانت أشرف نفسا،وأربى حظًا، وأزكى وضعًا، من زميلتها الآن في الغرب [1] .

ويتأكد لنا صحة وصواب رأي الغزالي في مقارنته بين المرأة المسلمة ونظيرتها الغربية، من خلال وضع المرأة عبر التاريخ في المجتمعات البشرية المختلفة الأديان والأعراق، والسمة الغالبة فيما هي تدني مكانتها واحتقارها، لدى عامة المجتمع .

---

(1) لقوامة حسب الدكتور سعيد عاشور لا تعني إطلاقًا الإنقاص من وضع المرأة في المجتمع، إنما هو مبدأ قصد به الخير وصلاح المجتمع، بتحديد مكانة كل ركن من أركانه بما يتفق وطبيعة كل طرف، بحيث لا ينبغي تفسير المبدأ تفسيرًا خاطئًا يحرم المرأة من حقوقها المشروعة وواجباتها الأساسية التي أقرها الإسلام، سعيد عاشور، المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية / دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، د.ت، ص "25.

(2) أم الفضل عليه مصطفى مبارك ، **منهج المرأة المسلمة** ، **عبادات ومعاملات**، مكتبة السلام، الدار البيضاء،1420 هـ، 1999م، ص: 77.

(3) محمد عبد العليم مرسي، **الإسلام ومكانة المرأة**، مكتبة العبيكان ،الرياض ط1، 1481، 1997، ص:205.

وفي إطلاله سريعة على أحوالها قبل الإسلام ، اعتبر اليونانيون مثلا أن المرأة من سقط المتاع، تباع وتشترى، وأنها رجس من عمل الشيطان، أما عن الحضارة الرومانية التي يتشرف بها الغرب، فقد اعتبرت المرأة رقيقًا تابعًا للرجل، لا حقوق لها على الإطلاق أو هما حق القاصر.

أما عن الشريعة الهندية، فقد قيل أن الوباء والموت والجحيم وسم الأفاعي،والنار خير من المرأة، وأكثر من ذلك فإن حقها في الحياة ينتهي بموت زوجها، فإذا توفي زوجها قبلها، ألقت بنفسها في النار [1] .

أما في التوراة فقد اعتبرت المرأة سبب كل المآسي والشرور، ذلك أن أول خطيئة كانت من أول امرأة " حواء " والتي بسببها عاقب الله آدم وأخرجه من الجنة إذ هي من أوحى إليه الأكل من الشجرة [2] .

أما عن أحوال المرأة في أوربا المسيحية، فقد ظلت الوصاية عليها، من قبل الرجل[3] على العموم كانت هذه أحوال المرأة عند اليونانيين، الهنود الرومان، الجرمان والعرب[4] ، أين كانت ملكًا لزوجها، كما يملك الرقيق، تباع وتشترى، وعقد الزواج عندهم كان كعقد البيع.

---

(1) عبد القادر بوعقادة، **المرأة والأسرة بين الحقيقة والزندقة** ،مقال، جريدة الشروق اليومي، عدد 1096، 05 جوان 2004، ص: 07.

(2) في بعض صلوات اليهود، يتلو اليهودي المتشدّد، دعاء طل صباح للآلهة " يهوه " يشكره على أنه لم يخلقه، عبدًا ولا وثنيًا، ولا امرأة أحمد عبد الوهاب **مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام**

سلسلة نصف شهرية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، عدد 37، 1416، 1998، ص: 19.
(3) تجعل تعاليم القديس بولس نظرية غريبة عن المرأة، إذ يرى أن المرأة من الرجل، ورأس الرجل من المسيح، ورأس المسيح من الله . ويذكر القديس بولس أن المرأة هي التي خلقت من أجل الرجل وليس العكس، كما يرى أنها مصدر الخطيئة والشر لذا يجب قهرها، نفسه، ص: 68.
ملاحظة : مع العلم أن وثيقة القديس بولس لدى بعض المسيحيين أهم من إنجيل عيسى عليه السلام.
(4) ذلك أن المجتمعات العربية قبل الإسلام، كانت تطبق خصوصيتها الثقافية والحضارية والأخلاقية على المرأة، التي كانت شريكة الرجل في إثبات وجودها، بشرى قبيسي، **المرأة في التاريخ والمجتمع**، دار أمواج للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1995، ص: 76.

لكن بمجيء الإسلام، تغيرت أحوال المرأة السالفة ، كما برأ الإسلام " حواء " من تلك الخطيئة وحدها من دون آدم وفي ذلك يقول الله تعالى: " فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى "[1].

ومن ذلك اعتبرت مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي الأصيل، مكانة الأم المطاعة وربة البيت " أمك ، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك ".

كما أن كتاب الله عدّدَ آيات كثيرات من سورة البقرة، النساء، النور، الأحزاب، الفتح، المجادلة، الممتحنة، الطلاق، وهذا كله حتى يبين مكانة المرأة ، حقوق وواجبات، في تنظيم حالاتها وأدوارها المختلفة خاصة الاجتماعية منها [2].

ولأن الإسلام جاء ليوطد دور المرأة العربية التي كانت تمارسه قبل مجيء الإسلام الذي كان دينًا ودنيا [3].

ولأن النساء كما يقول الدكتور محمد بكر إسماعيل شقائق الرجال في المعتقدات والعبادات والمعاملات، وتحمل التبعات في تربية الأجيال، فكانوا بهذا متساوين، إلا فيما يتنافى وطبيعة المرأة التي كانت ناقصة" [4] عقلاً ودين[5] " تطبيقًا لقوله تعالى"" لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت "[6].

وقوله تعالى:" ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم [7].

---

(1) سورة طـه، الآية : 120، 121.
(2) مجموعة من المؤلفين، **الإسلام اليوم وغدًا**، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، ص: 74.
(3) عاشور، المرجع السابق، ص:25.

(4) محمد بكر إسماعيل، **مع المرأة المسلمة في أحكام دينها وأمور دنياها**،دار الطلائع، القاهرة، 1988،1419،ص:3.

(5) يذكر،د.عبد الحمن الهاشمي، أن المرأة ناقصة عقل بحيث شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد لأنه إذا نسيت واحدة ذكرتها الثانية.

(6) البقرة، الآية: 286.

(7) سورة البقرة، الآية: 228.

ولهذا أيضًا حرص الإسلام على تعليم المرأة أحكام الدين وتعاليمه، لأنه بالعلم تعرف المرأة حقوقها الدينية والدنيوية،كما تعرف الحلال والحرام، وبعلمها تقود الإصلاح الاجتماعي، فتنصح وتوجه وتنتقد وبهذا تصلح أحوال المجتمع [1].

ونظرًا للدور البارز الذي لعبته المرأة في تقدم الإسلام من خلال مشاركتها في الحياة الاجتماعية، جعلت الفيلسوف القبطي رينه حبشي يقول حول المرأة: " أنها الجوهر الذي لم يمسسه سوء، والوجود المحطم " على الأقل في التطبيق التقليدي الذي كان يعدها للأمومة [2].

كما دفعت بالسير توماس أرنولد،أن يرجع إليها أي المرأة المسلمة الفضل في إسلام كثير من أمراء المغول، حيث كن زوجات مسلمات ربما وقعن في الأسر سابق. إلى جانب استقرار كثير من الوثنيين بالمغرب الإسلامي، بعد أن تزوجوا من نساء مسلمات [3].

وعلى العكس من شهادة هؤلاء المستشرقين،نجد مغالطة من المستشرق جورج مارسيه الذي حاول أن يحد من حرية المرأة في الإسلام، عندما يذكر أن الإسلام حرّم عليها الحلي[4] الجذابة للفتها الانتباه محلق رقم07،وهو يستشهد في ذلك بنصف الآية الواحدة والثلاثون من سورة النور، وهو بذلك سار على طريقة " ويل للمصلين "[5] لكننا كمسلمين نرد على مارسيه وعلى غيره، ونقول أن الإسلام يعتبر أول الثورات الاجتماعية في العالم، وأول وثيقة دينية وسياسية واجتماعية، رسمت أوصل الائتلاف البشري والعدالة الإنسانية ولم تستطع الثورات المتعاقبة من بعد أن تنافسه في ذلك.

---

(1) سعاد إبراهيم صالح، **حقوق المرأة في الإسلام** ، قضايا إسلامية، سلسلة شهرية، عدد 35 ، 1419، 1988، ص:72 أنظر كذلك، عبد الأمير منصور الجمري ، **المرأة في ظل الإسلام**، دار مكتبة الهلال، ط 4، بيروت 1986، ص:215.

(2) جاك بيرك، **العرب من الأمس إلى الغد**،تر، علي سعد مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت، 1959، ص: 233.

(3) حسن محمود، المرجع السابق، ص: 70.

(4) ملاحق: جورج مارسيه حول الحلين

(5) Marçais (G) Les bijoux musulmans de l'afrique du nord, imprimerie officielle, rue Trolier, Alger, 1958- P:08.

وبهذا حققت المرأة المسلمة في ظل الشريعة الإسلامية مكانتها اللائقة، ومن أحاديث وسنن الرسول صلّى الله عليه وسلّم وما يشفي الغليل منها قوله: " إلاّ إن لكم في نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا "، وهي الحقوق المقصودة المشتركة، الأمانة، المودة والرحمة، الثقة، وقال، أيضًا:" استوصوا بالنساء خيرًا "، وقال:" اتقوا الله في النساء " وقال: " النساء شقائق الرجال" وقال:"خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" وقال أيضًا:"ما زال جبريل يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه سيحرم الطلاق" [1] وأحاديث أخرى كثيرة تصب كلها في إطار تحقيق الألفة والمساواة والإنسجام .

(1) صحيح مسلم، المصدر السابق، ج 10، ص: 298 - 299.

و ـ دور التجارة في نشر الإسلام :

إذا كان للقواد الفاتحين والفقهاء دور بارز في نشر الإسلام وتثبيته بالمغرب، فإن للتجار دور مماثل وفعّال في توطيد أركان الإسلام بالمغرب، حيث كانت تجارتهم ذات أهداف مزدوجة نبيلة في الدارين الدنيا والآخرة،

وبفضلهم ارتبطت الطرق البرية خاصة النائية منها بالحواضر الإسلامية القديمة، وبفضل تلك العلاقات الاقتصادية تعرّف الوثنيون على أحكام الدين الإسلامي، من خلال احتكامهم بتجارة المسلمين في حياتهم اليومية الدينية، وبمعاملتهم الصافية وأمانتهم الطاهرة (1).

ويرجع المؤرخون بدايات دور التجار منذ العهود الأولى ، إذ رافق التجار الجيوش الإسلامية الفاتحة بالمغرب، وهذا لما تتطلبه أمور الحياة اليومية للفاتحين، التي تكفّل بها التجار من سلع، إضافة إلى شرائهم لغنائم الحرب، ويذكر الدكتور صالح أحمد العلي أن أغلب هؤلاء التجار كانت لهم علاقات مميزة مع القواد المسلمين، وهذا حتى يتقوا تهمة التجسس(2) وقد اتسع نفوذهم حتى أنهم اقرضوا الجيوش الإسلامية والقواد في نفس الوقت (3).

لكن رغم هذا النفوذ إلا أن الحقيقة التي لا يجب التغاضي عنها، هي أن تجارة هؤلاء في تلك المرحلة المبكرة لم تكن منتظمة، بل كانت أقرب للفوضى رغم نفوذها.

ويورد المستشرق ألفرد بل فكرة نظنها واقعية، وقد أشارت إليها بعض المراجع الإسلامية، في أن البربر كانوا يجتنبون الأسواق، وقد يفضلوا بيع سلعهم جملة واحدة خارج الأسواق حتى يعودوا بسرعة إلى قراهم، وهنا لعب التجار المسلمون دور الوسيط في ذلك، وهو ما أدى فيما بعد بإقتداء البربر بالتجار المسلمين ، الذين لقنوهم تعاليم الدين، بالإضافة إلى عمل بعثات العلماء، وهو ما أدى فيما بعد إلى نقل البربر البدو تلك التعاليم على قراهم (4).

---

(1) عباس، المرجع السابق، ص: 104

(2) صالح أحمد العلي، **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في القرن الأول الهجري**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، بيروت 1969، ص:264.

(3) لما تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز الإمارة، وأدرك الأمر، أمر القواد بأن يرجعوا أموال التجار من بيت مال المسلمين، فقال:" بيت المال أحق بهذا "، نفسه، ص: 265.

(4) الفرد بل، المرجع السابق، ص: 94.

ولما كانت الحياة الاقتصادية دومًا تتبع الأحوال السياسية، فإن عاصمة المغرب الإسلامي القيروان اشتهرت منذ العهود الأولى بأسواقها التي ازدهرت ازدهارًا كبيرًا ، جعل المغرب بلدًا غنيًّا (1).

وقد عرف المغرب ثلاثة أنواع من الأسواق :

النوع الأول : الأسواق المتنقلة مع الجيوش الإسلامية الفاتحة .

النوع الثاني : التي مازالت إلى يومنا هذا وهي الأسواق الأسبوعية .

النوع الثالث: من الأسواق فهي أسواق المدن والتي عرفت تنظيمًا حسب الاختصاص(2).

وقد أشار كثير من الرحالة الجغرافيين العرب إلى الأسواق التجارية بالمغرب ، ودورها الرائد، فقد قال ابن حوقل:" وكانت القيروان أعظم مدينة في المغرب وأكثرها تجارة وأموالاً [3].

وقال عنها الإدريسي:"...وكانت أعظم مدن المغرب قطرًا،وأكثرها بشرًا، وأيسرها أموالاً، وأوسعها أحوالاً،وأنفسها هممًا،وأربحها تجارة، وأكثرها جباية وأنفقها سلعة، وأنماها ربحًا"[4].

كما عرف المغرب تجارًا أجانب منهم مسيحيون، ويهود اشتهروا بتجارتهم حتى سميت بعض الحارات بأسمائهم.

وقد يدل على هذه التمازج على سماحة الإسلام والمسلمين بغيرهم من الأديان التي وجدت بالمغرب [5].

(1) الجنحاني، المرجع السابق، ص: 134.

(2) عيسى بن الذيب، **التجارة في عصر دولة الموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة،1411 هـ/ 1990، ص:83.

(3) بن حوقل، **كتاب صورة الأرض**، نسخ علي بن الحسن بن بندار، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،479 هـ/ 1086م،ص:69.

(4) الشريف الإدريسي: **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من نزهة المشتاق في احتراق الأفاق**، تح دوزي ودي فوج ليدن - مطبعة بريل 1968، ص:60.

(5) الجنحاني، المرجع السابق، ص: 137.

وقد بلغ نفوذ التجار المسيحيين واليهود بالمغرب أن اشتروا أراضي الخراج حتى تصبح ملكية لهم، وهو ما دفع بالخليفة عمر بن عبد العزيز ، أن يوقف تلك البيوع على الأراضي الخراجية، قبل أن يفرض عليها الخراج بغض النظر عن دين المالك لها وهويته.

كما شكل الصناع وأهل الحرف الذين كانوا غالبًا من غير العرب، اتحادًا مع الفلاحين وأهل البداوة، وهو ما شكل فيما بعد دفعًا قويًا للإسلام ، خاصة بعد انشغال المسلمين العرب بالفتوح وأمور الإدارة [1].

أما فيما يخص وسائل التعامل التجاري، حسب الدكتور صالح بن قربة فإنها كانت منذ الحقب الأولى للإسلام تتعامل بالنقود، وفي إتباع المسلمين أسلافهم البيزنطيين في التعامل بالنقود ذاتها كنقود موسى بن نصير، التي أبقت على نقود الملك البيزنطي هرقل، وفي هذا دلالات أخرى اتبعها المسلمون أينما حلوا في أن التغيير الايجابي يكون دائمًا تدريجيًا .

وهي السياسة التي استمدها الولاة بالمغرب من السياسة العامة للخلافة بالمشرق التي أعطت أهمية قصوى لدور الضرب وتوسيعها، وإعطائها فيما بعد الخصائص الإسلامية.

وبهذا مرت النقود بالمغرب الإسلامي، ومن طابعها اللاتيني إلى طابعها الإسلامي الخاص، على فترات من دون إثارة الثورات [2].

وهو ما جسد ثقة متبادلة بين التجار المسلمين، وتجار الديانات الأخرى وفي العلاقات الشخصية وتبادل الهدايا [3].

وقد كانت هذه السياسة بمباركة الخلافة الإسلامية بالمشرق، التي كانت تعتبر دائمًا المغرب، كحلقة وصل ونقطة عبور لنشر الإسلام في باقي مناطق القارة، إضافة إلى الشطر الآخر من البحر[4].

---

(1) عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص: 72 - 73.

(2) صالح بن قربة، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، بحث لنيل درجة الدكتوراه، الطور الثالث في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 1982 - 1983 ، ص: 40 - 46 - 51.

(3) بن الذيب، المرجع السابق، ص: 134.

(4) بوتشيش، المرجع السابق، ص: 44.

وهذا بدليل أن أغلب المصادر العربية تقرن في حديثها عن غزوات الإسلام بالمغرب بغزوات أخرى نحو السودان ' أي جنوب المغرب الإسلامي،ومنذ عهد الوليد بن عبد الملك الذي أمر بحفر الآبار للطريق المؤدية للصحراء ،وهذا لربط المسالك التجارية فيما بينها ولتعمير المنطقة[1].

وإتباعا لهذه الجهود الفردية في نشر الإسلام ، واصل التجار دورهم الحضاري في ذلك وهذا عن طريق تلك الطرق التجارية الرابطة بين المراكز الإسلامية في الشمال والأراضي التي تقع فيما رواء الصحراء . وهذا ما جعل المستشرق ترمنجهان، يقول: أن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حدّ كبير[2]، كما جعل المؤرخ حسن إبراهيم حسن يقول:إن الإسلام لم ينتشر من توات إلى أعماق القارة بفضل الغزو أو الفتح، إنما ينتشر مع ركاب القوافل التجارية التي كانت في حركة دائبة [3].

وقد خلّف هؤلاء التجار آثارًا في نشر الإسلام ببنائهم للمساجد والزوايا والمدارس، إضافة إلى انصهارهم مع الأهالي الأصليين، وتحرير العبيد، ثم إدخالهم في الإسلام إلى جانب أعمال جليلة أخرى ، حفظتها لنا كتب التاريخ [4].

وفي إطلالة سريعة على كمية السلع في المبادلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان ، يذكر الإدريسي أنها كانت " بأعداد الجمال الحاملة لقناطير

الأمـوال " ، وهـو مـا شـجع التجــار علــى إرسـال قـوافلهم وعبيـدهم إلــى بـلاد السودان [5].

وخلاصة القول حول هذا النشاط التجاري ودوره في نشر الإسلام، نـذكر ما ذكـره العلامة ابن خلـدون:" أعلـم أن الجبـاية أول الدولـة تكون قليلـة الوزائـع كثيرة الجملة، وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة والسبب فـي ذلـك أن الدولـة ، وإن كـانت على سنـن الدين، فليست ________________

(1) يذكر الدكتور بوتشيش فكرة غريبة مفادها، أنه لا يوافق أحد الباحثين في أن سياسة الخلافة كانت تتمثل في توطيد صلات الأخوة والتعاون بين العرب والبربر، وفي رأينا أنـه يسقط حكمه هذا على حالات خاصة وفي مناطق محدودة، نفسه، ص: 46.

(2) حسن محمود، المرجع السابق، ص:56.

(3) حسن إبـراهيم حسن، انتشار الإسـلام والعربيـة فـي مـا يلـي الـصحراء الكبـرى، مكتبـة النهـضة المصرية، ط3، القاهرة 1983، ص:17.

(4) عباس، المرجع السابق، ص: 106.

(5) الإدريسي، المصدر السابق، ص:66.

تقتـضي إلا المغـارم الـشرعية، مـن الـصدقات والخـراج والجزيـة... وإذا قلـت الوزائع والوظـائف علـى الرعايـا، نـشطوا للعمل ورغبـوا فيـه، فيكثـر الاعتمـار ويتزايد ، لحصول الاغتباط بقلة المغرم، وإذا كثر الاعتمار كثرت أعداد تلك الوظائف والوزائع، فكثرت الجباية، التي هي جملتها"[1].

ومن خلال قول ابن خلدون نـستنتج، مدى لجوء النـاس للعمل، إذا كـانت الجباية ضئيلة وهو مـا يحفز النـاس علـى العمل، كما يؤدي إلـى كثـرة الإنتـاج، وكثرة فرص العمل .

(1) ابن خلدون، المقدمة، الجزء الثاني، ص: 135.

2 ـ أثـر فتح الأندلس في استكمال إسلام البربر :

يبدو جليًّا من جل الكتابات التاريخية أن فتح الأندلس وانتقال الإسلام إلى ما وراء البحر الأبيض المتوسط، كان نتيجة حتمية وطبيعية [1] لعملية فتح المغرب، ورغم أننا لسنا هنا بصدد ذكر عملية الفتح أو العمليات العسكرية، والحروب التي وقعت إثر ذلك، إلاّ أننا مضطرون للتطرق لبعض تلك الحوادث، خاصة أن أغلب المؤرخين وجدوا في عملية الفتح مادة خصبة في كتاباتهم،تعلقت أساسا بتلك الصراعات الداخلية في إسبانيا بين أنباء الملك المخلوع"غيطشة" [2]، والملك الجديد " لذريق" إضافة إلى حادثة ابنة حاكم سبتة "يليان" مع الملك القوطي" لذريق"[3].

ويذكر الدكتور لقبال أن فتح الأندلس لم يكن في مفكرة والي المغرب موسى بن نصير، وإنما كان بإفريقية يخطط لترتيب البيت، واستكمال فتح قلاع المغرب الأقصى، إلى جانب مواصلة توسيع النفوذ البحري الإسلامي، وكانت لحوادث إسبانيا القوطية، وحاكم سبتة دفعًا لفتح الأندلس، وتواجد عدد كبير من مرابطي ومسلمي البربر بالمغرب دون فتح ودون نشاط [4].

هؤلاء البربر الذين كانوا قد تشبعوا بالثقافة والمبادئ الإسلامية بعد أن ولى عليهم موسى بن نصير مولاه طارق بن زياد [5] وترك معه لهذه الغاية في طنجة سبعة عشر من فقهاء العرب[1] فأحيا بذلك سنة عقبة بن نافع. وكان لتولية طارق البربري على طنجة نتائج طيبة وتأثير إيجابي

(1) إذ يعتبر الأندلس امتداد طبيعي للمغرب، حيث يفصل بينهما مضيق " جبل طارق" الذي لا تتعدى مسافته خمسة عشر كيلومترًا، ابن الذيب، المرجع السابق، ص، 143.

(2) اسمه باللاتينية " VITZA" وأولاده الثلاثة هم: المند، رملة ثم أرطباس وباللاتينية " ARTABAST " ابن القوطية، المصدر السابق، ص : 19.

(3) ذكره اليعقوبي على أنه الأذريق، وكان رجلاً من أهل اصبهان وهم القوطيون، ملوك الأندلس اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص: 285.

(4) لقبال، المرجع السابق، ص: 12.

(5) طارق بن زياد الليثي بالولاء(50 -105 هـ)، أصله من البربر، وفي الرواية العربية خلاف حول ما إذا كان قام بغزو الأندلس بمبادرة منه،أو بناء على أمر موسى بن نصير الذي ولاه طنجة سنة 89 هـ ،ابن القوطية، المصدر السابق،ص:23.
(6) يذكر الدكتور لقبال نقلاً عن حسن عبد الوهاب، أن موسى ترك سبعين رجلاً لهذه المهمة، وليس سبعة عشر رجلاً، لكنه لم يذكر مصدر استيقاءه لهذه المعلومة، لقبال، نفس المرجع ، ص: 103.

في نفوس البربر الذين توافدوا على طارق، وهو في رباطه لفتح الأندلس ،حتى بلغت قواته إثنى عشر ألفًا من البربر ، وسبعة عشر ألفًا من العرب[1].

وفي حوادث الفتح عدة روايات امتزجت بين الحقيقة والخيال أحيانًا، والاختلاف بين المصادر أحينًا أخرى، إذ يذكر القلقشندي أن طارق افتتح بالأندلس طليطلة، والتي أصاب فيها مائدة سليمان بن داود عليه السلام [2].

في حين يرتبها ابن القوطية بمدينة قرطاجنة [1] ثم اتجه إلى قرطبة ثم طليطلة، ثم فج طارق وصولاً إلى أشترقة .

ورغم أن ابن القوطية يعتبر مصدر المصادر في تاريخ الأندلس [1] إلاّ أنه يروي أحداث غريبة في الفتح[5] ، وهو ما ذب إليه القلقشندي كذلك في تاريخه [6].

وبعد افتتاح الأندلس استوطنها بغالبية بربرية، وقد ذاع صيتهم فكان منهم الأمراء والقواد

---

(1) يذكر المستشرق هنري تيراس أن عدد جيوش طارق بن زياد لم تتجاوز السبعة آلاف بربري، ورغم هذا فإنه لم يجد مقاومة على السواحل الأندلسية.
TERRASSE, OP-CIT-P:98.
(2) ويذكر ابن القوطية، أن مائدة سليمان عثر عليها طارق بمدينة سالم (MEDINA-CELI) وليس بطليطلة، ابن القوطية، المرجع السابق، ص: 23 وقارن القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص: 134، أنظر كذلك اليعقوبي، الذي يرجع المائدة على طليطلة، المصدر السابق، ص: 285.
(3) قرطاجنة، **ميناء إسباني يقع في ولاية مرسيه على البحر الأبيض،** أسسه القرطاجيون الإفريقيون في سنة 227 ق.م، ابن القوطية، نفس المصدر، ص: 23.
(4) ذلك أن كبار المؤرخين، كابن عذاري، وابن خلدون،وابن الأثير، يقتبسون مما كتبه ابن الحيان(377 - 469 هـ) وهو الذي ولد بعد عشر سنوات من وفاة ابن القوطية ويقتبس هو من " ابن القوطية " .
(5) منها طارق بن زياد بعد افتتاحه لمدينة بالأندلس أمر أصحابه بتقطيع ما قتلوا من الأسرى وطبخ لحومهم في القدور، وإطلاق سراح بعضهم، وهذا حتى يروُون للذريق وأصحابه ما رأوا من طارق وأصحابه حتى يدخل الخوف والرعب قلوبهم، ابن القوطية، نفس المصدر، ص: 23.
(6) رواية البيت المغلق بالأقفال، والذي به صندوق صور العرب وهو على فرسانهم، وهو الذي قام بفتحه الملك لذريق بطليطلة القلقشندي، المصدر السابق، ص: 135.

والعلماء والقضاة والصالحون، من صنهاجة وزناتة وبني يفرن وبني رزين [1].

ومن أمرائهم ابن واسنوس المكناسي ، ومن قضاتهم بقرطبة القاضي عباس، وجميع وجوه سرقسطة وأمرائها من البربر،منهم محمد بن عبد الجيار المحمودي،وبنو يحي بقرطية، ومنهم الأوربي من بني سالم ومن كتامة، ومن لمتونة، وقد ولوا بإشبيلية وبغرناطة ، وبمرسية وغيرها على ذكر المؤلف في أن قبائل البربر لا تحصى كثرتها [2].

وقد أطب مؤلف مفاخر البربر في تقسيم القبائل البربرية بالأندلس ودورها واختصاصاتها والتي لا يسعنا ذكرها، وقد لخصت في قبيلة صنهاجة التي كان منها الفقهاء والكتاب والأدباء، ومن زناتة كان الأمراء، ومن مكناسة الوزراء،ومن مغيلة الولاة، ومن ولهاصة كان القضاة، وهكذا حتى آخر عهد المؤلف [3].

أما مؤلف كتاب المعجب فإنه ذكر لنا من دخل إلى الأندلس من التابعين للجهاد والرباط، فكان منهم محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري، كما كان منهم حنش بن عبد الله الصنعاني،وكان عبد الرحمن بن عبد الله العافقي،إلى جانب يزيد بن قاسط وقيل ابن قسيط الكسكي،وغيرهم [4].

ويعتبر غازي بن قيس(ت199 هـ/814م)، مدخل موطأ الإمام مالك إلى بلاد الأندلس، بعد أن أخذه بالمشرق [5]حتى أصبح الأندلسيون[6] يقال لهم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،فيقولون قال مالك، وهذا الذي أنكره الشافعي على أهل الأندلس[7].

---

(1) لقد اندمجت الموجات البربرية الأولى مع العناصر العربية الأندلسية ، والتي كانت في غالبيتها قبائل زناتة وبعد سقوط الدولة الأموية في قرطبة، تكاثرت هجرة البربر من القبائل الصنهاجية، عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، ط1(1403 هـ/1983م)، ص: 84.

(2) الشطيبي، المخطوط السابق، ص: 241.

(3) مجهول، مفاخر البربر، المصدر السابق، ص: 78 - 79.

(4) المراكشي، المصدر السابق، ص: 14.

(5) بوالسعد، المرجع السابق، ص:276.

(6) يطلق لفظ الأندلسيين على المسلمين من أهل الأندلس، باستثناء البربر الطارئين كقوة سياسية مسيطرة... بصرف النظر على أصولهم،إلى جانب أحقاد السكان الأصليين الذين أسلموا فيما بعد، إلى جانب العبيد الذين اعتنقوا الإسلام فأصبحوا من الموالي، أحمد موسى، المرجع السابق، ص: 85.

(7) مخطوط، انتصار الفقير السالك، مخطوط سابق، و: 36، كما يذكر المؤلف أن الشافعي سمع على أهل الأندلس أن لهم قلنسوة يستسقون بها، فأنكر عليهم ذلك، نفسه، و: 36.

لكن رغم هذا فإن الإسلام انتشر بالأندلس بسرعة فائقة، وقد فاق انتشاره حركة التعريب من حيث السرعة والشمول، وهو ما كان حافزًا لم تخلّف من البربر المسلمين بالمغرب بالالتحاق بالركب الإسلامي، والمشاركة في الجهاد والغنيمة [1].

وهذا عكس ما ذهب إليه المستشرق " غاستون وايت " الذي يرجع السبب المباشر في غزو المسلمين للأندلس لحادثة ابنة الأمير يليان مع الملك لذريق [2].

وما يدحض استنتاج هذا المؤرخ هي تلك النتائج التي ترتبت عن هذا الفتح في امتداد الحركة الثقافية الإسلامية إلى أوربا،بالإضافة إلى ميزة مهمة أخرى تمثلت في امتزاج ثلاثة عناصر بشرية (عربية بربرية وإيبرية) في أمة واحدة[3]، بفضل المصاهرة والولاء [4]، وخدمة الهدف الأساسي وهو إعلاء كلمة الإسلام .

بالإضافة إلى سياسة اكتساب الأهليين سواء بالمغرب أو الأندلس حتى يكون شعور روحي في تسيير شؤون الحكم [5].

وهي السياسة التي طبقها المسلمون منذ دخولهم الأندلس،وهي نفس سياستهم بالمغرب، وهو عكس ما ذهب إليه المستشرق " وايت " في كتابه حين يذكر أن الإسبان تقبلوا السيطرة الإسلامية ابتداء من سنة (96 هـ/714م)، ودليلنا في هذا هي رسالة معاهدة الصلح بين عبد العزيز بن موسى مع تيودومير في سنة ملحق رقم 06 [6].

---

(1) هذه الغنيمة التي يركز عليها بعض المستشرقين في غزو المسلمين لإسبانيا، والحقيقة أنه لو كانت الغنيمة هدف المسلمين لكان بإمكانهم أن يشبعوا نهمهم من الأموال من مدينة واحدة أو اثنين ثم يعودون إلى ثغر إفريقية .

(2) Weit, Op-cit, P:51

(3) لقبال، المرجع السابق، ص: 112.

(4) Weit, Op-cit, P:53

(5) أحمد محمود، المرجع السابق، ص:161، أنظر كذلك الدوري، المرجع السابق، ص: 80.

(6) أنظر ملحق رقم 06، ص: 144.

وما يهمنا استخلاصه هو ذلك الدور الرائع الذي لعبه البربر المسلمون في مجهودهم الحربي، ودليل وحدة وتمازج الدم العربي والبربري في نشر الإسلام وهو الأمر الذي يؤكده العلامة ابن خلدون في أن البربر تناسوا الردة [1]

واستقر الإسلام بنفوسهم بعدما جاز بهم موسى بن نصير إلى جزيرة الأندلس [2] حتى أصبحوا يضعون أنفسهم وقودًا لنشر شعلته أينما حلوا.

(1) يذكر الدكتور لقبال أن الردة التي يقصدها ابن خلدون هي ليست الردة عن الدين الإسلامي، وإنما الردة عن الحكام والولاة الذين كانوا يطغون في بعض الأحيان، وكانت ردتهم بإثارة الثورات والفتن، لقبال، المرجع السابق، ص: 105.

(2) هنا رغم أننا وجدنا ابن الخطيب يذم دور البربر في إثارة الفتن بالأندلس مع انحلال الدولة الأموية ، إذ يذكر أن البربر كانوا في نظر الأندلسيين " نكد وشؤم والدماء عندهم هوان وإذا غضبوا قتلوا أو جرحوا " ابن الخطيب، المصدر السابق، ص: 99.

3 ـ مساهمة بلاد المغرب في الحضارة الإسلامية :

من خلال دراستنا لمراحل طبيعة انتشار الإسلام في بيئة البربر نلاحظ مدى صحة تغلغل الحضارة الإسلامية في المغرب، والتي لم تكن وليدة الفتوحات العسكرية، بقدر ما كانت نتيجة تفاعل وتجانس حضارتين وتفاعلها، وكما يقول الدكتور حسن أحمد محمود، فإنه رغم أن الفتح العربي للمغرب استغرق أكثر من نصف قرن،وبعد نضال مرير، إلا أنه كان أكثر نجاحًا وأسع نطاقًا من مصر نفسها رغم سهولة فتحها بالمقارنة مع المغرب [1] وهذا لم يكن وليد الصدفة وإنما كان نتيجة عوامل متعددة جمعت ما بين الفئتين أو ما بين الجنسين، العربي والبربري التي ركز عليها أغلب المؤرخين في وحدة وتشابه

الطباع،العادات الفكر والحياة وحتى البيئة المتشابهة التي كان يعيش فيها العرب والبربر وهي البيئة الصحراوية [2].

ويورد لنا الدكتور بن قربة في هذا المجال نظرية ابن خلدون في تأثير الدين حيث يقول: " والسبب في ذلك أنهم بخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادًا بعضهم لبعض للخلطة والأنفة،وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة ... فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية،كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين، المذهب للغلظة والأنفة... ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق "[3].

وهي النظرية الخلدونية التي تنطبق على الجنسين العربي والبربري ، وتواجد الصفات فيهما، لذلك كان نفس العامل ألا وهو الدين الذي يوحدهما ويدمجهما في بوتقة واحدة.

وهذا الدين الذي حمل معه إلى المغرب ثلاث عناصر أساسية:

1 ـ الثقافة العربية الإسلامية .

2 ـ الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية .

3 ـ اللغة العربية لكونها لغة الحديث والتواصل.

---

(1) أحمد محمود، المرجع السابق، ص:55.

(2) بن قربة، دور حسّان، المرجع السابق، ص: 96.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ص:197.

وهي العناصر الثلاثة التي ساهمت بشكل فعال في إعطاء الصبة الإسلامية العربية للمغرب [1].

وقد قسم الدكتور لقبال تكوين هذه الصبغة الإسلامية بالمغرب إلى مرحلتين الأولى والتي تنتهي بانسحاب عبد الله بن أبي سرح من معركة سبيطلة، سنة (27 هـ). أما المرحلة الثانية فتنتهي بدخول المسلمين إلى الأندلس، وهي المرحلة التي تعرف في التاريخ بمرحلة الاستقرار، ونشر الدعوة وتبيين أهداف الدين الجديد [2].

ورغم أن بدايات هذه المرحلة كانت هشة نظرًا للطابع العسكري الذي ميزها، إلا أنه من خلالها بدأ البربر يلاحظون الفرق بين المسلمين وبين الرومان والبيزنطيين من قبلهم.

وكما يذكر أحد الباحثين، فإن الفتح الإسلامي للمغرب في المرحلة الثانية، أي النصف الثاني من القرن الأول الهجري، غلب عليه الطابع الحضاري الثقافي، حتى أنه سمي هذا الفتح بالفتح الثقافي [3].

ولعل هذا ما يسفر بأن إسلام البربر وإقبالهم على الثقافة العربية قد حببهم في العرب، وفي ثقافتهم، وهذّب طبيعتهم النزاعة إلى الثورة والخروج على السلطات، خاصة بعد أن لاقوا بعض الاضطهاد من بعض الولاة بإفريقية، لكنهم تمسكوا بدينهم الإسلامي وتمسكوا بمذهبهم المالكي الذي اعتبروه جزءًا من قوميتهم، خاصة أنه مذهب يستمد من النصوص ولا يميل على الجدل والاستدلال والقياس وهو ما أعطاهم حياة فكرية جديدة، تعتمد أساسًا على العلوم النقلية وهو ما أبعدهم عن العلوم العقلية بنزعاتها الفلسفية، وهو ما أدى بهم فيما بعد إلى اعتبار المعتزلة كفارًا والشيعة والخوارج مارقين [4].

خاصة بعد أن تخرجت فئة من علمائهم، بعد أن عادت من المشرق حاملة معها علوم الدين والدينا وقد شهد لهم المشارقة بالنبوغ في الرواية والحفظ خاصة منهم الشيخ أبو محمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني مؤلف كتاب " الرسالة في الفقه " وهو نفزاوي النسب، وكتابه هذا

---

(1) أحمد محمود ، المرجع السابق، ص: 10.

(2) لقبال، المرجع السابق، ص: 117.

(3) بوتشيش ، المرجع السابق، ص: 51.

(4) التميمي القيرواني، ص: 20.

جمع " لما افترق من العلوم وإيضاح مذهب مالك إمام دار التنزيل، وقد تفنن في علوم القرآن وعلله بآثار الرسول صلّى الله عليه وسلّم وسننه، حتى لقب بشيخ الإسلام والسنة [1].

وغيره كثيرون في البربر مما يوفى على ذكر صاحب مفاخر البربر عدد الحصى والإحصاء، وينتهي إلى أن يقول "والذي أغفلت أكثر من الذي ذكرت، حيث كان بالمغرب من علماء البربر ما يفوت الحصر ولا يحويه العدّ، وهذا باب لا يطمع في استيفاءه، ولا سبيل إلى الإحاطة به "

وينتهي المؤلف إلى ذكر مقولة الشيخ الفقيه أبي عبد الله بن عبد الملك أنه "كان بفاس من الفقهاء الأعلام الأجلاء أعيان الأنام ما ليس في غيرها من بلدان الإسلام، إذ هي قاعدة المغرب ودار العلم والأدب، لكن أهلها أهملوا ذكر محاسن علمائهم، وأغفلوا تخليد مفاخر فقهائهم"[2].

لكنه يعود فيما بعد، ويعترف أنه رغم هذا لم ينج المغرب من بعض الهرطقات والكفر،ونحو ذلك من الضلالة،والتي كان البربر عليها قبل الإسلام،أيام الرومان،وهم على أديان مختلفة يهودية، مجوسية أو نصرانية ، وكما كان فيهم رؤساء وملوك وكهّان ، وعلى ذكر المؤلف أن " لهم في التاريخ حروب وملاحم عظام مع من قارعهم " [3].

لكن مع مجيء الإسلام الذي كان على طول المراحل التاريخية للمغرب، العامل الرئيسي في توحيد الشعوب البربرية تحت عقيدة إسلامية واحدة وتحت تشريع واحد موحّد [4].

وهذا الأمر الذي يتجاهله المستشرقون ويدعون أن البربر دخلوا الإسلام عن كراهية أو طمع في الغنائم،هذه حجتهم في أن إسلام البربر كان شكليًا،لكن الحقائق التاريخية تدحض ما ذهب إليه هؤلاء المستشرقون، ذلك أن إسلام البربر كان عن قناعة تامة لما رأوا فيه من عدل ومساواة إفتقدوها أيام البيزنطيين وحلفائهم [5].

ولتوضيح مفارقات بعض هؤلاء المستشرقين، نعطي مثلا عن المؤرخ غوتييه، الذي من

---

(1) مجهول، المرجع السابق، ص: 61.
(2) نفســه، ص: 76.
(3) الشطيبي، المخطوط السابق، و: 236.
(4) الفرد بل، المرجع السابق، ص:42
(5)بن قربة، المرجع السابق، ص:98.

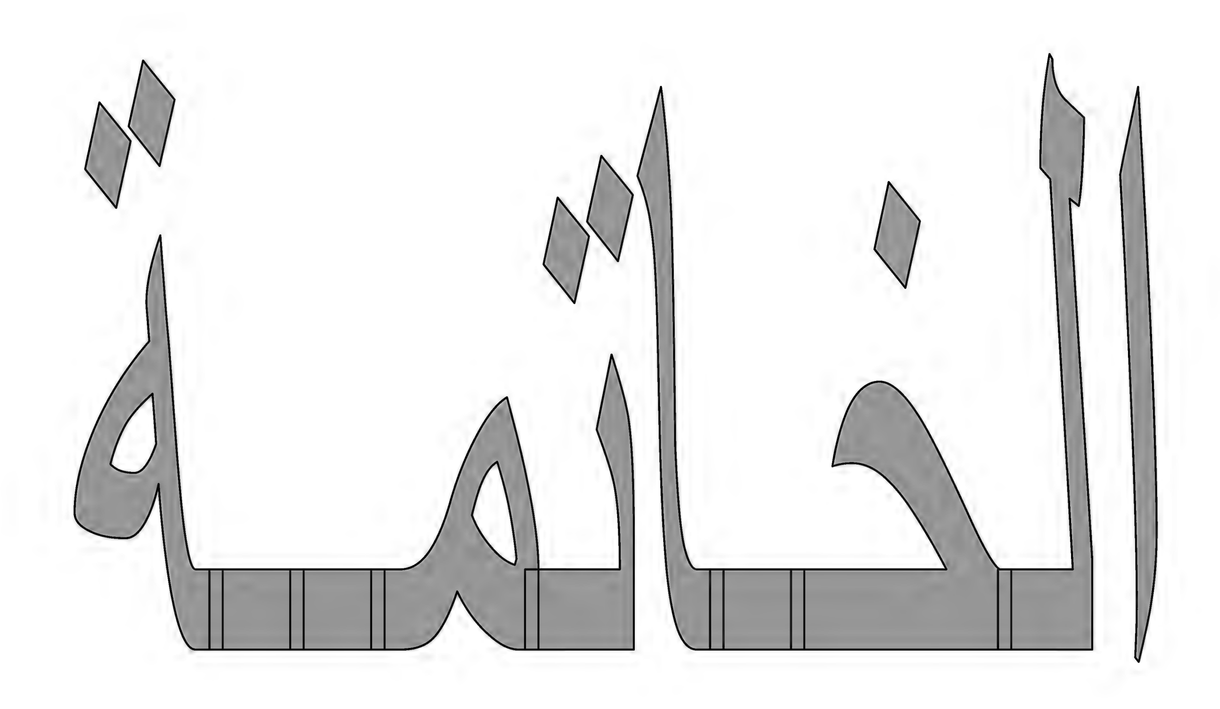
جهة يعترف أن المغرب أصبح محصورًا بين مركزين للحضارة الإسلامية، (مغربية من جهة، وأندلسية من جهة أخرى).

نجده في موضع أخر يعتبر ثورة كسيلة والكاهنة من الحلقات البطولية للمغرب " ويعود مرة أخرى ويذكر أن الفتح العربي للمغرب كان كليًا، وهو ما أعطى دين ولغة العرب للبربر"[1].

بعد إتمام عمليات الفتح، ونشر الإسلام واللغة والثقافة العربية الإسلامية ،أصبحت إفريقية من نوع الولايات العامة في الأحكام السلطانية،أي ولايات الاستكفاء ولم تكن من ولايات الاستيلاء، هذا في بداياتها لكن مع تطور الأحداث التاريخية فيما بعد تحولت من ولاية استكفاء إلى ولاية استيلاء [2].

(1) Gautier, Op-cit: P:267.

(2) يقول الأمير الماوردي" وأما إمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطرار فهي: أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها، فيكون الأمير باستيلاءه مستبدًا بالسياسة وبالتدبير، والخليفة بإذنه منفذًا لأحكام الدين للخروج من الفساد إلى الصحة، ومن الحظر إلى الإباحية ، الماوردي، ص: 27، 34، 138



تبين لنا من دراسة حركة انتشار الإسلام في بيئة المغرب خلال القرن الأول الهجري أن البحث كان لابد أن يمر بثلاث مراحل، وهي الأرضية التي

وجدها الإسلام بالمغرب، وثانيًا مراحل انتشاره في خضم تلك الأجواء التي تميزت بالفوضى وعدم الاستقرار وطغيان الجانب العسكري والقتالي في السنين الأولى، وصولاً إلى مرحلة الاستقرار والثبات والتعايش السلمي وتمتين أركان الإسلام بالمغرب والأندلس.

حيث تبين لنا أن المغرب لم يهنأ ولم يذق طعم الاستقرار، طوال فتراته الزمنية التي سبقت الإسلام،كما لم ير المغاربة (البربر) دينًا وحضارة كالتي جاء بها الإسلام الفاتح إليهم، وهم الذين عرفوا كل أنواع الاضطهاد على مر الحقب التاريخية من فنيقيين ورومان ووندال أو حتى بيزنطيين الذين أدخلوا بعض التعديلات والليونة في آخر أيامهم محاولين استمالة البربر خوفًا من الزحف الإسلامي القادم من الشرق.

وبشهادة جل المؤرخين وحتى المستشرقين منهم فإن الدين المسيحي لم يتجذر إطلاقًا بالمغرب، ولم يتجاوز الحدود الساحلية له، ولم يعتنق من طرف الأهالي خاصة البتر منهم الذين تمركزوا في دواخل البلاد.

ويمكن لنا أن نتفق مع بعض المؤرخين الذين يذكرون أن البيزنطيين المسيحيين هم الذين عبّدوا الطريق لدخول الإسلام إلى المغرب خاصة رجال الدين المسيحيين الذين عرفوا بتعقيداتهم عكس المسلمين.

لكن الإسلام لم ينتشر هكذا وبأية وسيلة أخرى إنما عرف انتصاره، وتفوقه الحضاري انطلاقًا من السياسة الحكيمة التي انتهجها المسلمون والقادة والولاة، والتي استمدت من الكتاب والسنة ومن خلالها لمس البربر الفرق بينه (أي الإسلام) وبين الديانات الأخرى، كما لمسوا تلك المساواة في الحقوق والواجبات بينهم وبين العرب الفاتحين .

ومنذ ذلك الوقت أخذ البربر المسلمون المشعل، وواصلوا نشر الإسلام في كل مناطق المغرب التي لم يدخلها بعد أو التي ارتدّت أحيانًا عنه بأي دافع،والتي كانت في غالب الأحيان نتيجة سياسة بعض الولاة التي خرجت عن الشرع وعن السياسة العامة للخلافة، لكن رغم هذا وبشهادة كثير من المؤرخين، الموضوعيين فإن ثورات بعض البربر، لم تكن ضد الدين الإسلامي، إنما كانت ضد سياسة بعض الولاة الذين عرفوا بقساوتهم، وخروجهم عن المنهج العام للإسلام وخير دليل على ما نقول هو ثورة كسيلة الأوربي الذي تحالف مع الروم في قتل عقبة بن نافع الفهري سنة 64 هـ بتاهودة ودخوله القيروان عاصمة المغرب الإسلامي إلاّ أنه أعطى الأمان لأهلها، ولم يمس أحدًا بسوء فكانت ثورته ضد الوالي عقبة الذي أساء معاملته وهو زعيم قومه، ولم تكن ضد الدين الإسلامي كما يريد أن يروج لذلك بعض المستشرقين.

إلى جانب ثورة الكاهنة زعيمة جبل أوراس التي دافعت عن مملكتها من دخول جيوش حسان بن النعمان الغساني وانتصارها في المعركة الأولى حيث أسرت ثمانين رجلاً من جيش حسان وباتفاق أغلب المصادر فإنها أطلقت سراحهم إلاّ واحدًا وهو خالد بن يزيد القيسي، والذي اتخذته فيما بعد أخًا لوالديها البربري واليوناني، وهو خير دليل كذلك على تقبلها الإسلام مبدئيًا، وطلب الأمان لهما عند حسان.

لكن ما أخرها هي عادة زعماء البربر آنذاك في عدم الاستسلام ولو تطلب ذلك الموت.

لقد عرف البربر والعرب كيف يتوحدون ويعطون دفعًا للإسلام بالمغرب والأندلس ومثالهم في ذلك ما كان في العهد الأول وعلى زمن الرسول صلّى الله عليه وسلّم في المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، ويكفي دليلاً على تقبل البربر للإسلام أن ظهر فيهم من يحمل مشغل نشر الإسلام خارج بيئته، ألا وهو طارق بن زياد الذي يعود إليه الفضل في نشر الإسلام بجزيرة إيبيريا وإدخالها في دائرة الإسلام .

وختامًا فإن الحقيقة التي لا يمكن التغاضي عنها فإن انتشار الإسلام بالمغرب ما كان لينجح ويتواصل، لو لم يكن بسواعد البربر، الذين اعتنقوه وأحبوه ودافعوا عنه بالنفس والنفيس، وهم المعروفون في التاريخ بمناهضتهم للدّول والحضارات القائمة على الغزو والاحتلال واستغلال ثروات البلاد ولو لم يكونوا مع الإسلام كذلك لكان مصير المغرب هو مصير الأندلس.

أخيرًا أود أن ألفت الانتباه إلى أن موضوعًا كهذا ما زال بحاجة إلى دراسة أعمق وأدق،ولن يتحقق ذلك إلاّ باكتشاف وثائق نادرة وتحقيق لمخطوطات ما زال لم يكسف عنها بعد.

مجادلة بين عبد الله بن جعفر وقسيس:

لما اشتد الحصار على عقبة بن عامر أرسل إلى عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومسروق وحزام وشداد ولما حضروا ذكر لهم ما قال للفصل ابن العباس فأجابوا كلهم مثله وفي أثناء حديثهم أتى الرسول من عند الحاجب (حاجب الملك الأكبر صاحب المعلقة) يسأل عن فسطاط الأمير فدخلوا على عقبة فاعلموه به فأذن بالدخول فدخل الرسول عليه وحياه.

وقال له أيها الأمير أن الحاجب بعثني إليكم رسولا وهو يطلب منكم أ، ترسلوا إليه عالما من قومكم ليجادل عالما منا في ديننا ودينكم لننظر أيهما أرجح وأي النبيين أفضل محمد أم عيسى وهو وهم باطل لأنا أشد منكم بأسا وقوى ومالا فقال له الأمير عقبة دع الفضول واذهب إلى صاحبك وقل له غدا يأتيه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف فارس وقل له ينتخب من علمانهم ومعه ألف فارس وتكون المجادلة بين خيام المعسكرين فسار الرسول وأعلم الحاجب

بالخبر ولما كان في صبيحة غد بعث الحاجب في طلب القسيس الأكبر من فسطاطه وكان عالما بالتوراة والإنجيل وتواريخ الأمم المتقدمة واسمه سراج، فلما حضر بين يديه قال له أيها الأب الرحيم أخرج مع ألف فارس إلى لقاء ابن عم محمد فيما بين الجيشين وجادله عن ديننا حتى ننظر أي الدينين أصلح قال حبا وكرامة غير أنني أخاف أن أغلظ على العرب فيقتلونني,قال له لاتخف فإن العرب إذا عاهدوا لا يغدرون ولاينقدون فخرج القسيس في ألف فارس وسار حتى وصل إلى ما بين الجيشين (قال) فلما رأى الأمير عقبة القسيس ومن معه قادمين إلى موضع الجدال دعا بالفضل بن العباس وقال له جادله عن دين اللّه ورسوله قال أيّها الأمير ابعث إلى عبد اللّه بن جعفر وأمره بالمسير إليه فهو أفصح مني.(...) فنادى عبد اللّه بن جعفر رضي اللّه عنه برافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وعمر بن حمزة وخزام بن ضرار وظافر بن أويس وشداد وعلقمة ومثل هؤلاء السادات رضي اللّه عنهم أجمعين فقالوا لبيك وسعديك يابن عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (...) فسار عبد اللّه وأصحابه حتى وصلوا إلى العالم فلما دخلوا عليه قام لعبد اللّه اجلالا وتعظيما فنظر إليه عبد اللّه وقال "ما أحسن وجهك لو كنت من الأمة المحمدية الفاضلة قال له العالم وما تبين من فضلكم قال أليس عندكم في الإنجيل لا يكون شاهدا إلا أهل الفضل والإحسان والشرف قال نعم قال له عبد الله فنحن كذلك لأن الله عز وجل فضلنا على جميع الأمم فقد قال تبارك وتعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا " فأي شرف أعظم من الشرف إذ جعلنا الله شهداء على جميع الناس وجعل محمد صلى الله عليه وسلّم شاهدًا على جميع الأنبياء قال الله عز وجل " وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا "وقال أيضا في مدحه إن الله وملائكته يصلون على النبي "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسلمًا " وقال أيضًا في عيسى عليه السلام " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب (الآية) والله عز وجل كلّم موسى عليه السلام بكلام قدرته على جبل طور، وقال له إخلع نعليك إنّك بالواد المقدس طوى ومحمد صلّى الله عليه وسلّم أسى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ولم يقل له إخلع نعليك وقد عرج به إلى السماء السابعة حتى انتهى إلى العرش وخاطبه بكلام قدرته على بساط الغر وخاطب موسى على الأرض ولم يقل عز وجل لنبي من الأنبياء ما قاله لمحمد صلّى الله عليه وسلّم وقو قوله " إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا " ولما خلق الله آدم أخرج له الحجر الأسود من الجنة وقال له يا آدم خذ هذا العهد والميثاق بيني وبينك على أن تقر لمحمد بالرسالة والنبوة والشفاعة قال ربي ومن محمد قال هو ولدك وروحك وهو آخر الأنبياء من

ذريتك قال ربي أقررت وآمنت وشهدت وكذلك فعل مع إدريس وإبراهيم وموسى وعيسى وهذا كطله موجود عندكم في كتبكم وعندنا في القرآن قال تعال: " وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون قال وعندكم في الإنجيل إن الله يبعث نبيًا من نسل هاشم له ميثاق على جميع الأنبياء ولا تكون الشفاعة يوم القيامة إلا له ولأمته بعضهم لبعض وكمل نبي يوم القيامة مشغول بنفسه إلا محمد صلّى الله عليه وسلّم مشغول بأمته وقد بشّر به عيسى بن مريم قبل مبعثه وعرف بني إسرائيل بقربه من الحق وكرامته ولقد سمعتم بمعجزاته وما ظهر من دلالته حيث انشق له القمر وكلمه الضب والحجر وخاطبه البعير والشجر ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من المعجزات الباهرة ونحن نؤمن بعيسى كما نؤمن ببقية الأنبياء ولا نفرق بين أحد منهم غير أننا لا نعتقد فيه اعتقادكم أنتم وقد قال الله تعالى أخبارًا من عيسى عليه الصلاة والسلام قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيًا وجعلني مبارك أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيا والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا فهذا كلام الله جل جلاله الذي أنزله على نبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم ومعنى ذلك أما قوله تعالى أخبارًا عن عيسى حين قال أني عبد الله فإنه يعلم الخلق أنه عبد الله وليس بولد جل الواحد الأحد الفرد الصمد وأما قوله أتاني الكتاب معناه أعلمكم الأحكام وأعرفكم الحلال والحرام وأما قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة معناه أني مأمور بالطاعة والخدمة والزكاة مثلكم فإن في مالي حقًا لله وأما قوله والسلام عليّ يوم ولدت ويم أموت فيعلمهم أنه يموت ومن يموت لا يكون له العزة والجبروت وأما قوله ويم أبعث حيًا فيعلمهم أنه وإياهم مبعوثون في يوم القيامة وقوف يوم الحشر والندامة وتبين مما تقدم أن الله واحد أحد لا شريك له في الملك ولا قرين ولا كانا إلهين لكافي لهما، إردتان ووقع الخلف بينهما وأن الحكمة غير ذلك وهي على وحدانيته شاهدة وهو سبحانه الملك المعتال الذي لا سماء تظله ولا أرض تقله ولا ليل يؤويه ولا نهار يأتيه ولا ضياء يظهره ولا ظلام يستره،ولا يقهره سلطان ولا يغيره زمان كل يوم هو في شأن (قال) فلما سمع القسيس ذلك من عبد الله بن جعفر رضي الله عنه حن قلبه إلى الإسلام وقال له ما أفصحك وأعظم براهينك وما أعلمك على حداثة سنك، لا شك أنك عبد الله بن جعفر قال له نعم قال يا عبد الله والله أني قرأت الكتب السابقة والأخبار الماضية وأعلم أنكم على حق وأن دينكم صحيح لا ريب فيه ثم التفت إلى أصحابه وقال هل سمعتم ما قال هذا العربي قالوا نعم قال هل تحققتم أنه

على الحق قالوا نعم قال وما رأيكم الآن قالوا ضلالتنا وهدايتنا بيدك قال حينئذ يلزمكم أن تقتدوا بي وتسلكوا معي الطريق القويم قالوا نحن بك مقتدون فعند ذلك قال أنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله قالوا نحن نقول مثلك ونطق جميعهم بالشهادتين ففرح عبد الله بن جعفر وأصحابه رضي الله عنهم بإسلامهم وحمدوا الله تبارك وتعالى على اهتدائهم إلى الدين القويم.

ملحق رقم(05)

. فكتب إليه عمر أما بعد فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وأنا عارف بضعفك وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطًا فضع الجزية عن من أسلم قبح الله رأيك إنما بعث محمدًا صلّى الله عليه وسلّم هاديًا ولم يبعثه جابيًا ولعمري أشقى من أن يدخل الناس كلهم الإسلام على يديه قال ولما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص كتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص سلام الله عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو أما بعد فإني فكرت في أمرك والذي أنت عليه فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة وقد أعطى الله أهلها عددًا وجلدًا وقوة في بر وبحر وأنها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها عملا محكمًا مع شدّة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدي نصف ما تؤديه من الخراج من قبل ذلك على غير قحوط ولا جدب ولقد أكثرت في مكاتبتك في الذي على أرضك من الخراج وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر ورجوت أن تفيق فترفع إلي ذلك فإذا أنت تأتيني بمعاريض تعبأ بها لا توافق الذي في نفسي لست قابلا منك دون الذي كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ولست أدري مع ذلك ما الذي نفرك من كتابي وقبضك فلئن كنت مجربًا كافيًا صحيحًا أن البراءة لنافعة وإن كنت مضيعًا نطعًا أن الأمر لعلى غير ما تحدث به نفسك وقد تركت أن أبتلي ذلك منك في العام الماضي رجاء أن تفيق فترفع إلي ذلك وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلاّ أن عمالك السوء وما توالس عليك وتلقف اتخذوك كهفًا وعندي بإذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك فيه فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه فإن النهر يخرج الدر والحق أبلج ودعني وما عنه تلجلج فإنه قد برح الخفاء والسلام. فكتب إليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام الله عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو أما بعد فقد بلغني كتابك أمير المؤمنين في الذي استبطأني فيه من الخراج والذي ذكر فيها من عمل الفراعنة

قبلي وإعجابه من خراجها على أيديهم ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام ولعمري للخراج يومئذ أوفر وأكثر
والأرض أعمر لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب في عمارة أرضهم منا منذ كان الإسلام وذكرت أن النهر يخرج الدر فحلبتها حلبًا قطع درها وأكثرت في كتابك وأنبت وعرضت وتربت وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر فجئت لعمري بالمقطعات المقدعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق ولقد علمنا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولمن بعده فكنا نحمد الله مؤمنين لأماناتنا حافظين لما عظم الله من حق أئمتنا نرى غير ذلك قبيحًا والعمل به شيئًا فتعرف ذلك وتصدق فيه قلقنا معاذ الله من تلك الطعم ومن شرّ الشين والاجتراء على كل مأتم فأمض عملك فإن الله قد نزهني عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضًا ولم تكرم فيه أخًا والله يا ابن الخطاب لأنا حين يراد ذلك مني أشد غضبًا لنفسي ولها انزاها وإكرامًا وما عملت من عمل أرى عليه فيه متعلقًا ولكن حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن أشياء كنت بها عالما وكان اللسان بها مني ذلولا ولكن الله عظم من حقك ما لم يجهل .
فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد عجبت من كثرة كتبي إليك في إبطائك بالخراج وكتابك إلي بثنيات الطرق وقد علمت أني لست أرضى منك إلاّ بالحق البيّن ولم أقدم إلى مصر أجعلها لك كهمة ولا لقومك ولكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فإنما هو فيء المسلمين وعندي من قد تعلم قوم مصحورون والسلام. فكتب إليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلاّ هو أما بعد فقد أتاني كتابك أمير المؤمنين يستبطئني في الخراج ويزعم أني أحيد عن الحق وأنكث عن الطريق وإني والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرًا من أن تخرق بهم فيصير إلى بيع ما لا عنى بهم عنه والسلام.

- رسالة من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص (عن المقريزي)
كتاب الخطط " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " ص: 137 ، 138.

ملحــق رقم (06)

Au nom de Dieu [1], Clément Miséricordieux ! Ècrit adressé par abd al-aziz ibn Mousa ibn Nosair à Thèodomir ibn abdouche; ce dernier obtient l'engagement, sous la garantie de Dieu et celle de Son Prophète, qu'il ne sera en rien changé sa situation ni a celle des siens; que son droit de souveraineté ne lui sera pas contesté; que ses sujets ne seront ni tués, ni réduits en captivité ni séparés de leurs enfants et de leurs femmes; qu'ils ne seront pas inquiétés dans la pratique de leur religion; que leurs églises ne seront ni incendiées ni dépouillées des objets de culte qui s'y trouvent; et cela, aussi longtemps qu'il satisfera aux charges que nous lui imposons.

La paix lui est accordée moyennant la remise des sept villes suivantes:

Orihuela, Baltana, Alicante, Mala, Villena, Lorca et Ello. Par ailleurs, il ne devra pas donner asile à quelqu'un qui ne sera enfui de chez nous ou qui sera notre ennemi, ni faire de tort à qui aura bénéficié de notre aman, n'' tenir secrets les renseignements relatifs à l'ennemi, qui parviendront à sa connaissance, lui et ses sujets devront payer chaque année un tribut personnel comprenant un dinar* en espèces, quatre boisseaux de blé et quatre d'orge quatre mesures de moût, quatre de vinaigra, deux de miel et deux d'huile, Ce taux sera réduit de moitié pour les esclaves. Ècrit en radjab de l'année 94 de l'hégire (Avril 713).

رسالة معاهدة الصلح بين عبد العزيز بن موسى بن نصير مع تيودومير بعد فتح الأندلس

عن (Weit)
Grangeur de l'islam, P: 53

أولا :قــائمــة المخطـــوطات :

1 - **السماني (الشيخ علي بن محمد السماني)** (1099م1101).
المنتخب في تحذير من يبغض العرب، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر، رقم المخطوط 561.

2 - **الشطيبي (الحاج محمد بن علي بن محمد)** (1030هـ/1620م).
كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان، المكتبة الوطنية ، الحامة، الجزائر، رقم 1575.

3 - **الغرناطي (أبو عبد الله محمد بن محمد)** (839 هـ/ 1435م).
انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك، المكتبة الوطنية ، الحامة، الجزائر، رقم 1354.

4 - **مجهول** ، مؤلف إسباني كان حيًا في القرن التاسع الميلادي (9م).
مفتاح الدين والمجادلة بين النصارى والمسلمين من قول الأنبياء والمرسلين والعلماء الراشدين الذين
قرؤوا الأناجيل ، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر، رقم 1557.

ثانيا:المصادر العربية المطبوعة :

1 - **القرآن الكريم**

2 - **ابن الآبار (أبو عبد الله محمد)** (ت 658 هـ) 1259م .
الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1963.

3 - **ابن الأثير (عز الدين أبو الفدا الحسن)** (ت 630 هـ) 1232م .
الكامل في التاريخ، تح أبي عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1998/1418م.

4 - **الإدريسي (الشريف)** (ت 560 هـ)1164م.
صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،
تح الدوزي، ودي فوج ليدن، مطبعة بريل، 1968.

5 - **الأندلسي (أحمد بن محمد بن عبد ربه)** (ت 328 هـ) 939م.
العقد الفريد،تح علي شيري،دار إحياء التراث العربي،ط3 ،بيروت، لبنان 1420 هـ/1999م.

6 - **ابن بطوطة (محمد بن إبراهيم اللواتي أبو عبد الله)** (ت 779 هـ) 1377م.
رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،
شرح طلال حرب،
دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان 1987 .

7 - **البكري (أبو عبيد الله)** (ت 487 هـ) 1094م.
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر دي

	سلان، المطبعة
	الحكومية، الجزائر، 1857.
8 - **البــلاذري (أبي الحسن)** (ت 279 هـ) 892م.	
	أنساب الأشراف ، تح محمد عبد الله ، دار المعارف، مصر 1959.
9 -	
	فتــوح البلــدان، تــع محمـد رضـوان ، المطبعـة المـصرية بـالأزهر، ط1، 1350 هـ/1932م
10 - **التميمي** (أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم) توفي 333 هـ/944م .	
	طبقات علمـاء إفريقيـة وتونس،تح علي الشابي، نعيم حسن السيافي، دار التونسية للنشر، تونس
	والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ط2 ، 1985.
11 -	
	كتاب المحن ، تح يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنـان 1408هـ/
	1989م.
12 - **الجــاحظ (أبو عثمان عبد الرحمان بن بدر)** (ت 255) 868م	
	البيان والتبيان ، تح ، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1960.
13 - **ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله)** (ت 257 هـ) 870م.	
	فتـوح إفريقيـا والأنـدلس، تـح عبـد الله أنـيس الطبـاع، مكتبـة المدرسـة، دار الكتـاب اللبناني، بيروت،
	لبنان، 1964.
14 - **ابن حوقل النصيبي (أبي القاسم)** (ت 367 هـ) 977م.	
	كتاب صورة الأرض، نسخ علي بن الحسن بن بندار، منشوارت دار مكتبـة الحياة، بيروت،479 هـ/
	1086م
15 - **ابن خرداذبة (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله)** (ت 300 هـ) 912م.	
	المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسـه، د. محمد مخزوم ، دار إحيـاء التراث العربي ،
	بيروت، لبنان ط1، 1408 هـ/1988م

16 - **ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد)** (ت 776 هـ) 1374م .	
	تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب **أعمال الأعلام**، تح أحمد مختار
	العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964.
17 -	
	رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية بحاضرة تونس 1316.

18 - **ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)** (ت 808 هـ) 1405م.

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،سلسلة العلوم الإنسانية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر 1996.

19 - **ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين)** (ت 681 هـ) 1282م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان ،1414 هـ / 1994م.

20 - **الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف)** (ت. ق.10 م)

مفاتيح العلوم، تح إبراهيم الأبياري، ط1 ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984.

21 - **ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد)** (ت بعد 1110 هـ) 1698م.

المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تح محمد شمام، ط3، المطبعة العتيقة ، تونس، 1967.

22 - **الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري**) (ت 696 هـ) .

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،تح إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي،مصر،1388هـ/1968م

23 - **الذهبي ((الإمام شمس الدين محمد بن أحمد)** (ت 776 هـ) 1374م .

سير أعلام النبلاء، تح عمر بن غرامة العموري،دار الفكر ، ط1،بيروت،لبنان،1414هـ/1997م.

24 - **ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله)** (ت 626 هـ) 1325م .

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة حجرية أو بسالة، 1843.

25 - **الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم)** ق 5 هـ.

تاريخ إفريقية والمغرب، تح عبد الله العلي الزيدان،د. عز الدين عمر موسى،ط1 دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان، 1990

26 - **السراج (الوزير محمد بن محمد الأندلسي)** (ت 1149 هـ) 1736م .

الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحـ محمد الحبيب الهيله، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، بيروت - لبنان، 1985.

27 - **الطبري (أبي جعفر بن محمد بن جرير)** (ت 310 هـ) 922م .

تاريخ الأمم والملوك ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1417هـ/

	1997م .
28 - **ابن عذاري المراكشي** (كان حيا سنة 712 هـ) .	
	البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان،1983.
29 - **القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن عياض اليحصبي السبتي)** (ت 544 هـ) 1149م .	
	ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح أحمد بكير محمود، منشورات دار
	مكتبة الحياة ، بيروت ، دار مكتبة الفكر، طرابلس - ليبيا، 1967م.
30 - **ابن الفقيه (أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني)** (ت 290 هـ) 903م.	
	مختصر كتاب البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1408 هـ/1988م.
31 - **ابن قتيبة (أبي محمد بن عبد الله مسلم الدينوري)** (ت 276 هـ) 889م.	
	الإمامة والسياسة ،تع خليل المنصف، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1418 هـ/1997م .
32 - **القضاعي (القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي)** (ت 454 هـ) 1062م	
	كتاب الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء، تح عمر عبد السلام تدمري، المكتبة
	العصرية صيدا، بيروت ،ط2، 1420 هـ/ 1999م.
33 - **القلقشندي (أبو العباس أحمد بن عبد الله بن علي)** (ت 821 هـ) 1418م.	
	مآثر الأنافة في معالم الخلافة، فتح عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، لبنان ، د .ت.
34 - **ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسي بن مزاحم)**	
	(ت 367 هـ) 977م .
	تاريخ افتتاح الأندلس، تح و تع إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989م.
35 - **الكتبي (محمد بن شاكر)** (ت 764 هـ) 1362م.	
	فوات الوفيات والذيل عنها، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، 1974.

36 - **ابن كثير (أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي)** (ت 774 هـ) 1372م .

البداية والنهاية،اعتنى بالطبعة ووثقها عبد الرحمن الأدقي، محمد غازي بيضون، ط3، دار المعرفة
بيروت - لبنان، 1418 هـ/1998م.

37 - **ابن ماجة (الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني)** (ت 275 هـ) 888م.

سنن ابن ماجة، جزءان، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1952/
1953م.
38 ـ **مالك (أبو عبد الله مالك بن أنس)** (ت 179 هـ) 795م
الموطأ ، جزءان، صححه ورقمه وأخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب
العربية ، عيسى البابي وشركاؤه، القاهرة 1951م.
39 ـ **المالكي (عبد الرحمن بن نصر الشيزري)** (ت 453 هـ) 1061 م
كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم
وفضائلهم وأوصافهم، ط2، تح بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1414 هـ/
1994م.
40 ـ **الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد)** (ت 450 هـ) 1058م .
الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط2 ، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1966م.
41 ـ **مجهول** (لمؤلف أندلسي من القرن الثامن الهجري)
أخبار مجموعة في إفتتاح الأندلس وذكر أمرائها ـ رحمهم الله ـ والحروب الواقعة بها بينهم، ط1،
تح إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ،
1401 هـ/1981م.
42 ـ **مجهول**
نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب ـ مفاخر
البربر ـ نشر وتقديم ليفي بروفنسال ، المعهد العالي للدراسات المغربية، منشورات، فليكس مونشو،
1934.
43 ـ **المراكشي (عبد الواحد)** (ت 647 هـ) 1249م.
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي،ط1،
مطبعة الإستقامة، القاهرة ، 1368 هـ/ 1949م .
44 ـ مسلم بن الحجاج(أبو الحسين بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيصابوري) (ت 261هـ)
874م .
صحيح مسلم بشرح النووي، حققه وخرجه وفهرسه عصام الصبابطي حازم محمد، عماد عامر،

دار الحديث ، القاهرة، 1415 هـ/ 1994م.
45 - **المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي)** (ت 378 هـ
)997م
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه، د. محمد مخزوم، دار إحياء
التراث العربي ، بيروت - لبنان، 1408 هـ/ 1987م.
46 - **المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي)** (ت 845 هـ) 1441م
كتاب الخطط، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2 مكتبة إحياء العلوم، الشياح ، لبنان ،
1959م.
47 - **ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقبة)**
(ت 731 هـ) 1311م .
لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف
د.ت .
48 - **الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)** (ت 1315 هـ) 1896م.
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار
البيضاء، 1954م
49 - **الواقدي (أبو محمد بن عبد الله)** (ت . ق. 3 هـ) .
فتوح إفريقية، ج1، المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية ، تونس ، ط1، 1315 هـ .
50 - **الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي)** (ت 914 هـ)1508م.
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، مطبعة الشافعة ،فاس
د.ت.
51 - **ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي)** (ت 626 هـ) 1228م.
معجم البلدان، دار صادر، ط 2 ، بيروت - لبنان، 1995م.
52 - **اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب)** (ت 284 هـ) 897م .
تاريخ اليعقوبي، ج2، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1390 هـ / 1970م
- 53
كتاب البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1408 هـ/1988م.

ثانيا المراجع الحديثة:

أ - باللغة العربية :

1 - **أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام.**
تر،تع، حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، ط3، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1970.
2 - **بن بدر أحمد ، هجرة الثقافة من المشرق إلى الغرب .**
المطبعة الجديدة، دمشق، 1980 - 1981.
3 - **بروفنسال ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس.**
تر، عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990.
4 - **بكر محمد إسماعيل، مع المرأة المسلمة في أحكام دينها وأمور دنياها.**
دار الطلائع ، القاهرة، 1419 - 1998.
5 - **بل أفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم.**
تر، عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط 3، بيروت - لبنان 1987.
6 - **بوتشيش إبراهيم القاديري، تاريخ الغرب الإسلامي .**
دار الطليعة للطباعة والنشر،ط ، 1994.
7 - **بيرك جاك، العرب من الأمس إلى الغد .**
تر، علي سعد، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1959.
8 - **بيريس هنري، وصف إفريقيا الشمالية .**
مكتبة الدروس العليا الإسلامية، الجزائر، 1380 هـ/1960م.
9 - **بيضون تغاريد، المرأة والحياة الاجتماعية في الإسلام.**
دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، 1405 هـ/ 1985م.
10 - **الجمري عبد الأمير منصور، المرأة في ظل الإسلام.**
دار مكتبة الهلال ،ط 4، بيروت - لبنان ، 1986م.

11 - **الجنحاني الحبيب، القيروان عبر عصور إزدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي.**
الدار التونسية للنشر، 1968م.
12 - **جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية.**
تع، محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969م.
13 - **حسن إبراهيم حسن، إنتشار الإسلام والعربية فيما يلي الصحراء الكبرى .**
مكتبة النهضة المصرية، ط 3، القاهرة، 1983م.
14 - **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي .**
دار الجيل، بيروت، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 14، 1416 هـ/1996م.
15 - **حميدة عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب (ومقتطفات من آثارهم)**
دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر ، دمشق، ط 3، 1995.
16 - **الحوفي أحمد محمد ، سماحة الإسلام .**
مطابع الأهرام التجارية، 1391 هـ/ 1971م

17 ـ **الزاوي أحمد الطاهر، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط 2 .**
دار المعارف، مصر 1963.
18 ـ **زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس .**
تق، أحمد بن سودة، دار الأمير، بيروت ـ لبنان، ط 1، 1415 هـ/ 1995م
19 ـ **الريس محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية.**
مكتبة الأنجلو مصرية، ط 2، 1971م.
20 ـ **السائح الحسن، دفاعا عن الثقافة المغربية .**
دار الكتاب ، الدار البيضاء، ط 1 ، 1968م.
21 ـ **سالم السيد محمود عبد العزيز، المغرب الكبير (العصر الإسلامي).**
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، 1981.
22 ـ **الصالح صبحي، النظم الإسلامية (نشأتها وتطورها) ط 1،**
دار العلم للملايين ، بيروت، 1965.
23 ـ **عاشور سعيد، المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية .**
دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس ، د.ت.

24 ـ **العروي عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب .**
المركز الثقافي العربي، ط 5، الدار البيضاء، 1996.
25 ـ **عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي.**
من الفتح إلى مرحلة عصور الاستقلال، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1979
26 ـ **الحياة الدينية في دولة الإسلام.**
منشورات ذات السلاسل، الكويت ، 1405 هـ/ 1985م.
27 ـ **عبد الرزاق علي، الإسلام وأصول الحكم .**
تق، عروس الزبير، سلسلة العلوم الإنسانية، موفر للنشر 1988.
28 ـ **العدوي إبراهيم أحمد، الأمويون والبيزنطيون .**
البحر الأبيض المتوسط ، بحيرة إسلامية، دار القومية للطباعة والنشر، ط 2، 1963.
29 ـ **العربي إسماعيل، المدن المغربية .**
المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
30 ـ **العلي أحمد صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في القرن الأول الهجري.**
دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 2 ، بيروت، 1969.
31 ـ **عبد الغني محمد السيد محمد، نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية.**
المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 1999، 2000.
32 ـ **قبيسي بشرى ، المرأة في التاريخ والمجتمع .**
دار أمواج للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت ـ لبنان ، 1995.
33 ـ **القرضاوي يوسف ، الخصائص العامة للإسلام .**
مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان ، 1419 هـ/1999م .

34 ـ **قطب السيد ، العدالة الاجتماعية في الإسلام .**
ط 14، دار الشروق، القاهرة، 1415 هـ/ 1995م .
35 ـ **الكتاني يوسف، مدرسة الإمام البخاري في المغرب .**
دار لسان العرب ، بيروت، د.ت.
36 ـ **لاندو روم، الإسلام والعرب.**
دار العلم للملايين، بيروت، 1962.

37 ـ **لقبال موسى، تاريخ المغرب الإسلامي .**
دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 4، الجزائر، 2001.
38 ـ **محمود حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقية .**
دار النهضة العربية، ط 2، القاهرة، 1963.
39 ـ **محمود حسن أحمد، تاريخ المغرب والأندلس.**
دار لفكر العربي، مدينة النصر، ط 1، القاهرة 1419 هـ/ 1999.
40 ـ **مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر.**
العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، 1412 هـ/ 1992م.
41 ـ **مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس.**
مؤسسة المعارض، بيروت ـ القاهرة ، ط1، 1980م.
42 ـ **مبارك أم الفضل عليه مصطفى، منهاج المرأة المسلمة، عادات ومعاملات .**
مكتبة السلام، الدار البيضاء، 1420 هـ/ 1999م
43 ـ **مجموعة من المؤلفين، الإسلام اليوم وغداً.**
دار إحياء الكتب العربية ، د . ت .
44 ـ **مرسي محمد عبد العليم ، الإسلام ومكانة المرأة .**
مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1481 هـ/ 1997م.
45 ـ **أبو مصطفى كمال، جوانب من حضارة المغرب من خلال نوازل الونشريسي .**
مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.
46 ـ **موسى عز الدين أحمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري.**
دار الشروق، ط 1، 1403 هـ/1983م .
47 ـ **الناضوري رشيد، المغرب القديم، العصور القديمة، ج 1.**
دار النهضة العربية ، بيروت ـ لبنان، 1981.
48 ـ **الولي طه، المساجد في الإسلام .**
دار العلم للملايين، ط 1، 1409 هـ/ 1988م

ب - باللغة الأجنبيـة:

1 _ Cuoq (J**), Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest**
G.P. Maisonneuve et la rose. Paris.1963.

2 _
Les musulmans en Afrique, édition, G.P Maisonneuve et La Rose, Paris, 1975.

3_Diel(C) **Histoire du moyens âge**, T III, Le monde oriental,Paris,1936

4 _ Gautier, **(E.F) le passé de l'Afrique di nord, les siècles obscures**, Nouvelle édition petite bibliographique, Payot France 1964.

5_L'ambard (M**) ,l'islam dans sa première grandeur**, VIII-XI siècle Flammarion, Editeur 26 Rue racine, Paris 1971.

6 _ Marçais (G**) l'art musulman**

7 _ **Les bijoux musulmans de l'Afrique de nord**
Imprimerie officielle, rye Trolier Alger, 1958.

8 - Marçais (W**), comment l'Afrique du nord a été arabisé,**
Faculté de lettres de l'université d'Alger,annales de l'institut d'étude Orientale, T4 année 1938.

9 _ Terrasse (H), **Histoire du Maroc des origines a l'établissement du Protectorat français**.
édition Atlantides, Casablanca,T1,1949.

10 _ **L'Espagne entre moyen âge, civilisation et art**
Librairie arthème Fayort paris, 1996.

11 _ **L'islam d'Espagne, une rencontre de l'orient et de L'occident.** Librairie arthéme**,** fagot, Paris, 1991**.**

12 _ Vasiliev (A), **Histoire de l'empire Byzantine**, trad, par Brodin et Borguina, T1, Paris, 1932.

13 _ Wiet (G) **Grandeur de l'islam de Mohamet et a François 1^{er}**
Edition Table ronde, Imprimerie Floch, 1961

الدوريات والمقالات :

أ - باللغة العربية:

1 - **بوعقادة عبد القادر، المرأة والأسرة بين الحقيقة والزندقة .**

مقال جريدة الشروق اليومي، عدد 1096، 5 جوان 2004.
2 ـ **خياري محمود ، تمرد جند القبائل العربية بمنطقة إشبيلية .**
مجلة الصراط ، كلية العلوم الإسلامية للبحوث والدراسات الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الثالثة ،
العدد السادس، 1423 هـ/2002م
3 ـ **الدوري عبد العزيز، الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب .**
مجلة القومية العربية والإسلام، مجلة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان ، ط 3، 1987.
4 ـ **سعدي عثمان ، أطروحة الأصل الشرقي للبربر على ضوء المعطيات المصدرية القديمة.**
مجلة المناهل المغربية، العدد 68، جمادي الأولى 1424 يوليو 2003 .
5 ـ **سعدي عثمان ، خلق ضرة للعربية معناه تدمير الجزائر.**
مقال في جريدة الشروق اليومي، العدد 434 ، 8 أفريل 2002.
6 ـ **السمرائي خليل إبراهيم، بدايات انتشار الإسلام في المغرب العربي خلال العصر الأموي** 41 - 132 هـ /
661 - 750 م
مجلة المؤرخ العربي (عدد خاص عن إفريقيا) وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد 31، السنة الثانية
عشر، 1407 هـ/ 1987م
7 ـ **صالح إبراهيم سعاد، حقوق المرأة في الإسلام، قضايا إسلامية .**
سلسلة شهرية عدد 35 ، 1419 هـ/1998م.
8 ـ **عمارة علاوة ، البربر والهوية الجزائرية .**
مقال في جريدة الشروق اليومي، عدد 1135، 25 جويلية 2004.
9 ـ **غانم محمد الصغير، التسلسل التاريخي في هويتنا الثقافية عبر العصور،**
مقال في جريدة الشروق اليومي، عدد 370، 22 جانفي 2002.
10 ـ **بن قربة صالح، حسان بن النعمان ودوره في نشر الإسلام بالمغرب.**
مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، عدد 64، السنة السابعة 1399 هـ/ 1978م.
11 ـ **بن لعلام محمد الصغير، بين الإسلام والأديان الأخرى.**
مقال مجلة الدراسات الإسلامية، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، العدد الأول 1423 هـ/2002م
12 ـ **عبد الوهاب أحمد، مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام .**
سلسلة نصف شهرية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف القاهرة، عدد 37،
1416 هـ/1998م.

الرسـائل:

1 ـ **بوالسعد الطيب ،الحياة العلمية والثقافية في الإمارة الأغلبية وعلاقتها بالخلافة العباسية** 184/296 هـ/
800/909م (رسالة ماجستير) (قسم التاريخ) جامعة الجزائر، 2001/ 2002.

2 ـ **بن الذيب عيسى، التجارة في عصر دولة المرابطين** .
رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة، 1411 هـ/1990.
3 ـ **عباس عبد الله، التأثير الحضاري لإقليم توات وتأثيره على بلاد السودان الغربي ق**9 ، 10 هـ.
(رسالة ماجستير) قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2002.
4 ـ **بن قربة صالح ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد (أطروحة دكتوراه) في**
الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر، 1982، 1983.
5 ـ **كواتي مسعود، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين (رسالة ماجستير).**
جامعة الجزائر 1992.
6 ـ **مطروح أم الخير، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي، منذ بداية الفتح**
الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين (رسالة ماجستير) قسم الآثار ، جامعة الجزائر، 1993 - 1994.

الموسوعات :

1 ـ **الأعلام قاموس التراجم، خير الدين الزركلي، ج 4**، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان ط12 ، 1997.
2 ـ **القاموس المحيط (العرقسوسي الفيروز أبادي)**، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط 6 ،
1419 هـ/ 1998م.
3 ـ **الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال**، دار الجيل والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية،
1416 هـ/ 1995م.

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والجماعات

فهرس المدن والأماكن الجغرافية

فهــرس الموضوعـــات